

تطور علم الطبيعة

تحول الآراء من المبادئ الأولى إلى نظرية النسبية والكمات

تأليف

ألبرت أينشتاين

٦

ليوبولد إنفلد

ترجمة

الدكتور عطية عبدالسلام غاشول
المدرس بكلية العلوم بجامعة القاهرة

الدكتور محمد عبدالقيصم النادى
المدرس بكلية العلوم بجامعة القاهرة

مراجعة

الدكتور محمد مرسى أحمد
الأستاذ بكلية العلوم بجامعة القاهرة



مكتبة الأنجلو المصرية
ملتنز والطبع والنشر
١٦٥ شارع مرسى كبري (مما التبرع سابقا)

تطور علم الطبيعة

تحول الآراء من المبادئ الأولى إلى نظرية النسبية والكمات

تأليف

ألبرت أينشتاين

٦

ليوبولد إنفلد

ترجمة

الدكتور عطية عبد السلام عامر شوق
المدرس بكلية العلوم بجامعة القاهرة

الدكتور محمد عبد المقصود التاوي
المدرس بكلية العلوم بجامعة القاهرة

مراجعة

الدكتور محمد مرسى أحمد
الأستاذ بكلية العلوم بجامعة القاهرة



ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد بك فريد (مما وراء السراج سابقاً)

مقدمة

من حق القارىء قبل أن يشرع في قراءة الكتاب أن يتوقع الإجابة على بعض الأسئلة البسيطة كأن يعرف مثلاً الغرض من وضع هذا الكتاب والمستوى المطلوب في القارىء كي يتمكن من فهمه .

من المسير أن نبدأ بالإجابة على هذين السؤالين بطريقة واضحة مقنعة ، ولعله قد يكون من الأسير أن نجيب عليها في نهاية الكتاب ، على الرغم من أن ذلك يكون غير ذى قيمة عندئذ . ولعلنا نجد من اللاتم بيان الأمور التى نهدف إليها بوضع هذا الكتاب . فنحن لم نقصد وضع كتاب فى علم الطبيعة ، ولن يجد القارىء هنا دراسة منظمة للحقائق والنظريات الأولية لهذا العلم . وكان غرضنا الأساسى أن نضع الخطوط الرئيسية لمحاولات العقل البشرى لإيجاد الارتباط بين عالم الأفكار وعالم الظواهر . وقد حاولنا أن نبين القوى الفعالة التى تدفع العلم إلى ابتكار الأفكار التى تناظر حقائق عالما . ولكن كان من الواجب أن تكون دراستنا بسيطة وكان علينا أن نشق لأنفسنا خلال الحشد الكبير من الحقائق والآراء الطريق الذى يبدو لنا أكثر أهمية وذات معنى واضح . وقد اضطررنا إلى إهمال الحقائق والنظريات التى لا تقع فى هذا الطريق . وكان حتماً علينا لتحقيق هدفنا العام أن نحدد اختيار الحقائق والآراء التى سندرسها . ويجب ألا يؤثر عدد الصفحات المخصصة لدراسة موضوع ما فى الحكم على أهمية هذا الموضوع . وقد تركنا جانباً بعض اتجاهات الفكر الأساسية ولم يكن تركنا لها ناتجاً عن عدم أهميتها ، بل لأنها لا تقع فى الطريق الذى اخترناه .

وقد تناقشنا طويلاً حين شرعنا فى وضع هذا الكتاب فى الميزات التى يجب أن تتوفر فى قارئنا المثالى وشغلنا كثيراً بهذا الموضوع . وقد تخيلنا أن القارىء

سيستعيز عن عدم درايته التامة بملى الطبيعة والرياضة ، بالتحلى بكثير من
الخصائل الحميدة . فثلاً تخيلناه مهتماً بالآراء الطبيعة والفلسفية ، وكان علينا أن
نعجب بصبره الذى استعان به فى تتبع الفقرات المملة والصعبة . وتخيلنا هذا
القارى* يقنعنا بأنه لى يفهم أية صفحة يجب عليه أن يقرأ الصفحات السابقة
بمناية ، فهو يعلم أن من الخطأ أن يقرأ الكتاب العلمى حتى ولو كان مبسطاً بنفس
الطريقة التى تقرأ بها القصص .

هذا الكتاب هو عادية بسيطة بين القارى* وبيننا وقد يجد القارى* هذا
الكتاب منفراً أو عجباً إلى النفس ، مملاً أو مثيراً للاهتمام ولكن هدفنا يتحقق
إذا نجحت هذه الصفحات فى إعطاء القارى* فكرة ما عن الجهاد الشاق للمقل
البشرى المبكر فى سبيل فهم شامل للقوانين التى تتحكم فى الظواهر الطبيعية .

ألبرت أينشتاين

ليوبولد إنفلد

فهرس الكتاب

صفحة

الباب الأول

نشأة وجهة النظر الميكانيكية

الفصة الفامضة الكبرى	١
الدليل الأول	٣
الكيات المتجهة	٨
لنز الحركة	١٣
يبقى دليل آخر	٢٣
نظرية السبال للحرارة	٢٦
عربة اللامى	٣٣
نظام التحويل	٣٦
الأساس الفلسفى	٣٩
نظرية الحركة للمادة	٤٢

الباب الثانى

تداعى وجهة النظر الميكانيكية

المائمان الكهربائيان	٤٩
المائمان المغناطيسيان	٥٨
الصعوبة الجديدة الأولى	٦١
سرعة الضوء	٦٦
النظرية المحسبة للضوء	٦٨
لغز اللون	٧٠
ما هى الموجة ؟	٧٤

صفحة

٧٧ النظرية الموجية للضوء
٨٤ هل موجات الضوء طويلة أم مستعرضة ؟
٨٦ الأثير ووجهة النظر الميكانيكية
٨٨ تلخيص

الباب الثالث

المجال — النسبية

٨٩ المجال كوسيلة لتبيل الواقع
٩٨ دعائنا نظرية المجال
١٠١ واقعية المجال
١٠٧ المجال والأثير
١٠٩ العقالة الميكانيكية
١١٨ الأثير والحركة
١٢٩ الزمن والسافة والنسبية
١٤١ نظرية النسبية والميكانيكا
١٤٦ متصل الزمان والمكان
١٥٤ النسبية العامة
١٥٩ خارج ودخل الصعد
١٦٥ الهندسة والتجربة
١٧٥ النسبية العامة وتحققها
١٨٠ المجال والمادة
١٨٢ تلخيص

الباب الرابع

الكلمات

١٨٤ الاتصال وعدم الاتصال
١٨٦ الكلمات الأولية للمادة والكهرباء

صفحة	
كلمات الضوء	١٩٠
الطيف الضوئي	١٩٦
أمواج المادة	٢٠١
أمواج الاحتمال	٢٠٦
علم الطبيعة وحقيقة الوجود	٢١٧
المخلاصة	٢٢٠

قائمة باللوحات

اللوحة الأولى : حركة براون	٤٦
اللوحة الثانية : حيود الضوء	٨٣
اللوحة الثالثة : خطوط الطيف — حيود الأشعة السينية والأمواج الكهربائية	٢٠٠

الباب الأول

نشأة وجهة النظر الميكانيكية

[القصة الغامضة الكبرى — الدليل الأول — الكيانات المتجهة —
نظر الحركة — يبقى دليل آخر — نظرية الجبال للحرارة — مبررة الملامح —
نظام التحويل — الأساس الفلسفي — نظرية الحركة للعادة]

القصة الغامضة الكبرى :

توجد الألتاز البولييسية الكاملة في الخيال . وتحتوى مثل هذه الألتاز على جميع الأدلة الضرورية التي تجعلنا نكون نظريتنا الخاصة للحالة . وإذا تتبعنا سلسلة حوادث القصة بدقة فإننا نصل إلى حلها الكامل مباشرة قبل كشف المؤلف عنه في نهاية الكتاب . والحل في ذاته ، على عكس الحالة في الألتاز البسيطة ، لا يجيب ألمانا ويظهر في الوقت المناسب الذي تترقعه فيه .

هل يمكن تشبيه قارئ مثل هذا الكتاب بالعلماء ، الذين استمروا خلال الأجيال المتعاقبة يبحثون عن حل لأسرار الطبيعة ؟ ورغم عدم وجود وجه لهذه المقارنة ، الشيء الذي سيضطرنا إلى تركها فيما بعد ، فإنه يوجد لها بعض الدوافع التي يمكن تعميمها وتعديلها لتسهيل مهمة العلم في حل أسرار الكون .

ولا تزال هذه القصة الغامضة الكبرى دون حل . بل إنه لا يمكن الجزم بوجود حل نهائي لها . لقد حصلنا على الكثير نتيجة لقراءة هذه القصة ، فقد علمنا مبادئ لغة الطبيعة ، ومكنتنا من فهم كثير من الأدلة وكانت مصدراً للسرور وإثارة الاهتمام يخفف التعب والإرهاق للذين غالباً ما يصاحبها تقدم العلم . ولكننا نعلم جيداً أنه بالرغم من كثرة الأجزاء التي قرئنا وفهمنا ، فإننا لا تزال بغير حل الحل الكامل إذا وجد ، وهو شيء بعيد الاحتمال . وفي كل مرحلة

نحاول أن نجد تفسيراً يتفق مع الأدلة المكتشفة حتى ذلك الوقت . ولقد فسرت النظريات المبينة على التجربة كثيراً من الحقائق ولكن لم يكتشف إلى الآن حل عام يتفق مع جميع الأدلة المعروفة ، وفي كثير من الأحيان بعد الاستزادة من القراءة يتضح فشل نظرية كان يظن أنها كاملة كافية ، وذلك لظهور حقائق جديدة تناقض النظرية أو يتعذر تفسيرها بها . وكلما تمددنا في القراءة كلما زاد تقديرنا لكمال تصميم الكتاب رغم أن الحل الكامل يبدو كأنه يبتعد كلما تقدمنا . وفي جميع القصص البوليسية تقريباً ، منذ قصص كونان دويل الرائعة ، يأتي وقت يكون الباحث قد جمع جميع الحقائق اللازمة لمرحلة واحدة على الأقل من مراحل المسألة التي يبحثها . وفي أغلب الأحيان تبدو هذه الحقائق غريبة متفرقة لا علاقة بينها بالرة . ولكن الباحث البوليسى الخبير يعلم أنه لا يحتاج الآن إلى بحث جديد وأن التفكير البحت يقوده إلى ربط الحقائق التي جمعها ببعضها . وبجأته ، ربما أثناء عزفه على الكمان أو تدخينه لتبغونه وهو جالس في مقعد مريح تحت المعجزة ! فبالإضافة إلى حصوله على تفسير للأدلة الموجودة يعلم أن أموراً معينة لابد وأن تكون قد حدثت . ويستطيع الآن أن يخرج ويجمع أدلة جديدة تقوى نظريته ، وذلك لأنه يعلم الآن أين يبحث عنها .

ويجب على العالم الذي يقرأ أسرار الكون ، إذا سمح لنا أن نعيد استعمال هذه العبارة البالية ، أن يجد الحل لنفسه ، وذلك لأن من المستعذر عليه أن يدير الصفحات الأخيرة للكتاب ويقرأها كما اعتاد أن يفعل قراء القصص الأخرى الذين لا صبر لهم . وفي الحالة الرائعة القارىء هو نفسه الباحث الذى يحاول أن يفسر ولو لدرجة محدودة العلاقة بين الحوادث وما تدل عليه . ولكنى يحصل العالم حتى على حل غير كامل ، يجب عليه أن يجمع الحقائق غير المرتبة التى أمكنه الحصول عليها وينظمها ويجعلها مفهومة وذلك باستعمال التفكير المبدع .

وهدفنا من الصفحات القادمة ، هو وصف عام لعمل علماء الطبيعة ، ذلك العمل الذى يناظر التفكير البحت للباحث البوليسى ، وسنوجه أكثر اهتمامنا

إلى العور الذى تلعبه الأفكار فى البحث عن أسرار الطبيعة ذلك البحث المملوء بالمغامرات .

المرحل الأول :

منذ بدأ التفكير الإنسانى ومحاولات قراءة القصة الغامضة الكبرى مستمرة . ولكن العلماء لم يبدأوا فى فهم لغة هذه القصة إلا منذ زمن يزيد قليلاً عن ثلاثمائة عام . ومنذ ذلك الوقت ، عصر جاليليو ونيوتن ، أخذ العلماء يسرعون فى القراءة . فتكونت وسائل البحث الدقيقة ، وطرق الحصول على الأدلة واقتفاء أثرها . ورغم حل بعض الألغاز الطبيعية فقد ظهر بعد الاستزادة من البحث أن كثيراً من الحلول سطحي ولا يسرى فى جميع الأحوال .

والحركة مسألة أساسية وفى غاية الأهمية . وقد ظلت هذه المسألة غامضة آلافاً من السنين وذلك لشدة تعقدها . وجميع الحركات التى نشاهدها فى الطبيعة مثل حركة حجر قذف فى الهواء ، أو حركة سفينة تسير فى البحر ، أو حركة عربة تدفع فى الطريق ، هى فى الحقيقة مرتبطة ببعضها أشد الارتباط . ولفهم هذه الظواهر ، نحسن أن نبدأ بأبسط الحالات الممكنة ثم نأخذ فى دراسة الحالات الأكثر تعقيداً تدريجياً . اعتبر جسمًا ساكنًا بحيث لا توجد حركة على الإطلاق . لتغيير موضع جسم كهذا يلزم التأثير عليه بطريقة ما ، كدفعه أو رفعه ، أو جعل أجسام أخرى مثل الجياد أو المحركات البخارية تتحرك . ويدلنا الإلهام أن الحركة ترتبط بالدفع أو الرفع أو الشد . وكثرة التجربة تدفعنا إلى أن نحاطر ونقول أنه يجب أن يكون الدفع أشد لسكى تكون حركة الجسم أسرع . ويكون من الطبيعى أن نستنتج أنه كلما كان التأثير على الجسم أقوى كلما كانت سرعته أكبر فالعربة ذات الجياد الأربعة تتحرك أسرع من العربة ذات الجوادين فقط . وندرك بالبديهية ضرورة ارتباط السرعة بالتأثير .

من الحقائق التى يعرفها قراء القصص البوليسية الخيالية أن الدليل الكاذب يعمد القصة ويؤخر الوصول إلى الحل . وقد كانت طريقة التفكير التى أسلاها الإلهام

خاطئة وأدت إلى أفكار غير صحيحة عن الحركة ، وقد ظلت هذه الأفكار سائدة فروعاً كثيرة . وربما كانت مكانة أرسططاليس العظيمة في جميع أنحاء أوروبا هي السبب الرئيسي في استمرار الاعتقاد في هذه الفكرة البدئية زمناً طويلاً . نقبس من كتاب « الميكانيكا » المنسوب إليه منذ أئني عام :

« يسكن الجسم المتحرك إذا توقفت القوة التي تحركه عن التأثير » .

لقد كان اكتشاف جاليليو لطرق التفكير العلمي وتطبيقاته من أهم ما توصلنا إليه في تاريخ التفكير الإنساني ، ولم يبدأ علم الطبيعة حقيقة إلا منذ ذلك الوقت . فقد علمنا هذا الاكتشاف ألا ثنى دائماً بالاستنتاجات البدئية المبنية على الملاحظات السريعة ، وذلك لأنها تعود في بعض الأحيان إلى أدلة خاطئة .

ولكن أين يخطئ الإلهام ؟ هل يكون من الخطأ أن نقول أن العربة التي تجرها أربعة جياد تتحرك أسرع من تلك التي يجوها جوادان فقط ؟
دعنا نخشع الخواص الأساسية للحركة بدقة ، ولنبدأ بالتجارب اليومية البسيطة التي اعتادها الإنسان منذ بدء الحضارة واكتسبها في صراعه للبقاء .

نفرض أن شخصاً يدفع عربة في طريق أفق ، إذا توقف هذا الشخص عن الدفع فجاء فإن العربة تستمر في الحركة مسافة قصيرة قبل أن تسكن ، وتساأل الآن : كيف يمكن زيادة هذه المسافة ؟ توجد طرق مختلفة مثل تشحيم العجلات وجعل الطريق أملس للغاية . فكما دارت العجلات بسهولة وكما كان الطريق أملس ، كلما استمرت العربة في الحركة مدة أطول . ماهو التفسير الذي حدث نتيجة لتشحيم العجلات وجعل الطريق أملس للغاية ؟ فقط الإفلال من تأثير المقبات الخارجية . فقد تناقص فعل ما يسمى بالاحتكاك في كل من العجلات وبين العجلات والطريق . وهذا في حد ذاته تفسير نظري لحقيقة مشاهدة ، وهو في الحقيقة تفسير اختياري . يجب أن نخطو خطوة أخرى هامة إلى الأمام لنحصل على الدليل الصحيح . تخيل طريقاً لا خشونة فيه (أملس ١٠٠ ٪) وعجلات لا احتكاك فيها على الإطلاق . بذلك لا يوجد ما يوقف العربة وعلى ذلك تستمر

في الحركة إلى الأبد . لا نصل إلى هذه النتيجة إلا بالتفكير في تجربة مثالية يستحيل إجراؤها فعلاً ، وذلك لاستحالة التخلص من المؤثرات الخارجية . وهذه التجربة المثالية تبين الدليل الذي هو في الواقع حجر الأساس في ميكانيكا الحركة . بمقارنة طريقتي التفكير في المسألة يمكننا أن نقول : الفكرة الالهامية هي : بازدياد التأثير تزداد السرعة . وعلى ذلك تبين السرعة ما إذا كانت هناك قوى خارجية تؤثر على الجسم . الدليل الجديد الذي وجدته جاليليو هو : إذا لم يدفع الجسم أو يجر أو يؤثر عليه بأية طريقة أخرى ، أو باختصار إذا لم تؤثر قوى خارجية على الجسم فإنه يتحرك بانتظام أى بسرعة ثابتة في خط مستقيم . أى أن السرعة لا تبين ما إذا كان الجسم مؤثراً عليه بقوى خارجية أم لا ؟ وقد صاغ نيوتن نتيجة جاليليو ، وهى النتيجة الصحيحة على هيئة قانون القصور الذاتي بعد ذلك بمدة طويلة . وأول شئ في علم الطبيعة يحفظ عن ظهر قلب في المدارس هو هذا القانون ، وبعضنا يتذكره في الصورة الآتية :

« يحفظ كل جسم ساكن ، أو متحرك حركة منتظمة في خط مستقيم ، بحالته إلا إذا اضطر إلى تغييرها نتيجة لتأثير قوى عليه » .

لقد رأينا أنه لا يمكن الوصول إلى قانون القصور الذاتي هذا مباشرة من التجارب العملية ، وإنما نصل إليه عن طريق التفكير المتفق مع المشاهدة ، ورغم استحالة إجراء التجربة المثالية فعلاً ، فإنها تؤدي إلى فهم شامل لتجارب حقيقية . من بين الحركات المعقدة المختلفة الموجودة حولنا في الحياة ، سنختار الحركة المنتظمة كثال أول وهى أبسط الحالات لعدم وجود قوى خارجية مؤثرة . نلاحظ أنه لا يمكن تحقيق الحركة المنتظمة عملياً ، فالحجر الساقط من برج ، أو العربة المدفوعة في الطريق لا يمكن جعلها تتحرك حركة منتظمة تماماً ، وذلك لاستحالة التخلص من القوى الخارجية .

في القصص البوليسية الجيدة ، تقودنا الأكلة الواضحة في أكثر الأحيان إلى الاتهام الخاطيء . بالمثل في محاولتنا فهم قوانين الكون نجد أن التفسيرات

البيسطة البنية على الإلهام تكون في أغلب الأحيان خاطئة .
إن التفكير الإنسانى لىخلق صورة دأمة التنير للكون ، والذى أضافه جاليليو هو تخلبه من وجهة النظر البنية على الإلهام واستبدالها بأخرى جديدة . وهذا هو ممزى اكتشاف جاليليو .
ويظهر على الفور سؤال آخر يتعلق بالحركة . مادامت السرعة ليست دليلاً على القوى الخارجية المؤثرة على الجسم فما هو هذا الدليل ؟ لقد وجد جاليليو جواب هذا السؤال كما وجده نيوتن فى صورة أكثر اختصاراً ، وهذه الإجابة دليل جديد فى بحثنا .

للحصول على الجواب الصحيح ، يجب أن نمن التفكير فى مسألة العربة التى تتحرك على طريق أملس . فى هذه التجربة التالية كان انتظام الحركة نتيجة لعدم وجود أى قوى خارجية . نفرض أن العربة التى تتحرك بانتظام دفعت فى اتجاه حركتها . ماذا يحدث الآن ؟ واضح أن سرعتها تزداد . كذلك من الواضح أنها إذا دفعت فى عكس اتجاه حركتها فإن سرعتها تنقص . فى الحالة الأولى تنير السرعة وتزداد نتيجة للدفع ، وفى الحالة الثانية تنير السرعة وتنقص نتيجة له . وتلى النتيجة الآتية على الفور : القوى الخارجية تغير السرعة . إذن لا تكون السرعة نفسها نتيجة للدفع ، وإنما يكون تغيرها هو النتيجة ، وأية قوة إما أن تزيد أو تنقص السرعة على حسب ما إذا كانت فى اتجاه الحركة أم فى عكسه .
لقد رأى جاليليو ذلك بوضوح وكتب فى مؤلفه « علمان جديان » :

« إذا اكتسب جسم سرعة معينة فإنه يبق محتفظاً بها مادامت المؤثرات الخارجية التى تعمل على تغييرها بالزيادة أو النقصان غير موجودة ، وهو شرط لا يمكن توفره إلا على المستويات الأفقية وذلك لأنه يوجد فعلا سبب لازيداد السرعة فى حالة المستويات التى تميل إلى أسفل ، كما يوجد سبب لتناقصها فى حالة المستويات التى تميل إلى أعلى ، وعلى ذلك ينتج أن الحركة على المستوى الأفقى تكون مستمرة وذلك لأنه إذا كانت السرعة منتظمة فلا يمكن إقصائها أو من باب أولى ملاشاتها » .

إذا تتبعنا الدليل الصحيح فلنألفهم مسألة الحركة بوضوح . وأساس الميكانيكا الكلاسيكية (القديمة) كما وضعها نيوتن هو العلاقة بين القوة والتغير في السرعة لا السرعة نفسها كما يبدو لنا بالبديهة .

لقد تكلمنا عن فكرتين تلعبان دورين هامين في الميكانيكا الكلاسيكية : القوة والتغير في السرعة . ولقد عمت كلا من هاتين الفكرتين أثناء تطور العلم . لذلك نلزم دراستهما بدقة .

ما هي القوة ؟ نعرف بالبديهة ماذا نعني بهذا اللفظ . لقد نشأت فكرة القوة عن الجهد المبذول في الدفع أو القذف أو الجر - من الإحساس العضلي الذي يصاحب كلا من هذه الأعمال . ولكن تعميم فكرة القوة يذهب إلى أبعد من هذه الأمثلة البسيطة بكثير . يمكننا التفكير في القوة دون أن نتخيل جواً أو يجر عربية ! ونحن نتكلم عن قوة الجذب بين الأرض والشمس وبين الأرض والقمر ، وعن القوة التي تسبب المد والجزر . ونتكلم عن القوة التي تجبرنا الأرض بواسطتها على أن نبقى في دائرة نفوذها (نحن وأى شيء آخر) وعن القوة التي بفضلها تولد الريح الأمواج في البحر وتحرك ورق الأشجار . وعند ما نلاحظ تغييراً في السرعة نلزم السبب على العموم إلى قوة خارجية . كتب نيوتن في مؤلفه « برنسيبيا ^(١) » يقول :

القوة الخارجية : هي فعل يؤثر على جسم ساكن أو متحرك بانتظام في خط مستقيم لتغيير حالته ، وتوجد هذه القوة أثناء تأثيرها فقط ولا تبقى في الجسم بعد انتهاء هذا التأثير ، وذلك لأن الجسم يحتفظ بكل حالة جديدة يصل إليها بواسطة قصوره الذاتي فقط . وتنشأ القوى الخارجية بطرق مختلفة ؛ فقد تنشأ عن الضغط أو التصادم أو عن القوى المركزية .

إذا ألقي حجر من قمة برج ؛ فإن حركته لا تكون منتظمة بحال من الأحوال وتزداد سرعة الحجر أثناء سقوطه . نستنتج إذن وجود قوة خارجية تعمل في اتجاه

(1) Principia.

الحركة ، ويمكن التعبير عن ذلك بطريقة أخرى بأن نقول أن الأرض تجذب الحجر . فلنأخذ مثلاً آخر : ماذا يحدث عند ما يقذف حجر رأسياً إلى أعلى ؟ تتناقص السرعة حتى يصل الحجر إلى أقصى ارتفاع له ثم يبدأ في السقوط . القوة التي تسبب هذا التناقص في السرعة هي نفس القوة التي تسبب ازدياد سرعة الجسم الساقط . في إحدى الحالتين كانت القوة في اتجاه الحركة ، وفي الحالة الثانية كانت القوة في عكس هذا الاتجاه ، والقوة واحدة في الحالتين ولكنها تسبب ازدياد السرعة أو تناقصها على حسب ما إذا كان الحجر ساقطاً أو مقذوفاً إلى أعلى .

الكهيات المتجهة :

جميع الحركات التي درسناها فيما سبق هي حركات خطية ، أى في خط مستقيم والآن يجب أن نخطو خطوة إلى الأمام ، ويمكن فهم قوانين الطبيعة إلى درجة محدودة إذا درسنا أبسط الحالات وتركنا في محاولتنا الأولى جميع التعقيدات . فالخط المستقيم أبسط من المنحنى ، ولكن يستحيل الاكتفاء بفهم الحركة في مستقيم فقط . لحركة كل من القمر والأرض والنجوم هي حركات في مسارات منحنية ، وقد طبقت قوانين الميكانيكا بنجاح باهر على جميع هذه الحركات . والانتقال من الحركة الخطية المستقيمة إلى الحركة على منحنى يجلب صعوبات جديدة ويجب أن تكون لدينا الشجاعة الكافية لتخطي هذه الصعوبات إذا أردنا فهم قواعد الميكانيكا الكلاسيكية التي أعطتنا الإرشادات الأولى وبذلك كونت نقطة الابتداء في تطور العلم .

اعتبر الآن تجربة مثالية أخرى ، حيث تتدحرج كرة منتظمة بانتظام على نضد أملس . نعلم أننا إذا دفنا الكرة ، أى إذا أثرتنا عليها بقوة خارجية ، فإن سرعتها تتغير . لنفرض الآن أن اتجاه الدفع ليس في اتجاه الحركة كما في حالة العربة وإعسا في اتجاه آخر مخالف وليكن العمودى على هذا الاتجاه مثلاً . ماذا يحدث للكرة ؟ يمكن تمييز ثلاثة أطوار للحركة : الحركة الابتدائية ، تأثير القوة ، الحركة النهائية بعد توقف تأثير القوة . وحسب قانون التفسير الثاني ، تكون سرعتنا الكرة

قبل وبعد تأثير القوة منتظمتين تماماً . ولكن تختلف الحركة المنتظمة بعد تأثيرها ؛ فقد تنبأ اتجاه الحركة . اتجاه الحركة الابتدائية للكرة واتجاه القوة متعامدان . ولا تكون الحركة النهائية للكرة في أحد هذين الاتجاهين وإنما تقع بينهما ، ويكون اتجاهها أقرب إلى اتجاه القوة إذا كان الدفع شديداً وأقرب إلى اتجاه حركتها الأصلية إذا كان الدفع بسيطاً والسرعة الابتدائية كبيرة . نستخلص الآن النتيجة الجديدة الآتية البتية على قانون القصور الذاتي : يتغير مقدار السرعة بصفة عامة ، وكذا اتجاهها نتيجة لتأثير القوة . وفهم هذه الحقيقة يعهد الطريق إلى التعميم الذي أدخل على علم الطبيعة بواسطة فكرة الكميات المتجهة .

يمكننا أن نستمر في هذه الطريقة المنطقية المباشرة . وتكون نقطة الابتداء مرة أخرى هي قانون القصور الذاتي لجاليليو ، إذ لا يزال مجال استخدام نتائج هذا الدليل القيم في كشف لنز الحركة واسعاً .

لنعتبر كرتين تتحركان في اتجاهين مختلفين على نضد أملس . ولكي يكون لدينا صورة محددة للمسألة نفرض أن هذين الاتجاهين متعامدان نتيجة لعدم تأثير قوى خارجية ، تكون هاتان الحركتان منتظمتين تماماً . زيادة على ذلك نفرض أن القيمة العددية لسرعة كلا من الكرتين واحدة ، أي أنهما يقطعان نفس المسافة في نفس الفترة الزمنية الواحدة . ولكن هل يكون صحيحاً أن نقول أن الكرتين تتحركان بنفس السرعة ؟ يصح أن نجيب على هذا السؤال بنعم أو لا ! لقد جرت العادة أن نقول أن سيارتين تسيران بسرعة واحدة إذا كان عداد السرعة في كل منهما يبين أربعين ميلاً في الساعة مثلاً . مهما كان اتجاهي حركتهما . ولكن يجب على العلم أن يخلق لنته الخاصة وأفكاره الخاصة لاستعماله الخاص . غالباً ما تبدأ الأفكار العلمية بتلك المستعملة في اللغة العادية التي تستخدم في الحياة اليومية ولكنها تختلف عنها تماماً بعد تطورها . فهي تتحول وتتخلص من النعوض الذي كان يلزمها في اللغة العادية وتصبح مضبوطة بدرجة تمكننا من تطبيقها علمياً . من وجهة نظر علم الطبيعة يكون من الأفضل أن نقول أن سرعتي الكرتين المتحركتين في اتجاهين مختلفين مختلفتان ، ومن الأنسب أن نقول أنه إذا تحركت

أربع سيارات متفرقة من ميدان واحد إلى أربعة شوارع مختلفة متفرعة من هذا الميدان فإن سرعاتها لا تكون متساوية حتى ولو سجلت عدادات السرعة في كل منهما أربعين ميلا في الساعة مثلا . وهذا التفريق بين السرعة وبين قيمتها العددية هو مثل بين كيف يميز علم الطبيعة إحدى الأفكار المستعملة يوميا بطريقة تثبت فائدتها في تطورات العلم التالية .

إذا قسنا 'بعداً' من الأبعاد فإننا نمر من النتيجة بعدد معين من الوحدات . فطول عصا معينة قد يكون ثلاثة أقدام وتسع بوصات ، ووزن جسم معين قد يكون رطلان وثلاثة أوقيات ، كقياس الفترات الزمنية بالدقائق والثواني . في كل من هذه الحالات نمر عن نتيجة القياس بعدد ، ولكن العدد وحده لا يكفي لوصف بعض الظواهر الطبيعية ، وبعد إدراك هذه الحقيقة تقدماً واضحاً في طريقة البحث العلمي . بالإضافة إلى العدد ، يلزم تحديد اتجاه لتعيين سرعة ما . وتسمى أية كمية من هذا القبيل أى ذات مقدار واتجاه : كمية متجهة . والزمن الذي يناسب الكمية المتجهة هو سهم . يمكن تمثيل السرعة بسهم ، أو باختصار ، بمتجه طوله يمثل القيمة العددية للسرعة في نظام وحدات معين واتجاهه هو اتجاه الحركة .

إذا تفرقت أربع سيارات من ميدان واحد بسرعة لها نفس القيمة العددية فإنه يمكن تمثيل سرعاتها بأربعة متجهات متساوية الطول كما هو واضح من الشكل . في القياس المستعمل تمثل البوصة ٤٠ ميلا في الساعة بهذه الطريقة يمكن تمثيل أية سرعة بمتجه ، وبالعكس إذا علم المتجه ومقياس الرسم فمن الممكن الحصول على السرعة .

إذا تقابلت سيارتان تسيران في نفس الطريق في اتجاهين متضادين ، وكان عداد السرعة في كل منهما يبين ٤٠ ميلا

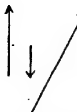


في الساعة ، فإن سرعتيها تمثلان متجهين مختلفين يشير سهم الأول في عكس اتجاه سهم الثاني . بالمثل يجب أن يشير السهمان اللذان يبينان اتجاهي القطارات « من » و « إلى » المدينة في اتجاهين متضادين ، ولكن جميع القطارات الموجودة في أرصفة المحطات المختلفة والمتحركة نحو المدينة بسرعة



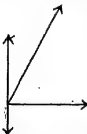
قيمتها العددية واحدة تكون لها نفس السرعة التي يمكن تمثيلها جميعاً بمتجه واحد ، ولا يوجد أي شيء في هذا المتجه يبين المحطة التي يمر بها القطار أو الرصيف الخاص الذي كان عليه ، ومعنى ذلك أنه حسب المبدأ المتفق عليه ، يمكن اعتبار جميع هذه التجهات ومايمثلها كما

هو مبين في الشكل متساوية ، وهي تقع في نفس الخط أو في خطوط متوازية وتكون متساوية الطول ، وأخيراً تشير أسهمها جميعاً إلى نفس الاتجاه .



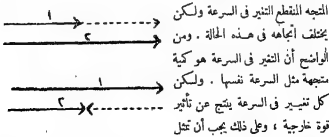
يبين الشكل التالي متجهات غير متساوية وذلك لأنها تختلف إما في المقدار أو في الاتجاه أو في كليهما ، ويمكن رسم الأربعة متجهات هذه بطريقة أخرى بحيث

تتفرق جميعها من نقطة واحدة . وحيث أن نقطة الابتداء لا تهم ، يمكن أن تمثل هذه التجهات سرعات أربع سيارات تتفرق من نقطة مرور واحدة ، أو سرعات أربع سيارات تتحرك في أربعة أماكن مختلفة من المدينة بسرعات قيمها العددية واتجاهها كما هو مبين في الشكل .



يمكننا الآن استعمال التمثيل بالمتجهات في شرح الحقائق الخاصة بالحركة الخطية التي بحثناها من قبل . لقد تكلمنا عن عربة تتحرك بانتظام

في خط مستقيم ، تدفع في اتجاه حركتها فتزداد سرعتها . يمكن تمثيل ذلك بيانياً بمتجهه ، الأول قصير ويمثل السرعة قبل الدفع ، والثاني أطول وله نفس الاتجاه ويمثل السرعة بعد الدفع ومعنى المتجه المتقطع واضح ؛ فهو يمثل التغير في السرعة الذي سببه الدفع . والحالة التي تكون فيها القوة في عكس اتجاه الحركة والتي تنقص فيها السرعة ، يختلف فيها الرسم بعض الشيء عما سبق . مرة أخرى نناظر



هذه القوة بمتجه أيضاً . ولكي تميز القوة لا يكفي أن نحدد الشدة التي تدفع بها العربة ، وإنما يجب أن نحدد أيضاً اتجاه الدفع . والقوة مثلها في ذلك مثل السرعة ومثل التغير في السرعة يجب تمثيلها بمتجه وليس بمدد فقط . وعلى ذلك : القوة الخارجية هي أيضاً كمية متجهة ، ويجب أن يكون اتجاهها هو اتجاه التغير في السرعة . في الشكلين السابقين تبين المتجهات المثلة بخطوط متقطعة اتجاه القوة حيث أنها تمثل التغير في السرعة .

وربما يقول التشائم هنا أنه لا يجد ميزة في استعمال المتجهات ، وإن كل ما حدث هو ترجمة حقائق معلومة لنا إلى لغة معقدة وغير عادية . ويصعب في هذه المرحلة إقناع مثل هذا الشخص بخطأ تفكيره ؛ وحتى الآن هو في الواقع محق في قوله ولكننا نسرى أن نفس هذه اللغة الغريبة ستقودنا إلى تبعيم هام يستلزم وجود المتجهات .

لفر الحركة :

بإقتصارنا على دراسة الحركة الخطية فقط ، نبقى بميدان فهم الحركات التي نراها يوميا في الحياة . لذلك يجب علينا بحث الحركة في مسارات منحنية ؛ وخطوتنا التالية هي تعيين القوانين التي تحدد مثل هذه الحركة . وليس هذا بالعمل السهل . لقد أثبتت أفكارنا عن السرعة وتغيرها والقوة فائدتها العظيمة في حالة الحركة الخطية . ولكننا لا نرى على الفور كيفية تطبيق هذه الأفكار على الحركة في مسار منحني . ومن الممكن طبعا أن نتصور أن الأفكار القديمة لا تنفيذ في وصف الحركة العامة وأن من اللازم إيجاد أخرى جديدة . هل سنسير في طريقنا القديم أم سنبحث عن آخر جديد ؟

من العمليات التي نستخدم كثيرا في العلم عملية تعميم فكرة معينة ، وطريقة التعميم نفسها ليست محددة ، لأنه توجد في الغالب طرق مختلفة للقيام به ولكن يجب أن يتحقق شرط معين : يجب أن تؤول أية فكرة يعد تعميمها إلى الفكرة الأصلية إذا توفرت الشروط الأصلية .

وأنسب طريقة لتوضيح ذلك هو بحث المثال الموجود بين يدينا . يمكننا محاولة تعميم أفكارنا القديمة عن السرعة ، التغير في السرعة ، القوة في حالة الحركة في مسار منحني . وبعبارة المسارات المنحنية تشمل الخطوط المستقيمة فالخط المستقيم حالة خاصة وتافهة من المنحني . وعلى ذلك إذا أدخلت فكرة السرعة ، والتغير في السرعة والقوة لحالة الحركة في خط منحني فلنأخذها كأنها قد أدخلت أو توأمت بها للحركة في خط مستقيم ويجب ألا تتعارض هذه النتيجة مع النتائج التي حصلنا عليها سابقا . إذا أصبح المنحني خطا مستقيما وجب أن تؤول الأفكار العامة الجديدة إلى الأفكار المألوفة التي استطعنا بواسطتها وصف الحركة الخطية . ولكن هذا الشرط لا يكفي لتعيين التعميم الوحيد المطلوب ، إذ قد يستوفي هذا الشرط بأكثر من طريقة واحدة . وبين لنا تاريخ العلم أن أبسط تعميم ممكن ينجح

في بعض الاحيان ويفشل في أحيان أخرى . وتضمن طريقة التعميم الصحيحة في حالتنا الخاصة هذه بسيط للناية . وسنجد أن الأفكار الجديدة مفيدة للغاية وانها كما تساعد على فهم حركة حجر مقذوف في الهواء تساعد أيضاً على فهم حركة الكواكب .

والآن على أى شيء تدل كلمات السرعة ، التغير في السرعة ، القوة ، في الحالة العامة ، أى في حالة الحركة في خط منحنى ؟ فلنبداً بالسرعة . يتحرك جسم صغير

جداً على المنحنى من اليسار

إلى اليمين . يسمى مثل هذا

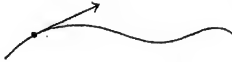
الجسم الصغير في أغلب



الأحيان نقطة مادية . وتبين الدائرة الصغيرة على المنحنى في الشكل السابق موضع النقطة المادية عند لحظة معينة من الزمن . ماهى السرعة التى تناظر هذا الموضع وهذه اللحظة الزمنية ؟ مرة أخرى يبين دليل جاليليو طريقة لتعريف السرعة ويجب أن نلجأ إلى الخيال مرة أخرى ونفكر في تجربة مثالية . تتحرك النقطة المادية على المنحنى من اليسار إلى اليمين تحت تأثير قوى خارجية فلنتخيل الآن أنه عند لحظة معينة وعند النقطة التى تدل عليها الدائرة الصغيرة ، توقفت جميع هذه القوى عن التأثير . حسب قانون القصور الذاتي يجب أن تصبح الحركة منتظمة نتيجة لذلك . في الحياة العملية يستحيل علينا بالطبع أن نمنع جميع القوى الخارجية من التأثير على جسم ما ويمكننا فقط أن نقول « ماذا يحدث إذا ... ؟ » ونحكم على صحة هذا التفكير بالنتائج التى نحصل عليها منه وباتفاق هذه النتائج مع التجربة .

يبين التجه في الشكل التالى اتجاه الحركة المنتظمة كما تتصوره على فرض ثلاثى جميع القوى الخارجية وهو اتجاه المستقيمسمى بالمس . وإذا نظرنا بالميكروسكوب إلى النقطة المادية المتحركة فإننا لآرى إلا جزءاً صغيراً جداً من

المنحنى ويظهر هذا الجزء كقطعة مستقيمة صغيرة ، والمماس هو امتداد هذه القطعة



والتجه المبين يمثل السرعة عند لحظة معلومة ويقع متجه السرعة على المماس. ويمثل طول هذا التجه القيمة العددية للسرعة كما يبينها عداد السرعة في سيارة مثلاً .
يجب ألا ننهم كثيراً بالتجربة المثالية التي نفترض فيها تلاشي القوة لكي نحصل على اتجاه السرعة فهي تساعدنا فقط على فهم ما يجب أن نسميه متجه السرعة وتمكننا من تعيينه عند موضع معين ولحظة معينة .

الشكل التالي يبين متجهات سرعة نقطة مادية تتحرك على منحنى عند ثلاثة مواضع مختلفة : في هذه الحالة يتغير كل من اتجاه السرعة ومقدارها (التي يمثل بطول التجه) أثناء الحركة .



هل تحقق هذه الفكرة الجديدة عن السرعة جميع ما تتطلبه في التعميمات المختلفة أي هل تؤول هذه الفكرة إلى الفكرة المألوفة للسرعة عند ما يصبح المنحنى خطاً مستقيماً ؟ من الواضح أنها تحقق ذلك . فالمماس لخط مستقيم هو المستقيم نفسه ويقع متجه السرعة على خط الحركة نفسه كما في حالة العربة المتحركة أو الكرات المتحركة .

وخطوتنا التالية هي إيجاد معنى التغير في سرعة نقطة مادية تتحرك في منحنى .
يمكن الحصول على ذلك بطرق مختلفة وسنختار أبسطها وأنسبها . يبين الشكل السابق عدة متجهات للسرعة تمثل الحركة عند نقط مختلفة من المسار ويمكن كما

رأينا من قبل رسم التجبين الأول والثاني مرة أخرى بحيث يشتركان في نقطة
الابتداء .



الثاني . ولأول وهلة قد يظهر تعريف التنير في السرعة هذا كأنه عديم المعنى
ومتكلف . ويزداد وضوح هذا التعريف عندما يكون اتجاه التجبين (١) ، (٢)
واحداً . ومعنى ذلك طبعا هو العودة إلى حالة الحركة في خط مستقيم . إذا كانت
نقطة ابتداء التجبين واحدة فإن التنج المنقطع يصل بين نهايتهما أيضا . ويصبح
الرسم في هذه الحالة مطابقا للوجود في (ص ١٢) ونحصل على الفكرة القديمة
كحالة خاصة من الفكرة الجديدة . وقد يكون
من المفيد أن نشير هنا إلى أننا اضطررنا
لفصل بين الخطين في الرسم السابق
لكي لا ينطبقا ويصبح من المستحيل التفريق بينهما .

يبقى علينا الآن أن نخطو الخطوة الأخيرة في عملية التعميم هذه وهي أهم
التعميمات التي فكرنا فيها إلى الآن يجب إيجاد العلاقة بين القوة والتنير في السرعة
وذلك لكي نصوصغ الدليل الذي يمكننا من فهم موضوع الحركة العام .

لقد كان الدليل الذي أدى إلى شرح الحركة في خط مستقيم بسيطا . القوى
الخارجية هي سبب التنير في السرعة ، وإذاً يكون لتنج القوة نفس اتجاه هذا
التنير . والآن ما الذي سنأخذه كدليل لشرح الحركة في منحني ؟ نفس الشيء
تماما ! والفرق الوحيد هو أن تنير السرعة الآن معنى أوسع من معناه السابق
ونظرة واحدة إلى التنجيات المثلثة بخطوط متقطعة في الشكلين السابقين توضح

هذه النقطة تماما . إذا أعطيت السرعة عند جميع نقط المنحنى فإنه يمكننا على الفور استنتاج اتجاه القوة عند أى نقطة . ويجب رسم متجهى السرعة عند لحظتين متقاربتين جدا وبذلك يتأطران موضعين قريبين جدا من بعضهما . واتجه الواصل بين نهاية المتجه الأول إلى نهاية المتجه الثانى يبين اتجاه القوة المؤثرة ولكن من المهم جدا أن تكون الفترة الزمنية بين اللحظتين اللتين تمثل السرعة عندهما بهذين التجهين «صغيرة جدا» والتحليل الدقيق للمبارات التى تعادل «قريبة جدا» ، «صغيرة جدا» ليس سهلا على الاطلاق . والواقع أن هذا التحليل هو الذى قاد نيوتن ولينتر إلى اكتشاف حساب التفاضل .

إن الطريق الذى يقودنا إلى تعميم دليل جاليليو متعب للغاية . ولا يمكننا أن نبين هنا كثرة نتائج هذا التعميم وفوائد هذه النتائج . وتطبيق هذا التعميم يقودنا إلى كثير من التفسيرات البسيطة الممتعة لكثير من الحقائق التى كانت مفككة وغير مفهومة قبل ذلك .

من بين الحركات الكثيرة التى لاحظها استختر أبسطها فقط وتطبق القانون الذى وجدناه الآن فى شرحها .

إذا أطلقت رصاصة من بندقية ، أو قذف حجر فى اتجاه مائل ، أو اندفع ماء من خرطوم ، فإنها جميعا ترسم مسارات متشابهة ومألوفة لنا . هذه المسارات هى قطاعات مكافئة . تصور عدادا للسرعة مثبتا فى حجر مثلا ، وذلك لى تتمكن من رسم متجه سرعته عند أى لحظة . والرسم التالى يبين النتيجة .



اتجاه القوة المؤثرة على الحجر هو نفس اتجاه التغير فى سرعته ، وقد رأينا كيف نعين هذا الأخير ، والنتيجة المبينة فى الرسم التالى توضح أن القوة رأسية

الم أسفل . ومحدث نفس الشيء في حالة سقوط حجر من قمة برج .
المساران مختلفان وكذلك السرعتان ولكن التنير في السرعة له نفس الاتجاه ،
وهو نحو مركز الأرض .



إذا ربطنا حجر في نهاية
خيط وجعلناه يدور في مستو
أفقي فإنه يتحرك في مسار دائري .

أطوال جميع التجهات الموجودة في الشكل الذى يمثل هذه الحركة تكون
متساوية إذا كانت القيمة المدية للسرعة ثابتة وإلغى من ذلك فإن السرعة

ليست منتظمة . لأن المسار

ليس خطاً مستقيماً ، والحركة

المنتظمة في خط مستقيم هي

الحركة الوحيدة الممكن حدوثها

دون تأثير قوى ، وفي حالتنا

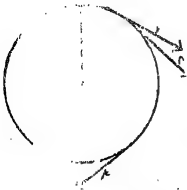
هذه توجد قوى مؤثرة والذى

يتنير هو اتجاه السرعة لا قيمتها

وحسب قانون الحركة يتحتم

وجود قوة ما تسبب هذا التنير ،

وهي في هذه الحالة قوة بين الحجر



وبين اليد المسكة بالخيط . ويطرأ السؤال الآتى على

الذهن فوراً : ما هو اتجاه تأثير هذه القوة ؟ مرة

أخرى يعطينا رسم التجهات الجواب : رسم متجهي

السرعة عند نقطتين قريبتين جداً ومن ذلك نحصل

على التنير في السرعة . نلاحظ أن هذا التنج

الأخير له نفس اتجاه الخيط ويكون دائماً عمودياً على اتجاه السرعة أى على المماس .

أى أن اليد تؤثر على الحجر بقوة بواسطة الخيط .

ودوران القمر حول الأرض مثال مشابه للسابق وذو أهمية كبرى . ويمكن



تمثيل هذا الدوران تقريباً بحركة دائرية منتظمة . وتوجه القوة نحو الأرض لنفس السبب الذى كانت القوة من أجله موجهة نحو اليد فى المثال السابق . لا يوجد خيط يصل بين القمر والأرض ولكن يمكننا أن نتخيل خطاً واصلاً بين مركزي هذين الجسمين . تقع القوة على هذا الخط وتكون نحو مركز الأرض ، مثلها فى ذلك مثل القوة المؤثرة على الحجر الملقوف فى الهواء أو الساقط من برج .

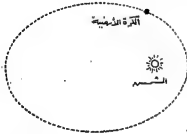
ويمكن تلخيص جميع ما قلناه عن الحركة فى جملة واحدة . القوة والتغير فى السرعة متجهان لها نفس الاتجاه . هذا هو الدليل الأول لمعضلة الحركة ، ولكن من المؤكد أنه لا يكفى لتفسير جميع الحركات التى نراها تفسيراً تاماً . لقد كان التحول من طريقة تفكير أرسطو إلى طريقة تفكير جاليليو من أهم الأسس التى بنى عليها العلم . فبعد هذا التحول أصبح طريق التطورات التالية واضحاً ، والذى يهمننا هنا هو مراحل التطور الأولى ، وتتبع الأدلة الأولى وتوضح كيف تنشأ الأفكار العلمية نتيجة للصراع العنيف مع الأفكار القديمة . نحن نهتم هنا بالأعمال العظيمة فى العلم فقط بمثل إيجاد طرق جديدة وغير متوقعة للبحث ومثل مخاطر التفكير العلمى التى تخلف صورة دائمة التغير للكون . وتكون الخطوات الأولى الأساسية ذات طابع ثورى دائماً ، فلتجلى العلمى يرى أن الأفكار القديمة ضيقة ومحدودة فينبغيها بأخرى جديدة ، والإنتاج المستمر حول فكرة موجودة فعلاً يكون دائماً أقرب إلى التطور إلى أن تصل إلى مرحلة معينة فيصبح من الضروري فتح مجال جديد ، ومع ذلك فلكى نفهم الأسباب والسموات التى تسبب تغييراً فى مبادئ هامة يجب علينا أن نعلم الأدلة الأولى وأيضاً النتائج التى يمكن استخلاصها منها .

من أهم مميزات علم الطبيعة الحديث أن النتائج المستخلصة من الأدلة الأولى ليست نوعية فقط بل كمية أيضاً . فلنعتبر مرة أخرى حالة الحجر الساقط من برج . لقد رأينا أن سرعته تزداد بإزدياد المسافة التى يستقطها . ولكننا نريد أن نعلم أكثر من ذلك ، ما هو مقدار التغير فى السرعة ؟ وما هى سرعة وموضع الحجر عند لحظة معينة بعد بدء الحركة ؟ نريد أن يكون فى استطاعتنا التنبؤ بما سيحدث

وأن نعين بالتجربة مدى صحة هذا التنبؤ وبالتالي مدى صحة الفروض الأولى .

وللحصول على نتائج كمية يجب استعمال لغة الرياضة . معظم أفكار العلم الأساسية بسيطة في لها ويمكن في أغلب الأحيان التعبير عنها بلغة يفهمها الشخص العادي . وتتبع هذه الأفكار يستلزم الإلمام بطرق بحث متقدمة للغاية ، ولكي نستخلص نتائج يمكن مقارنتها بماحصل عليه من التجارب يجب استخدام علم الرياضة كوسيلة منطقية . يمكننا أن نتجنب استعمال لغة الرياضة ما دمت لا نهتم إلا بالأفكار الطبيعية الأساسية . وحيث أننا نفعل ذلك باستمرار في هذا الكتاب ، سنضطر في بعض الأحيان أن نكتفي بذكر النتائج الضرورية لفهم الأدلة الهامة التي تنشأ عن التطورات التالية دون ذكر البرهان . والتمن الذي ندفعه لتجنب لغة الرياضة هو نقص في الدقة واضطرابنا في بعض الأحيان إلى ذكر نتائج دون أن نبين كيفية الوصول إليها .

وأحد الأمثلة الهامة هو حركة الأرض حول الشمس . من المعلوم أن المسار هو منحني مقفل يسمى قطع ناقص . برسم شكل يبين متجهات التغير في السرعة ، نرى أن اتجاه القوة المؤثرة على الأرض هو نحو الشمس . ولكن هذه الملاحظة ليست كاملة مطلقاً فنحن نود أن يكون في استطاعتنا أن نعلم موضع الأرض والكوكب



الأخرى عند أى وقت ، ونود أيضاً أن يكون في استطاعتنا التنبؤ بوقت حدوث فترة استمرار الكسوف الشمسي التالي وبكثير من الظواهر الفلكية الأخرى . إن هذا ممكن ولكن ليس على أساس الدليل الأول فقط .

لأنه يتحتم للحصول على المعلومات السابقة معرفة اتجاه القوة وأيضاً قيمتها المطلقة أى مقدارها . ونيوتن هو الذي أتجه الاتجاه الصحيح عند هذه النقطة . وقد كان عمله عظيماً حقاً . فحسب قانون الجاذبية المنسوب له تربط قوة الجذب بين جسمين

ارتباطاً بسيطاً بالبعد بينهما . وتضغر القوة عندما يزداد هذا البعد . ولكي نكون أكثر دقة نقول أن القوة تضغر إلى $\frac{1}{\times}$ = $\frac{1}{\times}$ قيمتها عندما يتضاعف البعد ، وإلى $\frac{1}{\times} \times \frac{1}{\times}$ = $\frac{1}{\times^2}$ قيمتها عندما يزداد البعد إلى ثلاثة أمثاله .

على ذلك نرى أنه يمكن في حالة قوة الجذب التعبير ببساطة عن الارتباط بين القوة وبين البعد بين الجسمين المتحركين .

تتبع نفس الطريقة في جميع الحالات الأخرى التي تؤثر فيها قوى أخرى مختلفة مثل القوى المغناطيسية والكهربائية وما شابهها ، ونحاول أن نبر بصيغة بسيطة عن القوة ولا نكون محقين في التعبير عن القوة بهذه الصيغة إلا إذا حققنا النتائج المستخلصة منها بالتجربة .

ولكن معرفة قوة الجذب وحدها لا تكفي لتحديد حركة الكواكب: لقد رأينا أن المتجهين اللذين يمثلان القوة وتغير السرعة في فترة زمنية قصيرة يكونان في نفس الاتجاه . يجب الآن أن تتبع نيوتن ونخطو خطوة أخرى فنفترض علاقة بسيطة بين طولي هذين المتجهين . تحت نفس الشروط السابقة ، أي إذا اعتبرنا حركة نفس الجسم في فترات صغيرة من الزمن فرأى نيوتن أن التغير في السرعة سيتناسب مع القوة . أي أنه يلزم تخمين فكرتين مكملتين لبعضهما للحصول على نتائج كمية لحركة الكواكب . الفكرة الأولى عامة وهي تعطى العلاقة بين القوة والتغير في السرعة . والثانية خاصة وهي تحدد بالضبط العلاقة بين القوة المؤثرة المعينة وبين البعد بين الجسمين . والفكرة الأولى هي قانون الحركة لنيوتن والثانية هي قانون الجاذبية له أيضاً . والفكرتان معاً تعينان الحركة تماماً . ويتضح ذلك من المنطق التالي الذي قد يبدو غامضاً بعض الشيء . نفرض أننا عند لحظة معينة نعلم موضع وسرعة كوكب وأيضاً القوة المؤثرة عليه . باستعمال قوانين نيوتن نستطيع أن نعين التغير في السرعة في فترة زمنية قصيرة . وحيث أننا نعلم الآن السرعة الابتدائية ونغيرها ، يكون في استطاعتنا تعيين موضع وسرعة الكوكب في نهاية الفترة الزمنية . بالتكرار المستمر لهذه العملية ، يمكن الحصول على المسار الكامل للكوكب دون الحاجة إلى أية أحصائيات أخرى من التي نحصل عليها بالملاحظة

وهذه هي الطريقة النظرية التي تستطيع الميكانيكا بواسطتها أن تتنبأ بسير جسم متحرك ، ولكن يصعب تطبيق هذه الطريقة عمليا . ففي الواقع تكون هذه الطريقة متعبة للغاية وغير دقيقة . ومن حسن الحظ اننا غير مضطرين لاستعمال هذه الطريقة ، فلم الرياضة يهيم طريقا أقصر يمكننا من وصف الحركة وصفا دقيقا والمجهود المستعمل الذي يندل في ذلك يكون أقل بكثير من المجهود الذي يندل في كتابة جملة واحدة . ويمكن التأكد من صحة أو خطأ النتائج التي يحصل عليها من هذا الطريق بالشاهدة .

القوة التي تلاحظها في حركة الحجر الساقط في الهواء والقوة التي تلاحظها في دوران القمر في مساره هما قوتان من نوع واحد ألا وهو جذب الأرض للأجسام المادية . ولقد أدرك نيوتن أن حركة الأحجار الساقطة وحركة القمر والكواكب ليست إلا ظواهر خاصة لقوة جذب عامة تؤثر بين أى جسمين . في الحالات البسيطة يمكن باستعمال علم الرياضة وصف الحركة والتنبؤ بها . أما في الحالات المعقدة التي تشمل تأثير أجسام كثيرة على بعضها فلا يكون من السهل وصف الحركة رياضيا ولكن تبقى القواعد الأساسية بدون تغير .

نرى الآن أن النتائج التي توصلنا إليها بتتبع الأدلة الأولى صحيحة في حالة حركة الحجر المقذوف وفي حالة حركة القمر والأرض والكواكب .

والذي يجب اختبار صحته بالتجربة العملية هو طريقتنا في التفكير جميعها . ولا يمكن اختبار صحة أى من الفروض على حدة . ولقد نجحت قوانين الميكانيكا هذه نجاحا باهرا في تفسير حركة الكواكب حول الشمس ، ومع ذلك فقد توجد قوانين أخرى مبنية على فروض مختلفة وتنجح أيضا في تفسير ذلك .

أن نظريات علم الطبيعة هي ابتكارات حرة للعقل البشري وليست كما قد يظهر ، وحيدة ومحدودة تماما بالعالم الخارجي ، ونحن في محاولتنا فهم الحقيقة نشبه رجلا يحاول فهم تركيب ساعة مغلقة . وهو يرى وجهها وعقاربها المتحركة ويسمع أيضا دقاتها ولكنه لا يستطيع فتح صندوقها . وإذا كان الرجل عبقريا فإنه قد يستطيع أن يكون صورة ما لتركيب قد يسبب جميع ما يشاهده به ولكنه لن يكون

بحال من الأحوال متأكدًا من أن هذا هو التركيب الوحيد الذى يسبب مشاهداته ويستحيل عليه أيضا أن يقارن الصورة التى كونها لنفسه بالتركيب الحقيقى ، بل أنه ليعتذر عليه أن يتخيل امكان أو معنى هذه المقارنة . ولكن من المؤكد أنه يعتقد أنه كلما زاد من معوماته كلما أصبحت الصورة التى يكونها عن الواقع بسيطة وكما فسرت هذه الصورة عددا أكبر من مشاهداته . كما أنه قد يعتقد فى وجود النهاية المثالية للمعرفة وفى اقتراب العقل البشرى منها . وربما اطلق على هذه النهاية المثالية لفظ الحقيقة الموضوعية .

يبقى دليل آخر :

يهيأ للانسان عند البدء فى دراسة الميكانيكا ، أن كل شىء فى هذا الفرع من العلوم بسيط وأن مجال البحث فيه قد انتهى ، ويندر أن يفكر الانسان فى وجود دليل هام لم يلاحظه أحد لمدة ثلاثة قرون . ويرتبط هذا الدليل الذى عانى الاهمال باحدى الأسس الهامة فى الميكانيكا — الكتلة .

ستعود مرة أخرى إلى تجربتنا المثالية البسيطة . حركة عربة على طريق أملس تماما . إذا كانت العربة ساكنة عند بدء الحركة ثم دفعت فلأنها تتحرك بعد ذلك بسرعة منتظمة معينة . نفرض الآن أن من الممكن إعادة هذه العملية بمخذايرها أى عدد مطلوب من المرات بحيث تؤثر نفس القوة فى نفس الاتجاه على نفس العربة مهما كان عدد مرات تكرار هذه التجربة فلنأنا نحصل دائما على نفس السرعة النهائية : ماذا يحدث لو أننا غيرنا التجربة أى ماذا يحدث مثلا لو أن العربة كانت فارغة فى التجربة الأولى ومحملة فى الثانية ؟ تكون السرعة النهائية للعربة المحملة أقل من السرعة النهائية للعربة الفارغة . من ذلك نستنتج أنه إذا أثرت قوة واحدة على جسمين مختلفى الكتلة فحركتهما من حالة السكون فإن سرعتيهما الناتجتين لا تكونان متساويتين أى أن السرعة تتوقف على كتلة الجسم وتكون العربة أقل إذا كانت الكتلة أكبر .

على ذلك نستطيع ، ولو نظريا ، أن نعين كتلة جسم ما ، أو بمقايير أدق

فستطيع أن تعين النسبة بين كتلة جسم ما وكتلة جسم آخر فإذا كان لدينا قوتان متساويتان تؤثران على كتلتين ساكنتين ، ووجدنا أن سرعة الكتلة الأولى بعد التأثير تساوى ثلاثة أضعاف سرعة الكتلة الثانية فإننا نستنتج أن الكتلة الأولى تساوى ثلث الكتلة الثانية . وطبعاً ليست هذه بطريقة عملية لتعيين النسبة بين كتلتين . ومع ذلك فيمكننا أن نتخيل أننا قد تمكنا من تعيين هذه النسبة إما بهذه الوسيلة أو بأية وسيلة أخرى مبنية على قانون القصور الذاتى .

كيف نقدر الكتل فى الحياة العملية ؟ طبعا ليس بالطريقة التى ذكرناها فيها سبق . كل شخص يعرف الإجابة الصحيحة لهذا السؤال ، فنحن نقدر الكتل بوزنها على ميزان .

دعنا نبحث بالتفصيل الطريقتين المختلفتين لتعيين الكتلة .

لا توجد أية علاقة بين التجربة الأولى وبين الجاذبية الأرضية فالعربة : تتحرك بعد الدفع على مستوى أفقى أملس . وقوة الجاذبية التى تسبب بقاء العربة على المستوى تبقى ثابتة ولا تدخل مطلقاً فى تعيين الكتلة . أما حالة الوزن فتختلف عن ذلك . يستحيل علينا استعمال الميزان إذا لم تجذب الأرض الأجسام ، أى إذا لم توجد قوة الجاذبية . الفرق بين طريقتي تعيين الكتلة هو أنه لا علاقة للأولى بقوة الجاذبية بينما أساس الثانية هو وجود هذه القوة .

وتسأل الآن هل نحصل على نفس النتيجة إذا عينا النسبة بين الكتلتين بكل من الطريقتين السابقتين ؟ وتعطينا التجارب إجابة صريحة على هذا السؤال . النتيجة هى نفسها بالضبط فى الحالتين ؛ هذه النتيجة التى كان من المستحيل التنبؤ بها مبنية على المشاهدة لاعلى المنطق . دعنا لفرض التبسيط نسمى الكتلة المعينة بالتجربة الأولى كتلة القصور الذاتى أو الكتلة القاصرة والأخرى المعينة بالتجربة الثانية كتلة الجاذبية . هاتان الكتلتان متساويتان فى البكون الذى نعيش فيه ولكن يمكننا أن نتصور إمكان عدم تساويهما وينشأ السؤال الآخر الآتى فوراً : هل تساوى هاتين الكتلتين مجرد صدفة أم له مغزى أعمق من ذلك ؟ يجب علم الطبيعة الكلاسيكى على هذا السؤال . كما يأتى : تساوى هاتين الكتلتين مجرد مصادفة

ولا يوجد أى مغزى له أما إجابة علم الطبيعة الحديث فعكس ذلك تماما : تساوى هاتين الكتلتين شئ . أساسى يكون دليلا هاما يودى إلى فهم أعمق للموضوع . ولقد كان هذا الدليل فى الواقع أحد الأدلة العظيمة الأهمية التى أدت إلى تكون النظرية المسماة بالنظرية النسبية العامة .

نبدو القصص البوليسية تافهة إذا فُرت فيها الأحداث الغريبة كمصادفات وتكون القصة شيقة أكثر إذا تبعت حوادثها نظاما معينا . بنفس الطريقة تكون النظرية التى تفسر تساوى كتلتى الجاذبية والقصور الذاتى بنظرية النسبية تجعل من هذا التساوى مصادفة بحتة ، على شرط أن تكون كلا من النظريتين متفقة مع الحقائق الشاهدة .

حيث أن تساوى كتلتى الثقائل والقصور الذاتى كان ضروريا لتكون النظرية النسبية ، فإنه يحق لنا أن نبشحه هنا بعمق . ماعى التجارب التى تقتضينا بأن الكتلتين متساويتان ؟ والإجابة هى تجربة جاليليو القديمة . فى هذه التجربة أتى جاليليو كتلا مختلفة من برج فلاحظ أن الزمن اللازم لسقوط كل منها كان واحداً . أى أن حركة الجسم الساقط لا تتوقف على كتلته . لربط هذه النتيجة العملية البسيطة ذات الأهمية البالغة بتساوى الكتلتين نحتاج إلى منطق معقد .

يتحرك جسم ساكن نتيجة لتأثير قوة خارجية ويكتسب بذلك سرعة معينة . وتتوقف سرعته على كتلة قصوره الذاتى فقوامته للحركة تكون أكبر إذا كانت كتلته أكبر . ويمكننا أن نقول دون أن ندعى الدقة : يتوقف تأثير القوى الخارجية على جسم ماعلى كتلة قصوره الذاتى . إذا كانت الأرض تجذب جميع الأجسام بقوة متساوية ، فلا بد أن يكون سقوط الأجسام التى كتلة قصورها الذاتى كبيرة أبطأ من سقوط الأجسام التى كتلة قصورها الذاتى صغيرة . ولكن الحالة تختلف عن ذلك : جميع الأجسام تسقط بنفس الطريقة . وعلى ذلك يتحتم أن تكون قوة جذب الأرض للكتل المختلفة مختلفة . ولكن الأرض تجذب الأجسام بقوة الجاذبية ولا توجد لها أية علاقة بكتلة القصور الذاتى . والقوة التى نسميها قوة جذب الأرض تتوقف على كتلة الجاذبية . ولكن حركة الحجر الناتجة تتوقف على كتلة

القصور الثاني . وحيث أن هذه الحركة الناتجة عن قوة الجاذبية واحدة دائماً (جميع الأجسام الساقطة من نفس الارتفاع تسقط بنفس الطريقة) ، على ذلك يتحتم أن تكون كتلة الجاذبية هي نفس كتلة القصور الثاني .

وقد يصوغ عالم الطبيعة القانون السابق في الصيغة النامضة الآتية :

تزداد عجلة الجسم الساقط بإزدياد كتلة جاذبيته وتناسب معها ، وتنقص بتناقص كتلة قصوره الذاتي وتناسب معها . وحيث أن جميع الأجسام الساقطة لها نفس العجلة فيتحتم أن تساوى الكتلتان . في قصتنا النامضة لا توجد مسائل حلت سحلاً كاملاً وانتهى منها إلى الأبد . فبعد ثلاثمائة عام اضطررنا أن نعود إلى مسألة الحركة الأولية وذلك لزعاج طريقة البحث ولنجد أدلة كنا قد أهملناها ، بذلك حصلنا على صورة مختلفة للكون المحيط بنا .

نظرة السبيل للحرارة :

سنبداً هنا في تتبع دليل جديد ينشأ عن ظواهر الحرارة . ومع ذلك فن التمعنر تقسيم العلم إلى أقسام متفرقة لا علاقة بينها . والواقع أننا سنجد أن المبادئ التي سنبحثها هنا وتلك التي درسناها فعلاً والتي سندرسها فيما بعد تكون جميعها شبكة متداخلة . وفي كثير من الأحيان يمكن تطبيق طريقة بحث فرع معين من فروع العلم عند بحث فروع أخرى مختلفة . وفي الغالب تعدل النظريات الأولى بحيث تفيد في فهم كل من الظواهر الأصلية التي نشأت منها هذه المبادئ والظواهر الجديدة التي تطبق عليها هذه النظريات الآن .

والمبادئ الأساسية التي نلزم لوصف الظواهر الحرارية هي الحرارة ودرجة الحرارة . ولقد استغرق التمييز بين هذين المبدأين زمناً طويلاً في تاريخ العلم يصعب تصديقه ، ولكن سار التقدم بخطى واسعة بعد هذا التمييز . سنبحث هذين المبدأين ونوضح الفرق بينهما ، رغم أنهما الآن شيان مألوفان لكل إنسان . نستطيع بحاسة اللمس أن نميز الأجسام الساخنة والباردة . ولكن هذا اختبار كوضي فقط لا يكفي لوصف كمي ، بل أنه يحجب النموذج في بعض الأحيان ، ويمكن

ملاحظة ذلك بتجربة بسيطة مشهورة . نفرض أن لدينا ثلاثة أواني تحتوى الأولى على ماء بارد والثانية على ماء فاتر والأخيرة على ماء ساخن . إذا غمسنا إحدى اليدين فى الماء البارد والأخرى فى الساخن فإننا نحصل على رسالة من الأولى تنبئ بالبرودة ورسالة من الثانية تنبئ بالسخونة إذا غمسنا بمد ذلك اليدين معا فى نفس الماء الفاتر فإننا نحصل على رسالتين متناقضتين واحدة من كل يد . لنفس السبب يكون رأى أحد رجال الاسكيمو فى جو نيو يورك فى الربيع مختلفاً عن رأى أحد سكان المناطق الحارة ، فالأول يعتقد أنه حار والثانى يظن أنه بارد . نتخلص من هذه المشكلات بواسطة الترمومتر وهو آلة صممها جاليليو فى صورة بدائية . هنا أيضاً يقابلنا هذا الإسم للشهور ! ويعتمد استعمال الترمومتر على بعض الفروض الطبيعية الواضحة التى نذكرها باقتباس أسطر قليلة من محاضرات ألقاها بلاك منذ أكثر من مائة وخمسين عاماً ، وبلاك هو الرجل الذى ساهم بمجهود كبير فى التغلب على الصعوبات المتعلقة بفكرتى الحرارة ودرجتها .

« إذا أخذنا ألفاً أو أكثر من أنواع المادة المختلفة مثل المعادن والأحجار والأملاح والريش والصوف والماء وغيره من اللوائح ، وكانت هذه الأشياء ذات حرارات مختلفة مبدئياً ، ثم وضعناها جميعاً فى حجرة واحدة لا توجد فيها مدفأة ولا تدخلها الشمس فإن الحرارة تنتقل من الأجسام الساخنة إلى الأجسام الباردة وقد يستغرق ذلك مدة ساعات أو يوم ، وإذا استعملنا ترمومتراً فى نهاية هذه الفترة ووضعناه على كل من هذه الأجسام فإنه يشير دائماً إلى نفس الدرجة . وحسب التسمية الحديثة يلزم تغيير الجملة ذات حرارات مختلفة إلى ذات درجات حرارة مختلفة .

وقد يفكر الطبيب الذى يأخذ الترمومتر من فم رجل مريض كما يأتى :
يبين الترمومتر درجة حرارة نفسه بواسطة طول عموده الزئبقى . سنفرض أن طول عمود الزئبق يزداد بالتناسب مع زيادة درجة الحرارة : ولكن الترمومتر يبق ملامساً للعريض الذى أعالجه عدة دقائق ، فتكون درجة حرارة الترمومتر هى نفس درجة

حرارة المريض . وعلى ذلك استنتج أن درجة حرارة هذا المريض هي التي يسجلها الترمومتر وربما كان الطبيب يعمل بطريقة ميكانيكية ولكنه في الواقع يطبق نظريات طبيعية دون أن يفكر فيها .

ولكن هل يحتوي الترمومتر على نفس مقدار الحرارة الموجودة في جسم الرجل ؟ طبعاً لا . إن اقتراحنا أن الجسمين يحتويان على نفس الكمية من الحرارة نتيجة لتساوي درجتي حرارتهما يكون ، كما أشار بلاك :

« رأياً متسرعاً في الموضوع ، ومعنى ذلك أننا نخرج بين كمية الحرارة الموجودة في جسم وبين شدة هذه الحرارة رغم وضوح أهمها شيان مختلفان يجب التمييز بينهما عند التفكير في توزيع الحرارة .

يمكننا فهم هذا التمييز بواسطة تجربة بسيطة للغاية . إذا وضعنا رطلا من الماء فوق لهب الغاز فإن درجة حرارته تنير من درجة حرارة الحجر إلى درجة الفلانيان بعد فترة معينة من الزمن . وإذا استبدلنا هذا الرطل باثني عشر رطلا من الماء أو أكثر ووضعناها في نفس الإناء وفوق نفس اللهب فإنها تستغرق وقتاً أطول بكثير من الفترة السابقة لكي تصل إلى درجة الفلانيان . هذه التجربة تبين أنه يلزم في الحالة الأخيرة كمية أكبر من « شيء ما » ويسمى هذا « الشيء » حرارة . ونحصل على مبدء آخر ، الحرارة النوعية ، من التجربة الآتية : إذا احتوى إناء على رطل من الماء وإناء آخر على رطل من الزئبق ومسخن الإناء بنفس الطريقة فإننا نلاحظ أن الزئبق يسخن بسرعة تفوق بكثير السرعة التي يسخن بها الماء . أي أن « الحرارة » اللازمة لرفع درجة حرارة الزئبق درجة واحدة أقل من الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة الماء درجة واحدة وعلى العموم تلزم كميات مختلفة من « الحرارة » لتنير درجة حرارة الكتل المتساوية من المواد المختلفة (مثل الماء والزئبق والحديد والنحاس والخشب الخ) ، درجة واحدة (من ٤٠ إلى ٤١ فهرنهيت مثلاً) . ونعبر عن ذلك فنقول أن لكل مادة سعتها الحرارية أو حرارتها النوعية الخاصة بها .

فانما قد توصلنا إلى فهم فكرة الحرارة ، فإنه يمكننا أن نبحث في طبيعتها بالتفصيل لدينا جسمان الأول ساخن والآخر بارد ، أو بمباراة أخرى درجة حرارة الأول أعلى من درجة حرارة الثاني . نزيل جميع المؤثرات الخارجية ونجعل هذين الجسمين يتلامسان . نعلم أن الجسمين يصلان إلى نفس درجة الحرارة بعد مضي فترة من الزمن . ولكن كيف يتم ذلك ؟ ماذا يحدث بين اللحظة التي يبدأ فيها التلامس بينهما وبين اللحظة التي تتساوى فيها درجتا الحرارة ؟ يمكننا أن نتصور أن الحرارة « تنساب » من جسم لآخر كما ينساب الماء من مستوى مرتفع إلى مستوى منخفض . ورغم بساطة هذه الفكرة فإنها تتفق مع كثير من الحقائق ، ويكون التناظر كما يأتي :

الماء	الحرارة
المستوى المرتفع	درجة الحرارة العالية
المستوى المنخفض	درجة الحرارة المنخفضة

ويستمر الانسياب إلى أن يصبح الارتفاعان ، أي درجتى الحرارة ، متساويين ويمكن بالبحث الكمي الاستفادة من وجهة النظر البدائية هذه . إذ خلطت كتلة معينة من الماء ذات درجة حرارة معلومة بكتلة أخرى معينة من الكحول . في درجة حرارة أخرى (لانسأوى درجة حرارة الماء) فن الممكن الحصول على درجة الحرارة النهائية للمخلوط إذا علمت الحرارة النوعية لكل من الماء والكحول . وبالعكس ، إذا علمت درجة حرارة المخلوط النهائية يمكن بمدة قليل من العمليات الجبرية الحصول على النسبة بين الحرارتين النوعيتين .

تبين وجود أوجه شبه بين المبادئ المتعلقة بالحرارة التي ندرسها الآن وبين المبادئ الطبيعية الأخرى . فالحرارة من وجهة نظرنا هي جسم سيال كالكتلة في الميكانيكا . وقد تنزير كمية الحرارة أو قد تبقى ثابتة ، مثل المال يمكن إنفاقه كما يمكن حفظه في خزانة وكما أن مقدار المال الموجود في خزانة لا يتغير مادامت هذه الخزانة مغلقة فإن مقدار كل من الكتلة والحرارة في جسم معزول يبقى ثابتا . وزجاجة

الترموس التالية تناظر هذه الحرارة . وزيادة على ذلك ، لا يصعب شيئاً من الحرارة حتى لو اتسابت من جسم لآخر مثلها في ذلك مثل كتلة مجموعة منزلة لانتزير حتى ولو عانت تحويلاً كيميائياً . وحتى لو استعملت الحرارة في إذابة الثلج مثلاً أو في تحويل الماء إلى بخار بدلاً من استعمالها في رفع درجة حرارة جسم فإننا نستمر في التفكير على أنها جسم سيال وأن من الممكن الحصول عليها ثانية بأكملها بتحويل الماء إلى ثلج أو بتحويل البخار إلى ماء والأسماء القديمة مثل حرارة الانصهار الكامنة ، حرارة التبخير الكامنة ، تبين أن هذه الأسس نشأت من التفكير في الحرارة كشئ ذي كيان والحرارة الكامنة هي حرارة مخفية مؤقتاً مثل المال المحفوظ في خزانة التي يمكن الحصول عليه واستعماله إذا علقت كيفية فتح الخزانة .

ولكن من المؤكد أن كيان الحرارة يختلف عن كيان الكتلة . يمكننا أن نستدل على الكتلة بواسطة الموازين ، ولكن هل للحرارة وزن ؟ هل يكون وزن قطعة حديد ساخنة إلى درجة الاحمرار أكبر من وزنها وهي باردة كالثلج ؟ تدلنا التجربة على أن قطعة الحديد لها نفس الوزن في الحالتين . إذا كانت الحرارة شيئاً فإنه شيء لا وزن له ، وقد جرت العادة في الماضي على تسمية الحرارة « كالوريك »^(١) وهي أول ما عرف من مجموعة الأشياء التي لا وزن لها . وستسبح لنا فرصة فيما بعد لكي نتتبع تاريخ هذه المجموعة ودراسة كيفية ظهورها وتلاشيها . ونكتفي الآن بملاحظة مولد هذا المصطلح الخاص من هذه المجموعة .

الفرض من أية نظرية طبيعية هو تفسير أكبر مدى ممكن من الظواهر ، ويعبر وجود نظرية ما مقدرتها على تفسير الحوادث وجعلها مفهومة . لقد رأينا أن نظرية السيل للحرارة تفسر كثيراً من الظواهر الحرارية ، ومع ذلك سيظهر في القريب العاجل أن هذا ليس إلا دليلاً زائفاً ، وأن من المستحيل اعتبار الحرارة شيئاً سيالاً حتى ولو كان هذا الشئ عديم الوزن . ويتضح ذلك من الرجوع إلى بعض التجارب البسيطة التي ميزت بدء الحضارة .

المادة لا يمكن الحصول عليها من اللاشيء ولا يمكن إشاعتها ، ولكن

الإنسان الأول ولد النار بالاحتكاك وأحرق بها الخشب . وأمثلة التسخين بواسطة الاحتكاك كثيرة جداً ومألوفة بدرجة تنفى عن ذكرها . فى جميع هذه الحالات تتولد كمية من الحرارة وهى حقيقة يصعب تحليلها بنظرية السيل ، وقد يحاول مؤيدو هذه النظرية تحليل هذه الظاهرة وقد تكون محاولتهم كما يأتى : « يمكن بواسطة نظرية السيل تفسير تولد هذه الحرارة . لنعتبر مثلاً بسيطاً ، حالة ذلك قطعة من الخشب بقطعة أخرى منه . ذلك هو شئ يؤثر فى الخشب وينير خواصه ، ومن الجائز جداً أن تعمل هذه الخواص بحيث تنتج درجة حرارة أعلى دون أن تتغير كمية الحرارة نفسها ، ونحن لا نشاهد إلا تغيراً فى درجة الحرارة . من الجائز أن الاحتكاك يغير الحرارة النوعية للخشب ولا يؤثر على كمية الحرارة الكلية » .

ولا توجد أية فائدة ترجى من مناقشة مؤيدى نظرية السيل فى هذه المرحلة ، وذلك لأنه لا يمكن حسم هذه المسألة إلا بالتجربة . نفرض أن قطعتين من الخشب متساويتان من جميع الوجوه ولتصور أن تغيراً متساوياً قد اعترى درجة حرارتهما بطريقتين مختلفتين ؛ فى الأولى بالاحتكاك وفى الثانية بملامسة جسم ساخن مثلاً . إذا كانت الحرارة النوعية لكل من قطعتي الخشب واحدة فى درجة الحرارة الجديدة فلا يوجد أى أساس لنظرية السيل . . هناك طرق بسيطة للغاية لتعيين الحرارة النوعية ، ويتوقف مصير النظرية على نتيجة قياس الحرارة النوعيتين السابقتين . وتتكرر الاختبارات التى تستطيع أن تصدر حكماً بالحياة أو الموت على نظرية ما كثيراً فى تاريخ علم الطبيعة ، وهى تسمى تجارب حاسمة . والذى يقرر إذا كانت التجربة حاسمة أم لا هو صيغة السؤال نفسه ، ولا يمكن اختيار أكثر من نظرية واحدة بتجربة واحدة من هذا النوع . . والتجربة التى نعين فيها الحرارة النوعية/الجسمين من نوع واحد وصلاً إلى نفس درجة الحرارة الأولى بالاحتكاك والثاني بالإنسياب الحرارة إليه من جسم آخر هى مثال على هذا النوع من التجارب الحاسمة . وقد أجرى رمفورد هذه التجربة بمزد حوالى مائة وخمسون عاماً وبذلك قضى نهائياً على نظرية السيل للحرارة .

ويقص رمفورد قصته فيقول :

« كثيراً ما يحدث في الحياة العملية العادية أن تسنح فرص لدراسة الأمور الطبيعية الغريبة ، وقد تُجرى كثير من التجارب الفلسفية المهمة دون مشقة أو تكاليف وذلك باستخدام الآلات التي صممت لاستعمالها في الفنون والصناعات . وكثيراً ما سئحت لي شخصياً الفرصة بمشاهدة ذلك ، وأنا مقتنع بأن الملاحظة الدقيقة لكل ما يجري في الحياة العملية تؤدي إلى أسئلة مفيدة وإلى طرق للبحث والتحسين أكثر من التي يحصل عليها الفلاسفة في الساعات الطويلة المخصصة لدراساتهم المركزة ، وقد يظهر أننا نحصل على هذه النتائج بمجرد الصدفة أو نتيجة للتخيلات التي يتيه فيها العقل نتيجة لما اعتاد الإنسان مشاهدته .

وبما كنت أشرف منذ فترة وجيزة على صناعة المدافع في المصانع الحربية بميونخ ، أثارت انتباهي درجة الحرارة العالية التي تصل إليها بندقية من البرونز في وقت قصير أثناء غمرها ، وأيضاً الحرارة الشديدة (أعلى بكثير جداً من درجة حرارة الماء المثلج كما وجدت بالتجربة) لشظايا المعدن المتطايرة منها بواسطة الثقاب . من أين تأتي هذه الحرارة التي تظهر في العملية الميكانيكية السابقة ؟

هل تنشأ من شظايا المعدن المنفصلة بواسطة الثقاب من كتلة المعدن الصلبة ؟ إذا كان هذا هو الواقع . فحسب النظرية الحديثة للحرارة الكامنة ونظرية السيال للحرارة يجب أن تنبئ الحرارة النوعية ، ويجب أن يكون التنبؤ كبيراً بدرجة تعلل وجود كل هذه الحرارة .

وواقع أنه لم يحدث أي تنبؤ ، فقد أخذت كيتين متساويتين من هذه القطع المتطايرة ومن شرائح مصقولة من نفس كتلة المعدن بمنشار دقيق ورفعتها إلى درجة حرارة واحدة (درجة حرارة غليان الماء) ووضعتهما في كيتين متساويتين من الماء البارد (درجة حرارته ٥٩.٤ ف) فلم نلاحظ أي اختلاف بين درجة حرارة الماء الذي وضعت فيه القطعة المتطايرة ودرجة حرارة الماء الذي وضعت فيه شرائح المعدن » .

وأخيراً وصل إلى النتيجة الآتية :

وعند البحث في هذا الموضوع يجب أن نذكر أن منبع الحرارة التي ظهرت بالاحتكاك في التجارب السابقة يظهر كأن من المستحيل استنفاده . ومن الواضح أن الشيء الذي يمكن لجسم معزول ، أو لمجموعة منزلة من الأجسام الاستمرار في منحه دون حد لا يمكن أن يكون شيئاً مادياً . ويظهر لي أن من الصعب جداً أن لم يكن من المستحيل تكوين فكرة واضحة لأي شيء . يمكن إيجاده ونقله بنفس الطريقة التي توجد وتقل بها الحرارة في هذه التجارب ، إلا إذا كان هذا الشيء هو الحركة » .

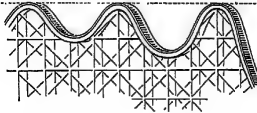
بذلك نرى انهيار النظرية القديمة ، أو بعبارة أدق نرى أن نظرية السبال لا يمكن تطبيقها إلا على مسائل انسياب الحرارة . ويجب علينا الآن (كما لاحظ ومفرد) أن نبحث عن دليل جديد .

من أجل ذلك سنترك موضوع الحرارة مؤقتاً ونعود إلى الميكانيكا .

عربة المدهلى :

نعال بنا الآن بتتبع حركة تلك اللهاة الشبيهة السماء بـ « عربة الملاهي » .
ترفع عربة صخرة أو تدفع إلى أعلى موضع في مسار متموج وعند تركها حرة تبدأ في الدحرجة تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية فتأخذ في الارتفاع والانخفاض على خط منحني شديد الإنحدار يتغير إتجاهه بكثرة ؛ ويمجد الراكب في ذلك لثة كبيرة نتيجة للتغيرات المفاجئة في السرعة . وأثناء الحركة جميعها لا تصل العربة مطلقاً إلى نفس الارتفاع الابتدائي ويصعب وصف الحركة وصفاً كاملاً ، ففضلاً عن الجانب الميكانيكي من المسألة ، أى التنير في السرعة والموضع بمضى الزمن ، يوجد الاحتكاك الذي يولد الحرارة على القضبان والعجلات . والمغزى الوحيد لتقسيم هذه العملية الطبيعية إلى هاتين الوجهتين هو التمكن من استعمال المبادئ التي درسناها فيما سبق . ويؤدى هذا التقسيم إلى تجربة مثالية ، إذ أنه من الممكن أن نتخيل العملية الطبيعية التي لا يظهر فيها إلا الجانب الميكانيكي ولكن يستحيل تحقيقها عملياً .

للحصول على هذه التجربة المثالية ، تنصور أن أحد الأشخاص تمكن من التخلص تماماً من الاحتكاك الذى يصاحب الحركة باستمرار . وأن هذا الشخص قرر أن يطبق اكتشافه على تصميم « عربة ملاهى » . يجب أن يعلم هذا الشخص كيف يصمم مثل هذه العربة . ستسير العربة إلى أعلى وإلى أسفل مبتدئة من نقطة على ارتفاع مائة قدم عن سطح الأرض مثلاً . يكتشف الرجل بعد وقت قصير من التجربة ومن الخطأ ، أنه يتحتم عليه اتباع قاعدة بسيطة للأنية . يستطيع أن يبنى الطريق كما يشاء بشرط أن تكون نقطة الابتداء هى أعلى نقطة فيه وإذا كانت العربة ستتحرك حركة حرة إلى نهاية المسار ، يمكن للمهندس أن يجعلها ترفع إلى مائة قدم أى عدد من المرات . ولكن يتحتم ألا تمتد العربة هذا الارتفاع .



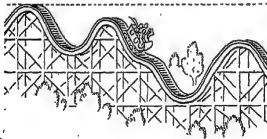
وفى المسار الحقيقى يستحيل على العربة أن تصل إلى ارتفاعها الابتدائى وذلك لوجود الاحتكاك ؛ ولكن يمكن إهمال ذلك فى هذه التجربة المثالية .

تبدأ العربة فى التدرج من النقطة الأصلية . ينقص ارتفاع العربة عن سطح الأرض كلما تحركت بينما تزداد سرعتها . وقد تذكرنا هذه الجملة الأخيرة لأول وهلة بجملة فى أحد دروس اللغة . « لا يوجد معى قلم ولكن يوجد معك ستة برتقالات » ولكن جملتنا ليست بهذه السخافة . لا توجد أية علاقة بين عدم وجود قلم معى وبين وجود ست برتقالات معك ، ولكن يوجد ارتباط واقى بين ارتفاع العربة عن سطح الأرض وبين قيمة سرعتها . ويمكننا إيجاد قيمة سرعة العربة فى أية لحظة لما علم ارتفاعها عن سطح الأرض ، ولكننا لن نتعرض لهذا الموضوع لطابعه الكى ؛ وأفضل طريقة للتعبير عنه هى بواسطة القوانين الرياضية .

عند أعلى نقطة كانت سرعة العربة تساوى صفراً وكان ارتفاعها مائة قدم .
وفي أسفل نقطة ممكنة يكون ارتفاعها عن الأرض صفراً وسرعتها نهاية عظمى .
يمكن التعبير عن هذه الحقائق بطريقة أخرى . عند أعلى نقطة يكون للعربة « طاقة وضع » ولا يكون لها « طاقة حركة » وفي أسفل نقطة تكون « طاقة حركتها »
نهاية عظمى « وطاقة وضعها » صفراً . وعند أى نقطة متوسطة حيث يكون للعربة
ارتفاع وسرعة يكون لها طاقة حركة وطاقة وضع أيضاً . وتزداد طاقة الوضع
بازدياد الارتفاع بينما تزداد طاقة الحركة بازدياد السرعة . وتكفي مبادئ الميكانيكا
لشرح الحركة . ويحتوى الوصف الرياضى على تعبيرين للطاقة ، كل منهما يتغير
رغم أن مجموعهما ثابت . وعلى ذلك يكون من الممكن إدخال فكرة طاقة الوضع
التي نتوقف على الوضع وفكرة طاقة الحركة التي تعتمد على السرعة رياضياً وبطريقة
مبسطة . وإدخال هذين الإسمين اختياري طبعاً وهو يتفق مع طبيعة هذين النوعين
المختلفين من الطاقة . ويسمى مجموع هاتين الكميتين ، الذي يبقى ثابتاً ، أحد
ثوابت الحركة .

ويمكن مقارنة الطاقة الكلية (طاقة الحركة وطاقة الوضع) مثلاً بمبلغ ثابت
من المال يتغير باستمرار من عملة لأخرى ، من دولارات إلى جنيهات مثلاً ،
وبالعكس حسب نظام تبادل معين .

وفي عربة اللامى الحقيقية حيث يمنع احتكاك العربة من الوصول إلى ارتفاع
نقطة الابتداء ، يوجد أيضاً تأثير مستمر في طاقى الوضع والحركة . ولكن لا يلقى
مجموع الطاقين ثابتاً في هذه الحالة ولكنه يأخذ في التناقص .



نلزم الآن ، ربط الميكانيكا والحرارة ، خطوة أخرى جريئة هامة وسنرى فيما بعد كثير ، نتائج وتمعينات هذه الخطوة .

لدينا الآن شيء آخر غير طاقتي الوضع والحركة وهو الحرارة التي يولدها الاحتكاك . هل تناظر هذه الحرارة التناقص في الطاقة الميكانيكية أى في طاقتي الوضع والحركة ؟ يبدو أن علينا أن نخمن تخميناً جديداً . إذا نظرنا إلى الحرارة كنوع من أنواع الطاقة ، فكل مجموع هذه الأنواع الثلاث أى طاقة الوضع وطاقة الحركة والحرارة ، يظل ثابتاً . وليست الحرارة نفسها هي التي تشبه المادة في عدم تلاشيها ، ولكن الحرارة وأنواع الطاقة الأخرى مأخوذة معاً لا تتلاشى مطلقاً . يماثل ذلك حالة رجل يدفع لنفسه عمولة من الفرنكات عن تحويل دولارات إلى جنيهات بحيث يبقى مجموع الفرنكات والدولارات والجنيهات ثابتاً حسب نظام تحويل معين .

لقد حطم تقدم العلم النظرية القديمة التي تقول بأن الحرارة سيال ونحاول الآن الحصول على شيء آخر ، الطاقة ، تكون الحرارة إحدى صورها .

نظام التحويل :

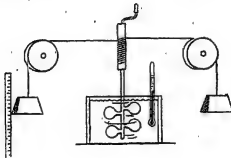
منذ أقل من مائة عام مضت ، نحن ما بر الدليل الجديد الذي أدى إلى مبدأ اعتبار الحرارة كإحدى صور الطاقة . وقد حقق جول ذلك بالتجربة . من الصدفة الغريبة أن أغلب الأبحاث الأساسية المتعلقة بطبيعة الحرارة قام بها رجال لم يحترفوا العلم بل كانوا ينظرون إلى علم الطبيعة على أنه هواية مفضلة فقط . فالاسكتلندي بلاك كان له أكثر من حرفة واحدة والألماني ماير كان طبيباً ، والسكوتلندي رمفورد الأمريكي الذي عاش في أوروبا فيما بعد ، كان منامراً كبيراً وكان جم النشاط وقد أصبح في وقت من الأوقات وزيراً للحرب في بافاريا . وهناك أيضاً الإنجليزي جول الذي كان يشتغل بإنتاج المحور والذي أجرى في وقت فراغه بعض تجارب في غاية الأهمية تتعلق بقاعدة بقاء الطاقة .

لقد حقق جول بالتجربة أن الحرارة هي إحدى صور الطاقة كما عين نظام التحويل .

تكون طاقتا الوضع والحركة لمجموعة معينة الطاقة الميكانيكية للمجموعة ،
وفي حالة عربة الملاهي جال بمخاطرنا أن بعض الطاقة الميكانيكية يتحول إلى حرارة .
إذا كان هذا صحيحاً فلا بد وأن يوجد في هذه العملية وفي جميع العمليات المشابهة
نظام معين للتحويل بين هذين النوعين من الطاقة . هذه مسألة رياضية ، ولكن
إمكان تحويل كمية من الطاقة الميكانيكية إلى مقدار معين من الحرارة هو في الواقع
في غاية الأهمية . نود أن نعلم العدد الذي يمثل نظام التحويل ، أى كمية الحرارة .
التي نحصل عليها من مقدار معلوم من الطاقة الميكانيكية .

وكان غرض جول من إبحائه هو تعيين هذا العدد . وتصميم إحدى تجاربه
يشبه كثيراً تصميم ساعة التقليل . وعند ملام مثل هذه الساعة يرفع الثقلان وبذلك
تكتسب المجموعة طاقة وضع . وإذا لم تمس الساعة فإنه يمكن اعتبارها مجموعة مقفلة
ولكن الثقلان يسقطان بالتدريج وتسير الساعة . وبعد فترة زمنية معينة يصل
الثقلان إلى أسفل نقطة وتكون الساعة قد توقفت . ما الذى حدث للطاقة ؟ لقد
تحولت طاقة وضع الثقلين إلى طاقة حركة للمجموعة ثم ضاعت بعد ذلك تدريجياً
على هيئة حرارة .

وقد استطاع جول أن يقيس الحرارة المفقودة بجهاز من هذا النوع بعد تغييره
تغييراً ينطوي على الدكاء . وبذلك تمكن جول من تعيين نظام التحويل ، والثقلان
في جهازه يعملان عجلة بدالية تدور وهي مغموسة في ماء . فتحول طاقة وضع



التقليل إلى طاقة حركة للأجزاء القابلة للحركة ثم إلى حرارة ترفع درجة حرارة الماء . وقد فاس حول هذا التنير في درجة الحرارة . وحيث أن حرارة الماء النوعية معلومة فقد تمكن بذلك من حساب كمية الحرارة التي استخدمت في التسخين . وقد لخص حول نتائج محاولات كثيرة كما يلي :

أولاً : أن كمية الحرارة الناتجة عن احتكاك الأجسام الصلبة والسائلة يتناسب دائماً مع مقدار القوة (يقصد الطاقة) المبذولة .

ثانياً : أن الحصول على كمية الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة رطل من الماء (موزون في الفراغ ودرجة حرارته بين ٥٥ ، ٦٠) . درجة فرنهيتية واحدة يلزم بذل قوة (طاقة) ميكانيكية تمثل بسقوط ٧٧٢ رطلا مسافة قدم واحد .

وفي صيغة أخرى ، طاقة وضع ٧٧٢ رطل على ارتفاع قدم واحد من سطح الأرض تكفيء الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة رطل من الماء من درجة حرارة ٥٥ ف إلى ٦٦ ف . ولقد أمكن الحصول على نتائج أدق لدرجة ما من التجارب التي أجريت بعد ذلك ولكن الهيكل الأساسي للسكاف الميكانيكي للحرارة هو ماوجده حول في عملة المدعش الأول .

ولقد سار التقدم سريعاً بعد الانتهاء من هذا العمل الهام . فلقد تبيننا بعد ذلك أن الطاقة الميكانيكية والحرارة هما صورتان من صور الطاقة العديدة . وكل شيء يمكن تحويله إلى إحدى هاتين الصورتين هو أيضاً إحدى صور الطاقة . الإشعاع الناتج عن الشمس طاقة لأن جزءاً منه يتحول إلى حرارة على الأرض . للتيار الكهربائي طاقة لأنه قد يسخن سلكاً أو قد يدير عجلات محرك . والفحم يمثل الطاقة الكيميائية التي تتحرر على هيئة حرارة عندما يحترق الفحم . وفي كل حدث من أحداث الطبيعة تتحول إحدى صور الطاقة إلى صورة أخرى حسب قانون تحويل معين دائماً . وفي حالة مجموعة مغلقة ، أى مجموعة معزولة عن جميع المؤثرات الخارجية تبقى الطاقة محفوظة وبذلك تكون خواصها مشابهة لخواص المادة . ويكون مجموع جميع الأنواع المختلفة للطاقة في هذه المجموعة ثابتاً رغم أنه من الممكن أن يتغير

مقدار أى نوع واحد منها . وإذا اعتبرنا الكون جميعه كجموعه مغلقة يمكننا أن نعلن بفخار مع علماء الطبيعة فى القرن التاسع عشر أن طاقة الكون ثابتة لا تتغير وأن من المستحيل استحداث أى جزء منها أو إضاعته .

ونستطيع إذن أن نميز بين نوعين من الموجودات . المادة كما نعرفها والطاقة . كل من هذين النوعين يتبع قوانين احتفاظ بالذات ، فمن المستحيل أن تتغير الكتلة الكلية أو الطاقة الكلية لجموعه معزولة . المادة لها وزن والطاقة لا وزن لها . أى . أن لدينا نوعين مختلفين من الموجودات ، وقانونى بقاء .

هل ظلت هذه الآراء صحيحة إلى الآن ؟ أم هل تغيرت هذه الصورة — التى تبدو كأنها ذات أساس متين — فى ضوء تطورات أحدث ؟ فى الواقع أنها تغيرت ! وترتبط التغيرات فى هذه المبادئ بالنظرية النسبية وستعود إلى هذه النقطة فيما بعد .

الأساس الفيلسفى :

تؤدى نتائج البحث العلمى فى كثير من الأحيان إلى تغيير فى النظرة الفلسفية لمسائل تمتد إلى أبعد من مجال العلم الضيق . ماهو هدف العلم ؟ ماهو المطلوب من نظرية تحاول وصف الكون ؟ رغم أن هذه الأسئلة تتمدى حدود علم الطبيعة ، فإن لها علاقة قوية به وذلك لأن العلم هو السبب فى نشأتها . يجب أن تعمم النتائج العلمية فلسفياً . وإذا كون هذا التعميم وقبل على نطاق واسع فإنه يؤدى فى كثير من الأحيان إلى تطورات أخرى فى التفكير العلمى وذلك لأنه يبين أحد الطرق الكثيرة التى يمكن سلوكها . وتؤدى الثورات الناجحة على المبادئ المسلم بها إلى تطورات مختلفة تماماً وغير منتظرة . وتصبح هذه التطورات الجديدة منبعاً لوجهات نظر فلسفية جديدة . ستبدو هذه الملاحظات فامضة وغير ضرورية إلى أن نوضحها بأمثلة من تاريخ علم الطبيعة .

سنحاول هنا وصف الأفكار الفلسفية الأولى عن غرض العلم . لقد كان لهذه الأفكار تأثير قوى على تطور علم الطبيعة إلى أن ظهرت أدلة جديدة (بعد حوالى

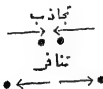
مائة عام) وحقائق ونظريات جديدة كونت أساساً جديداً للعلم وحتمت ترك المبادئ القديمة .

والذى يبحث في تاريخ العلم كله ، من الفلسفة الإغريقية إلى علم الطبيعة الحديث يجد أن المحاولات كانت مستمرة لاختصار تعقد الظواهر الطبيعية إلى بعض المبادئ . والعلاقات الأساسية البسيطة . وهذا هو أساس كل الفلسفة الطبيعية . ويبدو هذا واضحاً حتى في عمل علماء الذرة . ومنذ ثلاثة وعشرون قرناً كتب ديموقراط :

« أنها لمسألة اتفاق أن تقول أن شيئاً حلوا أو مراً أو ساخناً أو بارداً أو ذلولاً معين . أما في الحقيقة فتوجد ذرات وفراغ أى أن الأشياء التى تشتمل بوجودها بمحاسنها ليست حقيقة كما تمودنا أن نعتبرها . القرات والفراغ هما الشئان الحقيقيان فقط » .

وتبقى هذه الفكرة في الفلسفة القديمة تصوراً عبقرياً لاغير . فالأفريق لم يكونوا يعلمون قوانين الطبيعة التى تربط الحوادث المتتامة . ولم يبدأ العلم الذى يربط بين النظرية والتجربة فعلاً إلا منذ جاليلو . لقد تبيننا الأدلة الأولى التى أدت إلى قوانين الحركة . لقد بقيت القوة والمادة الفكرتان الأساسيتان لجميع المحاولات التى بذلت لفهم السكون في مائتى عام من البحث العلمى . ويستحيل أن تتصور إحدى هاتين الفكرتين بدون الأخرى ، لأن المادة يظهر وجودها كمنبع للقوة بتأثيرها على مادة أخرى .

فلنعتبر الآن أبسط الأمثلة . نقطتان ماديتان وقوى تؤثر بينهما ، وأسهل القوى في التخيل هي قوى الجذب والطرود . وفي كلتا هاتين الحالتين يقع متجه القوة على المستقيم لتواصل بين النقطتين للماديتين . ويؤدى تبسيط الموضوع إلى حالة نقطتين ماديتين



كل منها تجذب أو تطرد الأخرى ، إذ أن أى فرض آخر عن القوى المؤثرة يعطى صورة أكثر تعقيداً . هل يمكننا أن نفرض فرضاً بسيطاً آخر عن طول متجهات القوة ؟ حتى إذا أردنا أن نتجنب الفروض الخاصة إلى حد كبير ، فإنه من الممكن

أن نقول : تتوقف القوة بين أى نقطتين ماديتين على البعد بينهما فقط ، مثل قوى الجاذبية . يبدو هذا بسيطاً . ويمكننا أن نخيل قوى أكثر تعقيداً من ذلك مثل القوى التى تتوقف على البعد بين النقطتين الماديتين وأيضاً على سرعتيهما . وإذا أخذنا المادة والقوة كمقيدين أساسيتين ، فإن من الصعب تخيل فروض أبسط من القول بأن القوى تعمل فى المستقيم الواصل بين النقطتين بأنها تتوقف فقط على البعد بينهما ولكن هل من الممكن وصف جميع الظواهر الطبيعية بدلالة قوى من هذا النوع فقط . ؟

إن نتائج الميكانيكا العظيمة فى كل الفروع ، ونجاحها الباهر فى تطور علم الفلك وتطبيق مبادئها على مسائل مختلفة ليست لها صلة ظاهرة بالميكانيكا قد ساعدت على الاعتقاد بإمكان اختصار جميع الظواهر الطبيعية إلى قوى بسيطة تعمل بين أشياء لا تتغير . وتظهر هذه المحاولة ، سواء كانت مقصودة أم لا ، فى جميع الاكتشافات العلمية التى حدثت فى القرنين الذين تليا عهد جاليليو . وقد ذكر هلمهولتز ذلك بوضوح فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر : « وإذن نكتشف أخيراً أن مشكلة علم الطبيعة المادى هى أن نرجع بالظواهر الطبيعية ثانية إلى قوى جاذبة وطاردة لا تتغير ولا تتوقف شدتها إلا على البعد . ويتوقف فهم الكون على حل هذه المسألة » .

أى أنه حسب رأى هلمهولتز يكون اتجاه تطور العالم محدداً وطريقه معينة .
« وستنتهى رسالته بمجرد أن يتم اختزال الظواهر الأساسية إلى قوى بسيطة وبمجرد أن تثبت أن هذا هو الاختزال الوحيد الممكن لهذه الظواهر » .

تظهر هذه الفكرة كأنها بدائية وسخيفة بالنسبة إلى عالم طبيعة فى القرن العشرين فما يجحفه أن يتصور أن من النكسك الانتهاء من منامرات البحث الكبرى والحصول على صورة ثابتة للكون لا تتغير بمرور الزمن ولا تثير الاهتمام إن لم تكن خاطئة .

ورغم أن هذه المبادئ تختصر وصف جميع الحوادث إلى قوى بسيطة ، فإنها لا تحدد

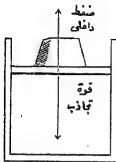
العلاقة بين القوى وبين البعد . ومن الممكن أن تختلف هذه العلاقة باختلاف الظواهر الطبيعية . وطبعاً يكون إدخال أنواع مختلفة من القوى للأحداث المختلفة غير مناسب من وجهة النظر الفلسفية . ومع ذلك فإن هذا الرأي ، المسمى « وجهة النظر الميكانيكية » الذى صاغه هلمهولتز بوضوح ، قد لب دوراً هاماً فى وقته . وتكوين نظرية الحركة للمادة هو أحد النتائج الهامة للاتجاه الميكانيكى . وقبل أن نشاهد زوال هذا الاتجاه ، فلنوافق مؤقتاً على وجهة نظر علماء القرن الماضى ونرى ماذا يمكن استخلاصه من الصورة التى رسموها للعالم الخارجى .

نظرية الحركة للمادة :

هل من الممكن تفسير ظاهرة الحرارة بدلالة حركة جسيمات تتفاعل بقوى بسيطة ؟ نفرض أن لدينا وعاءً مقفلاً يحوى كتلة معينة من غاز ، الهواء مثلاً ، فى درجة حرارة معينة ، بالتسخين ترتفع درجة الحرارة وبذلك تزداد الطاقة . ولكن ماهى علاقة هذه الحرارة بالحركة ؟ إن الذى يحملنا نعتقد فى وجود علاقة بين الحرارة والحركة شيئان ، الأولى وجهة النظر الفلسفية التجريبية المتروكة بها والثانى هو تولد الحرارة بالحركة . إذا كانت جميع المسائل الموجودة فى الحياة مسائل ميكانيكية فلا بد وأن تكون الحرارة طاقة ميكانيكية . والفرص من نظرية الحركة هو التعبير عن المادة بهذه الطريقة . فحسب هذه النظرية نعتبر أى غاز كمجموعة كبيرة العدد من الجسيمات أو الجزيئات تتحرك فى جميع الاتجاهات وتتصادم مع بعضها وتغير اتجاه حركتها بعد التصادم . ويجب أن توجد قيمة متوسطة لسرعة الجزيئات كما يوجد سن متوسط أو ثروة متوسطة لمجتمع إنسانى كبير . أى أن هناك طاقة حركة متوسطة لكل جزيء . وازدياد الحرارة فى الوعاء يعنى زيادة متوسط طاقة الحركة . وحسب هذه الصورة لا تكون الحرارة نوعاً خاصاً من الطاقة يختلف عن الطاقة الميكانيكية وإنما هى طاقة حركة الجزيئات . وينظر كل درجة حرارة معينة متوسط معين لطاقة الحركة لكل جزيء . والواقع أن هذا ليس فرضاً اختيارياً . إذا أردنا تكوين صورة ميكانيكية متأسكة للمادة فإنه يتحتم علينا أن نأخذ طاقة حركة الجزيء كقياس لدرجة حرارة الغاز .

وهذه النظرية ليست إحدى تخيلات العقل فقط . فمن الممكن البرهنة على اتقان نظرية الحركة للنازات مع التجربة وعلى أنها تؤدي فعلا إلى فهم أعمق للحقائق . ويمكن توضيح ذلك بأمثلة قليلة .

لدينا وعاء مغلق بمكبس يمكنه (أى المكبس) أن يتحرك بحرية . ويحتوى الوعاء على مقدار معين من غاز محفوظ في درجة حرارة ثابتة . إذا كان المكبس ساكناً عند الابتداء فيمكننا أن نحركه إلى أعلى وإلى أسفل بتقليل أو زيادة الثقل الموضوع عليه . ولنفع المكبس إلى أسفل يلزم استهلاك قوة تعمل ضد الضغط الداخلى للناز . ما هى طريقة عمل الضغط الداخلى حسب نظرية الحركة ؟ تتحرك الجزيئات ذات العدد الهائل التى يتركب منها الناز في جميع الاتجاهات ، وهى تدق السطوح والمكبس وترتد ثانية (مثل كرات مقذوفة على حائط) . وهذا الدق المستمر بعدد كبير من الجزيئات يحفظ المكبس على ارتفاع معين وذلك بمعادلة قوى الجاذبية التى تؤثر إلى أسفل على المكبس والأثقال . تؤثر قوة الجاذبية الناتجة في الاتجاه الأول بينما يؤثر عدد كبير من القوى غير المنتظمة الناتجة من تصادم الجزيئات في الاتجاه الآخر . إذن لكي يحدث التوازن لا بد وأن تكون محصلة هذا القوى غير المنتظمة مساوية لقوة الجاذبية .



نفرض أن المكبس دفع إلى أسفل وأن حجم الناز نقص نتيجة لذلك إلى جزء كسرى من قيمته الأولى — نصفه مثلا — بينما تبقى درجة حرارته ثابتة . ماذا نتظر أن يحدث حسب نظرية الحركة ؟ هل سيكون تأثير القوى الناتجة عن دق الجزيئات على المكبس أكبر أو أقل من تأثيرها السابق ؟ تقترب الجزيئات الآن من بعضها بدرجة أكبر

منها أولا . ورغم أن قيمة متوسط طاقة الحركة تبقى كما هى فإن عدد مرات تصادم الجزيئات مع المكبس يزداد (في نفس الفترة الزمنية) وبذلك تكون القوة الكلية أكبر ، واضح من هذه الصورة التى ترسمها نظرية الحركة أنه يلزم وضع ثقل آخر

لكي يبق الكبس متزناً في هذا الوضع المنخفض الجديد . هذه الحقيقة العملية البسيطة مألوفاً تماماً ولكن يمكن الحصول عليها منطقياً من نظرية الحركة للمادة . وهناك تجربة أخرى : خذ وعاءين يحتويان على حجمين متساويين من غازين مختلفين الإندروجين والنيتروجين مثلاً ، في درجة حرارة واحدة . افرض أن الوعاءين مغلقان بمكبسين متماثلين تماماً وأن فوق كلا منهما ثقلاً متساوياً . بالاختصار ، هذا يعني أن كلا من الغازين له نفس الحجم ونفس درجة الحرارة ونفس الضغط . حيث أن درجة الحرارة واحدة ؛ ينتج حسب النظرية أن متوسط طاقة الحركة عن الجزيء له نفس القيمة في الحالتين وحيث أن الضغطين متساويان ، فإن القوة الكلية الناتجة عن تصادم الجزيئات بالكبس تكون لها نفس القيمة في الحالتين . في المتوسط ، يكون لكل جزيء نفس طاقة الحركة وحيث أن لكل من نفس الحجم ، فإنه يتحتم أن يكون عدد الجزيئات الموجودة في كل منهما واحداً رغم أن الغازين مختلفان كيميائياً . لهذه النتيجة أهمية كبرى في فهم كثير من الظواهر الكيميائية وهي تعني أن عدد الجزيئات في حجم معين عند درجة حرارة معينة وضغط معين هو شيء لا يختلف من غاز لغاز وإنما ذو قيمة واحدة لجميع الغازات . ومن المدهش حقاً أنه فضلاً عن أن نظرية الحركة تؤدي إلى وجود هذا العدد فإنها تمكننا أيضاً من تعيينه . وسنعود إلى هذه النقطة في القريب .

تفسر نظرية الحركة للمادة كياً ونوعياً قوانين الغازات كما وجدت بالتجربة . وفضلاً عن ذلك فالنظرية لا تقتصر على الغازات ولكن نجاعها الباهر كان في هذا المجال .

تتمكن إسالة الغاز بخفض درجة الحرارة . ومعنى إنخفاض درجة حرارة مادة هو نقص متوسط كمية حركة جزيئاتها . وعلى ذلك يتضح أن متوسط حركة جزيء سائل أقل من متوسط طاقة حركة جزيء الغاز المناظر .

ولقد أزرع الستار عن حركة الجزيئات في السوائل أول مرة بما يسمى

« حركة براون » وهي ظاهرة مذهشة . وبدون نظرية الحركة للمادة تظل هذه الظاهرة غامضة وغير مفهومة . وقد لاحظ عالم النبات براون هذه الظاهرة لأول مرة ولم تفسر إلا في بداية القرن الحالى أى بعد ثمانين عاماً .

والجهاز الوحيد الذى يلزم لمشاهدة حركة « براون » هو الميكروسكوب ، وليس من الضروري أن يكون الميكروسكوب المستعمل من نوع ممتاز .

وكان براون يشتغل على حبيبات نباتات معينة أى :

« جسيمات ذات حجم كبير بدرجة غير مألوفة ويتراوح طول الواحدة من $\frac{1}{4}$ إلى $\frac{1}{100}$ من البوصة . » كما يقول براون . وتقتبس مما كتبه براون :

« عند فحص هذه الجسيمات مغموسة فى الماء ، لاحظت أن كثيراً منها يتحرك وبعد إعادة المشاهدة مرات عديدة اقتنعت بأن هذه الحركات لم تنشأ عن تيارات فى المائع ولا عن تبخره التدريجى وإنما ترجع إلى الجسيم نفسه . »
والذى لاحظته براون هو الإثارة المستمرة للحبيبات عند ما تنغمس فى الماء ، ويمكن رؤية ذلك بالميكروسكوب . وأنه لمنظر يؤثر فى النفس .

هل ترتبط هذه الظاهرة بنبات معين فقط ؟ أجاب براون على هذا السؤال بإعادة التجربة على نباتات مختلفة كثيرة ووجد أن جميع الحبيبات المختلفة تتحرك حركة مشابهة . وزيادة على ذلك وجد نفس هذا النوع من عدم الاستقرار لا فى جسيمات المواد العضوية فقط وإنما لجسيمات المواد غير العضوية أيضاً . وحتى قطعة صغيرة ملحونة من تمثال قديم حققت نفس الظاهرة .

كيف تفسر هذه الحركة ؟ إنها تظهر كأنها تتعارض مع كل ما قبلناه فيها سبق . فللاحظة موضع جميع معلوم واحد كل نصف دقيقة مثلاً ، تريخ الستار عن مساره العجيب . والشئ الذى يكاد لا يصدق حقاً هو الصفة المستمرة الظاهرة للحركة . إذا وصفنا بندول يتأرجح فى ماء فإنه يسكن بعد فترة من الوقت إلا إذا أثرت عليه قوة خارجية أخرى . ووجود حركة مستمرة يبدو متعارضاً مع كل

التجارب السابقة . وتنسب على هذه الصعوبة بطريقة مدهشة بتطبيق نظرية الحركة للمادة .

إذا استعملنا أقوى الميكروسكوبات التي في حيازتنا ونظرنا إلى الماء فإنه يمتد علينا رؤية الجزيئات أو حركاتها كما تصورها لنا نظرية الحركة للمادة . وعلى ذلك إذا كانت النظرية التي تنص على أن الماء هو مجموعة جزيئات صحيحة فلا بد وأن يكون حجم هذه الجزيئات أصغر من أصغر حجم يمكن رؤيته بأقوى الميكروسكوبات . بالرغم من ذلك دعنا نعتقد بصحتها وبأنها تعطينا صورة للحقيقة . إن جسيمات براون التي نراها إذا نظرنا بالميكروسكوب تتحرك مندفعة نتيجة لتسلط الجزيئات التي تكون الماء عليها رغم أن حجم هذه الجزيئات أصغر منها . وتنشأ حركة براون إذا كانت الجسيمات المندفعة صغيرة بدرجة كافية . وحركة هذه الجسيمات غير منتظمة لأن تسلط جزيئات السائل عليها غير منتظم ، ولا يمكن إيجاد قيمة متوسطة له نتيجة لعدم انتظامه فالحركة التي نشاهدها هي في الواقع نتيجة للحركة التي يتعذر مشاهدتها . وخواص الجسيمات الكبيرة تعكس إلى حد ما خواص الجزيئات . ويمكن التعبير عن ذلك في صيغة أخرى بأن نقول أن صفات الجسيمات هي صورة مكبرة لصفات الجزيئات بدرجة تجعل في الإمكان ملاحظتها بالنظر في الميكروسكوب ، وخواص مسار جسيم براون غير المنتظم (أي المسار) ، والذي لا يوجد ارتباط بينه وبين الزمن يدل على أن خواص مسارات الجزيئات الصغيرة التي تكون المادة ، تكون غير منتظمة أيضاً بطريقة مشابهة . وعلى ذلك نرى أن الدراسة الكمية لحركة براون تجعل نظرنا يصل إلى أطراف بعيدة من نظرية الحركة . من الواضح أن حركة براون التي نشاهدها تتوقف على حجم وكتلة الجزيئات المتسلطة . ولن تكون هناك حركة ما إذا لم يكن لهذه الجزيئات المتسلطة كمية معينة من الطاقة ، أي إذا لم يكن لها كتلة وسرعة ، لذلك لاندعش إذا علمنا أن دراسة حركة براون قد تؤدي إلى تعيين كتلة الجزيء .

لقد تكونت نظرية الحركة كماً لبحوث نظرية وعملية قاسية والدليل الذي ظهر نتيجة لحركة براون كان أحد الأدلة التي أدت إلى النتائج الكمية ويمكننا

اللوحۃ الأولى



(أخذ الصورة فیران)

جسيمات براون كما ترى خلال الميكروسكوب



(أخذ الصورة برميرج وفائيلوف)

أحد جسيمات براون كما صور بتعريض وتقطيع سطح



المسار التقريبي مستنتجاً من
هذه الأوضاع المتتالية



أوضاع متتالية لأحد
جسيمات براون

الحصول على نفس هذه النتائج بطرق مختلفة ميتدين بأدلة أخرى مختلفة . وأنها لحقيقة ذات أهمية كبيرة أن كل هذه الطرق تؤيد نفس وجهه النظر وذلك لأنها توضح تماسك وتناسق نظرية الحركة للمادة .

سنذكر هنا واحدة فقط من هذه النتائج الكمية الكبيرة التي حصل عليها نظرياً وعملياً . نفرض أن لدينا جراماً من أخف العناصر وهو الأيدروجين . ما هو عدد الجزيئات الموجودة في هذا الجرام الواحد ؟ إن الإجابة على هذا السؤال لا تكون مميزة للأيدروجين وحده بل لجميع الغازات لأننا تعلم الشروط التي تحتها يحتوي غازين مختلفين على عدد واحد من الجزيئات .

تمكننا النظرية ، بعد الحصول على قياسات معينة تتعلق بحركة براون من الإجابة على هذا السؤال والجواب هو عدد كبير جداً بدرجة يصعب تصديقها . عدد الجزيئات الموجودة في جرام من الأيدروجين هو

$$3.3 \times 10^{23}$$

تحيل أن حجم جزيئات الأيدروجين قد كبر بدرجة تمكننا من رؤيتها بالليروسكوب ، كأن يصبح قطر الجزيء مثلاً ، قسماً واحداً من خمسة آلاف قسم من البوصة أى مثل قطر جسيم براون . لحفظ هذه الجزيئات يلزمنا صندوق مكعب طول ضلعه يساوى ربع ميل .

يمكننا بسهولة أن نحسب كتلة أحد الجزيئات الأيدروجين هذه ، وذلك بقسمة « ١ » على العدد المذكور فيها سبق . والجواب هو كمية صغيرة للغاية .

$$3.3 \times 10^{-24} \text{ جرام}$$

والتيجارب التي أجريت على حركة براون هي بعض التجارب الستة الكثيرة التي أدت إلى تعيين هذا العدد الذي يلعب دوراً هاماً للناية في علم الطبيعة . ونلاحظ في نظرية الحركة للمادة وفي جميع نتائجها تحقق الببدأ الفلسفي العام :
جعل تفسير الظواهر يتوقف فقط على التفاعل بين جزيئات المادة .

ونلخص ما سبق كما يأتي

« في الميكانيكا يمكن التنبأ بالمسار الذي سيرسمه جسم متحرك إذا علمنا حالته الراهنة والقوى التي تؤثر عليه ، فمثلا يمكننا معرفة المسارات التي ستسير فيها جميع الكواكب في المستقبل . والقوى الفعالة هي قوى نيوتن الجاذبة التي تتوقف على البعد فقط . والتأثير العظيمة للميكانيكا الكلاسيكية تقوى الاعتقاد بإمكان تطبيق وجهه النظر الميكانيكية باستمرار على جميع فروع علم الطبيعة وبأنه يمكن تفسير جميع الظواهر بدلالة قوى تمثل إما الجذب أو الطرد وتتوقف على البعد وتؤثر بين جسيمات لا تتغير .

في نظرية الحركة للمادة ، نرى كيف أن هذا الاتجاه ، الذي نشأ من مسائل ميكانيكية ، يفسر ظاهرة الحرارة ويؤدي إلى رسم صورة ناجحة لتركيب المادة .

الباب الثاني

تداعى وجهة النظر الميكانيكية

- [المانع الكهربائيان — الواقع المتناظري — الصعوبة الجدية الأولى —
سرعة الضوء — النظرية الجسبية للضوء — لوز الما — ما هو الوجهة؟ —
النظرية الموجية للضوء — هل موجات الضوء طويلة أم مستمرة —
الأثير ووجهة النظر الميكانيكية] .

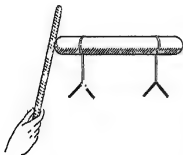
المانع الكهربائيان :

تحتوى الصفحات التالية على وصف عمل لتجارب في غاية البساطة ، مما ليسيين الأول هو أن وصف التجارب ، دون إجرائها فعلا ، لا يثير الاهتمام ، والثاني هو أن معنى هذه التجارب لن يتضح حتى تظهره النظرية التي ستصل إليها ، وغرضنا هو إعطاء مثال جيد يوضح الدور الذي تلعبه النظريات في علم الطبيعة .

١ — قضيب معدني محمول على قاعدة زجاجية ويتصل كل من طرفي القضيب بواسطة سلك بالكتروسكوب . ماهو الالكتروسكوب ؟ هو جهاز بسيط أجزاءه الرئيسية هي ورقتان ذهبيتان مملتان في نهاية قطعة معدنية قصيرة . والمجموعة محفوفة داخل إناء زجاجي بحيث لا يمس المعدن إلا الأجسام غير المعدنية أو المواد العازلة كما تسمى . وفضلا عن الالكتروسكوب والقضيب الزجاجي لدينا قضيب من المطاط الخشن . وقطعة من قماش الفاتلة .

وتجربى التجربة كما يأتي — يتأكد أولا من أن ورقتي الذهب متقاربتان دون انفراج لأن هذا هو وضعها المادى . إذا فرض أن الورقتين لم تكونا في هذا الوضع . يمكن إعادتهما إلى الوضع المادى بلمس القضيب المعدنى . بعد القيام بهذه العمليات الأولية بذلك قضيب المطاط بشدة بواسطة قماش الفاتلة . ثم نجعله يلامس

المعدن . فتنفرج الورقتان على الفور . وتبقى الورقتان منفرجتين . حتى بعد إبعاد قضيب المطاط .



٢ — تجرى تجربة أخرى

باستعمال نفس الجهاز السابق بحيث تكون الورقتان متطبقتين عند بدء التجربة . في هذه التجربة نجعل قضيب المطاط يقترب من المعدن دون أن يلامسه مرة أخرى فتنفرج الورقتان . وإذا

أبعدنا قضيب المطاط عن المعدن دون أن يلمسه فإن الورقتين تنطبقان على الفور ونعودان إلى وضعهما المادى على عكس الحالة السابقة التى تبقى فيها الورقتان منفرجتان حتى بعد إبعاد قضيب المطاط .

٣ — في التجربة الثالثة سنحدث تغيراً طفيفاً في الجهاز — نفرض أن القضيب المعدنى يتكون من جزئين متصلين ببعضهما — نذلك قضيب المطاط بقماش الفانلة مرة أخرى ، وتقربه من المعدن . نشاهد نفس الظاهرة ، أى انفراج ورقى الذهب نفصل الآن بين جزئى القضيب المعدنى . ثم نبعد قضيب المطاط . نلاحظ أن ورقى الذهب بقيان منفرجتين في هذه الحالة بدلا من إنطباقهما كما في التجربة الثانية



يصبب إثارة الاهتمام بهذه التجارب بالبسيطة الأولى وربما كان الذى يجربها فى المصور الوسطى ينال التأنيب . وهى تبدو لنا مملة وغير منطقية . ويصعب

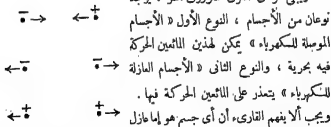
إعادة هذه التجارب دون لبس بعد قراءة واحدة لهذا الوصف . وقد تفهم هذه التجارب لو علمنا شيئاً عن الموضوع . بل إنه يمكننا أن نقول أن احتمال إجراء مثل هذه التجارب دون فكرة سابقة محددة عن معناها هو احتمال بعيد للغاية .

منين الآن الفكرة الأساسية لنظرية بسيطة تفسر جميع الحقائق التي وصفناها فيما سبق .

يوجد مائتان كهربائيتان يسمى أحدهما موجب (+) والآخر سالب (-) . وهما يشبهان لحد ما نظرية السيلال التي سبق شرحها فكما في حالة الحرارة يبق مقدار هذين المائتين في أية مجموعة معزولة ثابتا رغم ازدياده أو نقصه في أى فرد من أفراد هذه المجموعة . ولكن يوجد فرق أساسى بين هذه الحالة وبين حالة الحرارة أو المادة أو الطاقة . لدينا نوعان من السيلال الكهربائى ولا يمكن هنا تشبيه الكهرباء بالعملة كما فعلنا فيما سبق إلا إذا عمننا هذا التشبيه بعض الشيء . يقال أن جسم متعادل كهربائيا إذا كان المائتان الكهربائيتان (الموجب والسالب) يلاشى كل منهما الآخر بالضبط : وإذا كان شخص لا يملك شيئا فلماذا أن يكون هذا الشخص ليس لديه مال على الإطلاق وإما أن يكون المبلغ الذى يحفظه في خزانته يساوى تماما مجموع ما عليه من الديون ويعتدنا مقارنة المبلغ الموجود في خزانة هذا الشخص بالمائع الكهربائى الموجب وديونه بالمائع الكهربائى السالب .

والفرض التالى في النظرية هو أن المائتين الكهربائيتين اللتين من نوع واحد يتنافران (يطرد كل منهما الآخر) وإذا كانا من نوعين مختلفين فإن كلاهما يجذب الآخر . ويمكن تمثيل ذلك بالرسم كياتى .

ويبقى فرض نظرى ضرورى آخر : يوجد نوعان من الأجسام ، النوع الأول « الأجسام الموصلة للكهرباء » يمكن لهذين المائتين الحركة فيه بحرية ، والنوع الثانى « الأجسام المازلة » للكهرباء » يتعذر على المائتين الحركة فيها . ويجب ألا يفهم القارىء أن أى جسم هو إما عازل أو موصل . فالوصل والمازل التالين لا يوجدان إلا في الخيال ولا يمكن الحصول على أيهما فعلا . فالمعادن والأرض وجسم الإنسان كلها توصل الكهرباء ولكن ليس



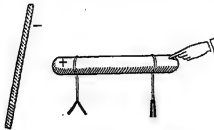
بنفس الدرجة . والزجاج والمطاط والصيني ومائثلها تمزل الكهرباء . أما الهواء فهو يعزل الكهرباء بدرجة محدودة فقط كما يعلم أى شخص يشاهد التجارب التى وصفناها : وقد جرت العادة أن تمزى الناتج السيئة لتجارب الكهربائىة الساكنة (التجارب الالكتروستاتيكية) إلى رطوبة الهواء وهو عذر جد مقبول .
تكنى هذه الفروض النظرية لتفسير التجارب التى وصفناها .

١ — قضيب المطاط متعادل كهربائياً فى الظروف العادية مثله فى ذلك مثل جميع الأجسام الأخرى . وهو يحتوى على مقدارين متساوين من المائتين الموجب والسالب . وهذه العبارة اصطلاح محض لأننا نطبق فيها الأسماء التى أوجدتها النظرية لىكى تتمكن من وصف عملية ذلك . ويسمى نوع الكهرباء الذى يزداد مقداره (عن مقدار النوع الآخر) فى قضيب المطاط بعد ذلك سالباً ، ومن المؤكد أيضاً أن هذا الاسم مسألة اتفاق فقط . وإذا دلكننا قضيباً من الزجاج بفراء قط ، فحسب ما اتفق عليه يكون نوع الكهرباء ائزائد موجباً . لنبدأ الآن فى التجربة . نحضر مائماً كهربائياً إلى المعدن وذلك بملاسته للمطاط . وفى المعدن يمكن للمائع الكهربائى أن يتحرك بحرية . وعلى ذلك فإنه ينتشر على سطح المعدن جميعه بمافيه إلىورقتان الذهبيتان . وحيث أن تأثير الكهرباء السالبة على الكهرباء السالبة هو التنافر فإن كلا من الورقتين تحاول أن تبتعد عن الأخرى أكبر مسافة ممكنة وتكون النتيجة هى الانفراج الذى نشاهده . وحيث أن المعدن يستند على زجاج أو أى عازل آخر ، فإن المائع يبق على الموصل زمناً يطول أو يقصر على حسب — ما تسمح به درجة توصيل الهواء . نفهم الآن لماذا يتحتم لس المعدن قبل البدء فى التجربة . فى هذه الحالة يكون المعدن وجسم الإنسان والأرض موصلاً واحداً هائلاً ، وينتشر المائع الكهربائى على هذا الموصل الهائل ولا يبق منه شىء يذكر على الالكتروسكوب .

٢ — تبدأ هذه التجربة مثل التجربة السابقة تماماً . ولكن المطاط لا يس المعدن بل يقترب منه فقط . وحيث أن المائتين الموجودين فى المعدن يمكنهما الحركة بحرية ، فإنهما يتفرقان ويجذب أحدهما ينهائطرده الآخر . ويمتزج المائتان مرة أخرى عندما يبعد قضيب المطاط وذلك لأن المائتين المختلفى النوع يجذب كل منهما الآخر .

٣ - في هذه التجربة تفصل المعدن إلى قسمين وبعد ذلك نبعد قضيب المطاط في هذه الحالة يتمدد على المائتين أن يتمزجا وعلى ذلك تحتفظ ورقنا الذهب بزيادة من أحد المائتين وتبقىان منفرجتين .

تبدو جميع الحقائق التي ذكرناها فيما سبق مفهومة في ضوء هذه النظرية البسيطة . وتقوم هذه النظرية بأكثر من ذلك ، ففضلاً عن الحقائق السابقة ، تمكننا النظرية من فهم حقائق أخرى كثيرة عن الكهرباء الساكنة . الفرض من أية نظرية جديدة هو أن تؤدي إلى اكتشاف ظواهر وقوانين جديدة ، وبتشبع ذلك بمثال كالآتي : تصور تنشيراً في التجربة الثانية . افرض أن قضيب المطاط يبق قريباً من المعدن وانك في نفس الوقت تلمس الموصل باصبعك ، ماذا يحدث الآن ؟ وتجبب النظرية على ذلك بأنه يمكن للمائع المطرود (-) أن يهرب عن طريق جسمك وتكون النتيجة أن يبقى مائع واحد هو المائع الموجب . وأوراق



الالكتروسكوب القريبة من قضيب المطاط هي التي تبقى منفرجة ويمكن التحقق من ذلك بتجربة فعلية .

إذا نظرنا إلى هذه النظرية بمنظار علم الطبيعة الحديث، فمن المؤكد أننا سنجدها بسيطة بدائية وغير مرضية . وبالرغم من ذلك فهي مثال جيد يبين الخواص التي تتميز كل نظرية طبيعية . ولا توجد نظريات دائمة في العلم فبعض الحقائق التي تتنبأ بها نظرية ما كثيراً ما يثبت عدم صحتها بالتجربة . ولكل نظرية فترة معينة تنمو فيها تدريجياً وتردهم ، وقد تتداعى بعد ذلك بسرعة . ونشأة ونسقوط نظرية السعال

للحرارة هو أحد الأمثلة الكثيرة على ذلك . وسندرس أمثلة أخرى أكثر أهمية وعمقاً فيما بعد .

ويكاد ينشأ كل تقدم على عظيم من أزمة في النظرية القديمة وذلك نتيجة للبحث عن مخرج من الصعوبات الموجودة . يجب أن نختبر المبادئ والنظريات القديمة رغم أنها تنتسب إلى الماضي ، لأن هذا هو الطريق الوحيد لفهم أهمية ومدى صحة المبادئ والنظريات الجديدة .

في الصفحات الأولى من هذا الكتاب ، قارنا الدور الذي يقوم به الباحث بعمل المخبر البوليسى الذي يجد الحل الصحيح بالتفكير البحث بعد أن يجمع الحقائق الضرورية . ولكن هذا التشبيه سطحي فقط ولا أساس له . ففي كل من الحياة الواقعية ، والقصاص البوليسية تكون الجريمة معروفة . وعلى المخبر البوليسى أن يبحث عن خطابات وبصمات أصابع ورصاص ومسدسات . . ولكنه يعلم تماماً أن جريمة قد ارتكبت . أما حالة العالم فليست كذلك ، وليس من الصعب أن نتخيل شخصاً لا يعلم شيئاً على الإطلاق عن الكهرباء ، فقد عاش أجدادنا حياتهم دون أن يملؤنها شيئاً . لنفرض الآن أن في حوزة هذا الشخص معدن وقصيب من اللطاط وقطعة من قاش الفائلة وورقتان من الذهب وزجاجات . . وبالاختصار كل ما نحتاجه لإجراء التجارب الثلاث السابقة ، بالرغم من أن هذا الشخص ذو ثقافة عالية فإنه في الغالب سيستعمل الزجاجات في حفظ الخمر ، وقاش الفائلة في التنظيف ولن يفكر مطلقاً في عمل الأشياء التي وصفناها . أما في حالة المخبر البوليسى فالجريمة معروفة ، أى أن المسألة مصاغة ! من الذى قتل محمد حسن ؟ ويجب على العالم نفسه أن يرتكب الجريمة إلى حد ما ، وأن يقوم بالبحث أينما ، وزيادة على ذلك فإن مهمته ليست مقصورة على تفسير حالة واحدة معينة بل هي تفسير جميع الظواهر التي حدثت والتي قد تحدث فيما بعد .

في المقدمة التي أعطيناها لتوضيح فكرة المائنين ؛ نرى بوضوح تأثير الفكرة الميكانيكية التي تحاول تفسير كل ظاهرة بدلالة المادة وبدلالة القوى البسيطة التي تعمل بينها ، وإذا أردنا أن نبين ما إذا كان من الممكن تطبيق وجهة النظر

الميكانيكية لوصف الظواهر الكهربائية ، فإنه يتحتم علينا دراسة للمسألة الآتية :
نفرض أن لدينا كرتين صغيرتين على كل منهما شحنة كهربائية ، أى أن على كل
منهما زيادة معينة من أحد اللاتين . نعلم أن الكرتين إما أن تتجاذبا أو تتنافرا .
ولكن هل تتوقف إنتوة المؤثرة على البعد فقط ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هى
العلاقة بين القوة والبعد ؟ يبدو أن أبسط تخمين ممكن هو أن العلاقة بين القوة
بين القوة والبعد فى هذه الحالة هى نفس العلاقة بينهما فى حالة قوة الجاذبية التى
فيها على سبيل المثال تنقص القوة إلى تسع قيمتها إذا ازداد البعد إلى ثلاثة أمثاله .
لقد أثبت كولوم صحة هذا القانون بالتجارب التى أجراها . فبعد مائة عام من
اكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية وجد كولوم قانوناً مشابهاً يربط بين القوة
الكهربائية والبعد ، وقطعتنا الاختلاف الرئيسيتان بين قانونى نيوتن وكولوم هما :
(١) توجد قوى الجاذبية باستمرار بينما لا توجد القوى الكهربائية إلا إذا
كان الجسمان مشحونين بالكهرباء .

(٢) فى حالة الجاذبية توجد قوة جاذبة فقط ولكن القوة الكهربائية قد
تكون جاذبية أو طاردة .
ينشأ هنا نفس السؤال الذى درسناه فى حالة الحرارة : هل للامتين الكهربائيتين
وزن أم لا ؟ أو بعبارة أخرى هل وزن قطعة معدنية وهى فى حالة التعادل يساوى
ووزنها وهى مشحونة بالكهرباء ؟ بواسطة الموازين الموجودة لدينا لا نقبى أى
فرق فى الوزن فى هاتين الحالتين . وعلى ذلك نستنتج أن اللاتين الكهربائيتين
سيالان لا وزن لهما .

يستلزم التقدم فى دراسة نظرية الكهرباء إدخال فكرتين جديدتين . ومرة
أخرى سنتحاشى التعاريف المضبوطة ، مستخدمين بدلا منها طريقة المقارنة بالمبادئ
التي نعرفها جيداً . ونحن نذكر أهمية التمييز بين كمية الحرارة ودرجاتها فى دراسة
ظاهرة الحرارة . يعادل ذلك فى الأهمية ، التمييز بين الجهد الكهربائى والشحنة
الكهربائية . ويتضح الفرق بين هاتين الفكرتين من التناظر الآتى :

درجة الحرارة

الحرارة

الجهد الكهربائى

الشحنة الكهربائية

تقد يحتوى موصلان ، كرتان مختلفتا الحجم مثلا ، على شحنتين كهربائيتين متساويتين (أى على زيادة متساوية من أحد المائتين) ولكن جهدهما يختلف ويكون جهد الكرة الصغرى أعلى من جهد الكبرى . ستكون الكثافة السطحية للمائع على الكرة الصغرى أكبر منها على الكرة الكبرى . وحيث أن القوة الطاردة لا بد وأن تزداد بازدياد الكثافة ، فإن الدرجة التى تعميل بها الشحنة إلى الهروب تكون أكبر فى حالة الكرة الصغرى منها فى حالة الكرة الكبرى . ويدل ميل الشحنة إلى ترك الموصل على جهد هذا الموصل ، ولكى نبين بوضوح الفرق بين الشحنة والجهد سنصوغ بعض العبارات التى تصف خواص الأجسام الساخنة والعبارات المناظرة فى حالة الموصلات المشحونة بالكهرباء .

الحرارة

إذا تلامس جسمان وكانت درجتا حرارتهما مختلفتين قبل التلامس فلنهما يصلان إلى نفس درجة الحرارة بعد فترة من الزمن .

إذا كان لدينا جسمان مختلفان فى السعة الحرارية وأعطينا كلا منهما مقدارا متساويا من الحرارة فإن التغير فى درجتى حرارتهما يكون مختلفا .

إذا لامس ترمومتر جسما ، فإنه يبين بواسطة طول عموده الزئبقى درجة حرارة الترمومتر وبالتالى درجة حرارة الجسم .

الكهرباء

إذا تلامس موصلان وكان جهدهما قبل التلامس مختلفين فلنهما يصلان إلى نفس الجهد بعد فترة زمنية قصيرة جداً .

إذا كان لدينا جسمان مختلفان فى السعة الكهربائية وأعطينا كلا منهما شحنة كهربائية متساوية فإن التغير فى جهديهما يكون مختلفا .

إذا اتصل الكترولسكوب بموصل فإنه يبين بواسطة انفراس وورقتيه الذهبيتين جهد نفسه الكهربائى وبالتالى الجهد الكهربائى للموصل .

ولكن يجب ألا ننهب ببساطة فى هذا التناظر . والمثال الآتى يبين وجود أوجه اختلاف وأوجه تشابه بين الحرارة والكهرباء . إذا لامس جسم ساخن

جسماً بارداً فإن الحرارة تسرى من الجسم الساخن إلى الجسم البارد . فترض
أن لدينا موصلين معزولين على كل منهما شحنة متساوية الأولى موجبة والثانية
سالبة . جهدا الموصلين مختلفان . حسب ما اتفق عليه ، يكون جهد الموصل
ذو الشحنة الموجبة أعلى من جهد الموصل ذي الشحنة السالبة . ولكن إذا وصل
الموصلان بسلك نحسب نظرية المائعين الكهربائيين ثلاثي شحنة كليهما ، وعلى
ذلك لا يوجد فرق في الجهد الكهربائي على الإطلاق . يجب أن نتخيل « انسياب »
الشحنة الكهربائية من أحد الموصلين إلى الآخر أثناء الفترة الزمنية القصيرة التي
يتلأث فيها فرق الجهد . ولكن كيف يكون ذلك ؟ هل ينساب المائع الموجب إلى
الجسم السالب الشحنة ، أم المائع السالب إلى الجسم الموجب الشحنة .

المعلومات المذكورة هنا لا تمكننا من الجزم بأحد هذين الاحتمالين أو بأن
الانسياب يحدث في الاتجاهين في نفس الوقت . والسألة ليست إلا أمراً يتفق
عليه ، ولا يوجد أى مزمى للاختيار لأنه لا توجد لدينا أية طريقة عملية للإجابة
على هذا السؤال . وقد أجابت التطورات التالية ، التي أدت إلى نظرية أكثر تماسكا
للكهرباء على هذا السؤال . وهذه الإجابة تبدو لا معنى لها على الإطلاق إذا صيغت
بدلالة النظرية البسيطة الأولية ، أى نظرية المائعين الكهربائيين . وسنفترض هنا
ما يأتي : ينساب المائع الكهربائي من الموصل ذو الجهد الأعلى إلى الموصل ذو الجهد
الأدنى . وعلى ذلك ففي الحالة الخاصة التي ندرسها تسرى الكهرباء من الموجب
إلى السالب . وهذا التعبير هو مسألة اتفاق فقط وحتى الآن هو اختياري بحث .

وتبين هذه الصعوبة أن التناظر بين الحرارة
الكهرباء ليس كاملاً بأي حال من الأحوال .
لقد رأينا إمكان تطبيق وجهة النظر



الميكانيكية لوصف الحقائق الأولية في الكهرباء الاستاتيكية . ونفس الشيء يمكن
في حالة الظواهر اللتناطيسية .

المأهامة المغناطيسية :

مستدير هنا بنفس الطريقة السابقة ، فنبداً بحقائق بسيطة للغاية ، ثم نبحث عن تفسيرها النظري .

١ - لدينا قضبان مغناطيسية طويلة ، الأولى يتحرك بسهولة في مستوى أفقي حول مركزه الثابت والآخر ممسوك باليد . تقرب طرفا القضبين من بعضهما

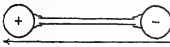


فنلاحظ قوة جاذبة شديدة بينهما . يمكن لإجراء هذه التجربة دائماً . وإذا لم تلاحظ هذه القوة الجاذبة فحاول الطرف الآخر للقضيب الممسوك باليد ولا بد أن تلاحظ هذه الظاهرة السابقة إذا كانت القضبان ممغنطين . تسمى نهايتا القضيب قطبيه . لإكمال التجربة السابقة نحرك قضيب المغناطيس الممسوك باليد على المغناطيس الآخر . نلاحظ أن قوة الجذب تتناقص إلى أن يصل القضيب إلى منتصف هذا المغناطيس الأخير فلا تشعر بأية قوة جاذبة على الإطلاق . وإذا تحرك القضيب في نفس الاتجاه فإننا نشعر بقوة طاردة تصل إلى نهايتها العظمى عند القطب الثاني للمغناطيس الأفقي .

٢ - تؤدي التجربة السابقة إلى تجربة أخرى . كل مغناطيس له قطبان . هل يمكن عزل أحدهما ؟ الفكرة في غاية البساطة ، يكفي أن نكسر المغناطيس إلى جزئين متساويين . لقد رأينا أنه لا توجد قوة بين قطب المغناطيس الأول ومركز الثاني . ولكن النتيجة التي تحصل عليها من كسر المغناطيس غريبة وغير متوقعة . وإذا كررنا التجربة الأولى على أحد نصفي المغناطيس نحصل على نفس

النتائج السابقة ! يوجد الآن قطب قوى في الموضع الذى لم نلاحظ وجود أية قوة مغناطيسية عنده أولاً .

كيف تفسر هذه الحقائق ؟ يمكننا أن نحاول وضع نظرية للمغناطيسية مشابهة لنظرية الكهرباء السابقة . وذلك لأن قوى الجذب والطرذ تصاحب كلا من الظواهر المغناطيسية والكهربائية . نفرض أن لدينا موصلين كربين عليهما شحنتين كهربائيتين متساويتين في القيمة المطلقة إحداها موجبة والأخرى سالبة ، $+$ ، $-$ مثلاً . نفرض أيضاً أن قضيباً عازلاً من الزجاج مثلاً ، يصل بين هاتين

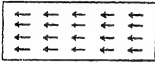


الكربين . يمكن تمثيل هذه المجموعة بسهم متجه من الموصل ذو الشحنة السالبة إلى الموصل ذو الشحنة

الموجبة . تسمى هذه المجموعة مزدوجاً كهربائياً . من الواضح أن مزدوجين كهربائيين من هذا النوع يسلكان نفس سلوك القضيبين المغناطيسيين في التجربة الأولى . وإذا نظرنا إلى هذه المجموعة على أنها تمثل مغناطيسياً حقيقياً فمن الممكن أن نقول (على فرض وجود المائعين المغناطيسيين) أن المغناطيس ماهر إلا مزدوج مغناطيسي له عند نهايتاه مائعان مغناطيسيان مختلفي النوع .

نستطيع بهذه النظرية البسيطة ، التى حصلنا عليها بتقليد نظرية الكهرباء ، أن نفسر نتائج التجربة الأولى نحصل من هذا التمثيل على قوة جاذبة عند أحد الطرفين وطاردة عن الآخر وعلى قوتين متساويتين ومتماثلتين عند الوسط . ولكن هل نستطيع تفسير نتائج التجربة الثانية أيضاً ؟ بكسر قضيب الزجاج (في حالة المزدوج الكهربائي) نحصل على قطبين منعزلين . حسب النظرية الجديدة يجب أن نحصل على نفس النتيجة إذا كسرنا المغناطيس . ولكن النتائج التى حصلنا عليها من التجربة الثانية تخالف ذلك . يحتم علينا هذا التناقض أن نبحث عن نظرية أفضل . بدلاً من النموذج السابق ، نتخيل أن المغناطيس مكون من مزدوجات مغناطيسية صغيرة جداً ولا يمكن تفرقة قطبي أى واحد منها بالكسر ، واتجاه جميع هذه المزدوجات واحد هو اتجاه المغناطيس . يتضح على الفور لماذا يسبب كسر

المغناطيس ظهور قطبين جديدين كما نرى أن هذه النظرية الجديدة توضح حقائق تجريبية ١ ٢٦ .



وتكفي النظرية الأولى ، دون إدخال أى تعديل عليها ، لتفسير كثير من الحقائق .
فمثلا نعلم أن المغناطيس يجذب قطع الحديد ؟

لماذا ؟ في قطعة الحديد العادية يكون اللاتمان المغناطيسيان ممتزجين وعلى ذلك لا يكون لها أى تأثير مغناطيسى ، وتقريب قطب موجب من قطعة الحديد يكون بمثابة « أمر بالتفريق » للذرات ، فيجذب القطب الموجب مائع الحديد السالب ويطرده الموجب . وينتج عن ذلك قوة الجذب بين المغناطيس والحديد . وإذا أبعدنا المغناطيس يعود اللاتمان إلى حالة تقرب من حالتهم الأولى ، وتعتمد درجة اختلاف الحالتين على الدرجة التى يتذكر بها اللاتمان الصوت الأمر للقوة الخارجية أى على درجة تأثرهم بالمغناطيس .

ولن نتحدث إلا قليلا عن الجانب الكمي للموضوع . إذا كان لدينا قضبان ممغنطان طويلان فإنه يمكننا بحث تجاذب (أو تنافر) قطبيهما عندما يقترب أحدهما من الآخر . وإذا كان القضبان طويلين بدرجة كافية ، فإن تأثير القطبين البعيدين على بعضهما يكون صغيراً ويمكن إهماله . ماهى العلاقة بين قوة تجاذب أو تنافر القطبين وبين البعد بينهما ؟ لقد أجابت تجربة كولوم على هذا السؤال كما يأتى :
هذه العلاقة هى كما فى قانون الجاذبية لنيوتن وقانون كولوم للكهرباء الاستاتيكية .

نرى مرة أخرى فى هذه النظرية تطبيقاً لوجهة نظر عامة ، ألا وهى : الميل إلى وصف جميع الظواهر بدلالة قوى جاذبة وطاردة تتوقف فقط على البعد بين جسيمات ثابتة لا تتغير وتتأثر بينها .

ونسشير الآن إلى حقيقة ، معروفة تماما ، وذلك لأننا سنستعملها فيما بعد . وهى أن الأرض هى مزدوج مغناطيسى كبير . ولا يوجد أى شئ . يفسر هذه الحقيقة . ويكاد

ينطبق قطبا الأرض الشمالى والجنوبى على قطبيها المغناطيسيين السالب والموجب على الترتيب . وطبعاً ، ليست الأسماء سالب وموجب إلا مسألة اتفاق . ولكن هذه التسمية بعد الاتفاق عليها تمكننا من التمييز بين الأقطاب فى أية حالة أخرى . والابرة المغناطيسية التى تتحرك فى مستواها حول منتصفها تطيع أمر القوة المغناطيسية الأرضية . قطبها الموجب يشير نحو قطب الأرض الشمالى أى قطبها المغناطيسى السالب . ورغم أنه يمكننا تطبيق وجهة النظر الميكانيكية باستمرار للظواهر المغناطيسية والكهربائية التى أشرنا إليها هنا فإنه لا يوجد ما يدعو إلى الفخر أو السرور لذلك فمن المؤكد أن بعض نواحي النظرية غير مرضيه إن لم تكن غير مشجعة . فمن الضرورى للنظرية إيجاد أجسام سيالة جديدة هى المائمان الكهربائيان والمزدوجات المغناطيسية الأولية . لقد ازداد عدد الأجسام السيالة كثيراً ! .

والقوى التى ظهرت بسيطة ، ويمكن التعبير عن القوى المغناطيسية والكهربائية وقوى الجاذبية بنفس الطريقة . ولكننا ندفع ثمننا غالياً لهذه البساطة ألا وهو إدخال الأشياء السيالة الجديدة والعديدة الوزن . وليست هذه سوى صور مفتعلة وغير حقيقية ولا علاقة بينها وبين الأجسام الأصلية وهى المادة .

الصعوبة الجديدة الأولى :

نحن الآن فى حالة تسمح بذكر الصعوبة الجديدة الأولى التى نشأت عن تطبيق وجهة نظرنا الفلسفية العامة . وسنثبت فيما بعد أن هذه الصعوبة وأخرى أشد منها هما السبب فى تداعى الاعتقاد بإمكان تفسير جميع الظواهر ميكانيكياً .

لقد بدأ التطور العظيم فى الكهرباء كفرع من فروع العلم والهندسة ، باكتشاف التيار الكهربائى . ونجد هنا إحدى اللحظات القلائل فى تاريخ العلم التى تلعب فيها الصدفة دوراً هاماً . وتروى قصة قوة ساق الضفدعة بطرق مختلفة . وبعض النظر عن التفاصيل ، لا يوجد أى شك فى أن اكتشاف جلفانى الذى حدث بالصدفة ، قاد قولنا إلى تصميم ما يعرف ببطارية (عمود) فولتا . ولا توجد لهذه البطارية أية فائدة عملية الآن ولكنها لا تزال تعطى مثالا بسيطاً لمصدر تيار كهربائى فى التجارب

المدرسية وفي الكتب الدراسية . وفكرة تركيب هذه البطارية بسيطة ، توجد عدة مخبرات تحتوي على ماء مضاف إليه قليل من حامض الكبريتيك وفي كل مخبر توجد قطعتان معدنيتان الأولى من النحاس والثانية من الزنك مغمومتان في المحلول ويتصل لوح النحاس في كل إناء بلوح الزنك في الإناء التالي ؛ أى أن لوح الزنك في الإناء الأول ولوح النحاس في الإناء الأخير هما اللوحان الوحيدان غير المتصلان . يمكننا أن نستدل على وجود فرق في الجهد الكهربائي بين نحاس الإناء الأول وزنك الإناء الأخير (وذلك باستخدام الكتروسكوب متوسط الحساسية) إذا كان عدد مكونات البطارية ، أى الأوعية التي يحتوي كل منها على لوحى الزنك والنحاس ، كبيراً بدرجة كافية .

لنتميز بطارية فولتا المكونة من عدة عناصر عن أخرى مكونة من عنصر واحد إلا في سهولة قياس الكميات المتعلقة بها وهذا هو السبب الوحيد الذي من أجله تسكلمنا عن بطارية ذات عناصر كثيرة ، أما فيما يتعلق بمصنوع واحد يكفي تماماً . وجهد النحاس أعلى من جهد الزنك . واستعمال كلمة أعلى هنا يناظر استعمالها عندنا نقول أن $+ ٢$ أعلى (أكبر) من $- ٢$. إذا اتصل موصل بلوح النحاس وآخر بالزنك فإن كلا من الموصلين يصبح مشحوناً ؛ وتكون شحنة الأول موجبة وشحنة الثاني سالبة . حتى هذه النقطة لم يظهر بعد أى شيء جديد يستحق الملاحظة تقريباً ، ويمكننا محاولة تطبيق أفكارنا السابقة عن فرق الجهد . ولقد رأينا أن الفرق في الجهد بين أى موصلين يتلامس إذا وصلنا بينهما بسلك ، إذ بذلك ينساب مائع كهربائي من أحد الموصلين إلى الآخر . وكانت هذه العملية تشابة عملية تساوى درجتى الحرارة نتيجة لانسياب الحرارة . ولكن هل نحصل على نفس النتيجة في حالة بطارية فولتا ؟ لقد كتب فولتا في تقريره يقول أن اللوحين كانت بهما نفس صفات الموصلات .

« ضعيفا الشحنة يعملان بدون توقف أو أن شحنتهما ترجع إلى قيمتها الأولى بعد كل تفريغ كهربائي أو بمعنى آخر ينتج عن هذا شحنة غير منتهية أو فعلا دائماً ينتج - عنه المائع الكهربائي » .

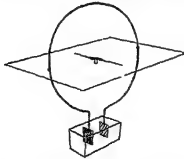
والنتيجة الغريبة لهذه التجربة أن فرق الجهد بين لوحى النحاس والزنك لا يتلاشى كما فى حالة موصلين مشحونين ومتصلين بسلك بل يوجد فرق الجهد باستمرار وحسب نظرية الموائع الكهربائية ، لا بد وأن يسبب هذا الفرق فى الجهد إنسياً مستمراً للمائع الكهربائى من الموصل ذو الجهد العالى (لوح النحاس) إلى الموصل ذو الجهد الأدنى (لوح الزنك) . لكن نحافظ على نظرية الموائع الكهربائية من الانهيار فنفترض وجود قوة ما ثابتة تؤثر فتوجد فرق الجهد وتسبب انسياب المائع الكهربائى . ولكن الظاهرة كلها مدعشة من ناحية الطاقة إذ تتولد كمية ملحوظة من الحرارة فى السلك الذى يحمل التيار لدرجة أن هذا السلك ينصهر إذا كان رقيقاً . وعلى ذلك تتولد طاقة حرارية فى السلك . ولكن بطارية فولتا كلها تكون مجموعة مقفلة وذلك لعدم وجود أى مصدر خارجى للطاقة وإذا أردنا أن نحفظ قانون بقاء الطاقة من التداخى ، يجب علينا أن نبعث أين يحدث التحويل وعلى حساب ماذا تتولد الحرارة . لا يصعب التحقق من وجود عمليات كيميائية معقدة فى البطارية ، والمواد التى تتفاعل فى هذه العمليات هى الزنك والنحاس والسائل المغموسين فيه . وهذه هى الكيفية التى تتحول بها الطاقة : طاقة كيميائية ← طاقة المائع للنسب أى التيار الكهربائى ← حرارة . ونتيجة للتغيرات الكيميائية التى تصاحب انسياب الكهرباء تصبح بطارية فولتا غير صالحة للاستعمال بمضى الوقت .

والتجربة التى كشفت فعلاً عن الصعوبات الكبرى فى تطبيق الأفكار الميكانيكية لا بد وأن تبدو غريبة على أى شخص يسمع عنها للمرة الأولى . وقد أجرى أوردستن هذه التجربة منذ مائة وعشرون عاماً ، وجاء فى تقريره ما يأتى :

يمكن البرهنة بهذه التجارب على أن الإبرة المغناطيسية تحركت نتيجة لجهاز جلغافى ، وذلك عند ما أقفلت الدائرة الجلغافية وليس عند فتحها ، كما حاول بعض علماء الطبيعة الأفاضل دون جدوى منذ عدة سنين مضت » .

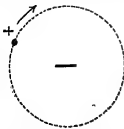
نفرض أن لدينا بطارية فولتا وسلك موصل . إذا وصلنا السلك إلى لوح النحاس فقط فإنه يوجد فرق فى الجهد ولكن لا يوجد تيار . نفرض أن السلك نثني بحيث

يكون دائرة وأنه توجد إبرة مغناطيسية عند مركز السلك وفي مستواه . لا يحدث أى شيء مادام السلك لا يمر لوح الزنك . لا توجد أية قوة مؤثرة ، أى أن فرق الجهد ليس له أى تأثير على وضع الإبرة . أن من الصعب فهم لماذا توقع بعض « علماء الطبيعة الافذاذ » . كما سبهم أوردستد ، مثل هذا التأثير .



لنصل السلك الآن بلوح الزنك . يحدث شيء غريب على الفور . تدور الإبرة المغناطيسية وتأخذ وضعاً مخالفاً لوضعها الأول . وإذا كان هذا الكتاب هو مستوى السلك فإن أحد قطبي الإبرة يشير الآن إلى القارئ . والذي نلاحظه هو تأثير قوة على القطب المغناطيسي . وتؤثر هذه القوة في اتجاه عمودي على الدائرة . وبعدمواجهة حقائق هذه التجربة يصعب أن نتحاشى استنتاج اتجاه القوة المؤثرة . هذه التجربة جيدة بالاهتمام لأنها تبين العلاقة بين ظاهرتين مختلفتين هما المغناطيسية والتيار الكهربائي . ويوجد سبب آخر أقوى لأهمية هذه التجربة . لا يمكن أن تقع القوة التي تعمل بين القطب المغناطيسي والأجزاء الصغيرة للسلك الذي يمر فيه التيار على الخطوط الواصلة بين الإبرة والسلك ، أى لا يمكن أن تكون خطوط عمل القوة هي الخطوط الواصلة بين المزدوجات المغناطيسية الأولية وبين جسيات التيار النسب . فالقوة عمودية على هذه الخطوط ! ولأول مرة تظهر قوة تختلف تماماً عن القوى التي قصدنا ، من وجهة النظر الميكانيكية ، أن ننسب إليها جميع الأحداث في العالم الخارجي . ونحن نذكر أن قوة الجاذبية والقوى المغناطيسية والكهربائية تتبع قانوني نيوتن وكولوم وتؤثر في المستقيم الواصل بين الجسمين المتجاذبين (أو المتنافرين) .

وقد زادت هذه الصعوبة وضوحاً بتجربة أجراها رولاند بمهارة منذ ستين عاماً . وإذا تركنا التفاصيل الفنية جانباً فإنه يمكن وصف هذه التجربة كما يلي : تخيل كرة صغيرة مشحونة بالكهرباء . تخيل أيضاً أن هذه الكرة تتحرك بسرعة كبيرة في دائرة يوجد عند مركزها إمرة مغناطيسية . أساس هذه التجربة هو نفس أساس تجربة أوردستد والفرق الوحيد هو أننا نستعاض عن التيار بحركة ميكانيكية للشحنة الكهربائية . وجد رولاند أن النتيجة تشابه النتيجة التي نحصل عليها عندما يمر تيار في سلك دائري أى أن المغناطيس ينحرف بتأثير قوة عمودية . لنفرض الآن أن الشحنة تتحرك بسرعة أكبر . نتيجة لذلك تزداد القوة التي تؤثر على القطب المغناطيس وبذلك يزداد الانحراف عن الوضع الأصلي . تبين هذه النتيجة صعوبة أخرى . ففضلاً عن أن القوة لا تؤثر في الخط الواصل بين



الشحنة والمغناطيس فإن شدتها تتوقف على سرعة الشحنة . لقد بنيت وجهة النظر الميكانيكية جميعها على الاعتقاد بأن جميع الظواهر يمكن تفسيرها بدلالة قوى تتوقف على البعد فقط وليس على السرعة . ومن المؤكد أن نتيجة تجربة رولاند ترمز ع هذا الاعتقاد .

ومع ذلك فربما نكون من المحافظين ونحاول أن نبحث عن حل لا يتعارض مع المبادئ السابقة .

كثيراً ما تنشأ في العلم صعوبات مفاجئة وغير منتظرة مثل الصعوبات السابقة ، وهي تضع بذلك عقبات في طريق التطور الناجح لنظرية ما . وفي بعض الأحيان يبدو أن إدخال تعميم بسيط على الأفكار القديمة قد يخلصنا من هذه الصعوبات ولو بصفة مؤقتة . فثلاً قد يبدو في الحالة الحاضرة أن تدخل قوى أخرى عامة تؤثر على الجسيمات الصغيرة . ومع ذلك فكثيراً ما يصعب ترقيع نظرية قديمة ، وتؤدي الصعوبات إلى القضاء على النظرية القديمة ونشأة أخرى جديدة . ولم يكن سلوك الإمرة المغناطيسية هو العامل الوحيد في سقوط النظريات الميكانيكية التي (م - علم الطبيعة)

كانت تبدو ناجحة وذات أساس متين . فقد ظهر هجوم شديد آخر من ناحية أخرى مختلفة تماماً . ولكن هذه قصة أخرى سنتقصها فيما بعد .

سرعة الضوء :

في كتاب «علمان جديديان» لجاليليو ، معاذة بين الأستاذ وتلاميذه موضوعها سرعة الضوء :

ساجريدو : ولكن ماهو نوع سرعة الضوء هذه وبأية درجة هي كبيرة ، هل هي آتية أم لحظية أم تحتاج إلى وقت مثل أية حركة أخرى ؟ وهل يمكن تحديد الاجابة على هذه الأسئلة بالتجربة ؟

سيمبليكو : تبين جميع المشاهدات اليومية في الحياة العملية أن انتشار الضوء آتى ، وذلك لأننا نرى لهب قذيفة المدفع على بعد كبير دون مضي أى وقت ولكن دويها لا يصل إلى الأذن إلا بعد فترة زمنية ملحوظة .

ساجريدو : حسناً يامبليكو . النتيجة الوحيدة التى يمكننى استنتاجها من هذه التجربة المألوفة هي أن صوت القذيفة يصل إلى الأذن بسرعة أصغر من التى يصل بها الضوء إلى العين ، ولكنها لاتبين ماذا كان وصول الضوء آتى أم أنه يحتاج إلى وقت رغم أنه سريع جداً ...

سالكاني : لقد قادتني النتائج البسيطة لهذه المشاهدات وما مائلها إلى تصميم طريقة يمكن بواسطتها التأكد مما إذا كانت آتية حقاً . . .

ويأخذ سالكاني في شرح طريقة تجربته . ولكي نفهم فكرته سنفرض أن سرعة الضوء صغيرة فضلاً عن فرضنا أنها محدودة ، أى أننا سنفترض أن حركة الضوء قد أبطلت مثل حركة فلم سينمائي بطيء . رجلان أ ، ب يحمل كل منهما مصباح منطى ويقفان على بعد ميل من بعضهما . يضيء الرجل الأول أ مصباحه . لقد اتفق الرجلان على أن يضيء ب مصباحه عند اللحظة التى يرى فيها ضوء مصباح أ . لنفرض في « حركتنا البطيئة » أن الضوء يسير مسافة قدرها ميل في الثانية الواحدة . يرسل أ اشارته برفع الغطاء عن مصباحه . يرى ب هذه الإشارة

بعد مرور ثانية واحدة ويجيبها برفع الغطاء عن مصباحه . ولا تصل إشارة ب
إلى ^١ إلا بعد مرور ثانيتين من إعطائه (أى ١) إشارة . أى أنه إذا كان الضوء
يسير بسرعة ميل فى الثانية فإنه يتحتم أن تمضى ثانيتان بين اللحظة التى يرسل
فيها ١ إشارته واللحظة التى يرى فيها إشارة ب ، على فرض أن ب يعد عن ١
مسافة قدرها ميل واحد . وبالعكس إذا كان ١ يجهل سرعة الضوء ولكنه
يفترض أن زميله قد حافظ على الاتفاق السابق وإذا رأى إشارة ب بعد ثانيتين
من إرسال إشارة فإنه يستنتج أن الضوء يسير بسرعة ميل فى الثانية .

وكان احتمال استطاعة جاليليو تعيين سرعة الضوء بهذه الطريقة ضعيفاً جداً
وذلك لسوء حالة الوسائل والأجهزة اللازمة للتجارب العملية فى ذلك الوقت .
ولو كانت السافة ميلاً واحداً لوجب عليه أن يقيس فترات زمنية صغيرة مثل
 $\frac{1}{10}$ من الثانية !!

ولقد صاغ جاليليو مسألة تعيين سرعة الضوء ولكنه لم يحلها . وفى أغلب
الأحيان تكون صياغة السؤال أهم من حله ، فقد لا يعتمد الحل إلا على مهارة
رياضية أو تجريبية . وتحتاج صياغة الأسئلة الجديدة أو إثارة الاحتمالات الجديدة
أو النظر إلى المسائل القديمة من وجهة نظر جديدة إلى خيال ممتاز وتفكير مبدع
وهى تسجل تقدماً حقيقياً للعلم بالتفكير فى تجارب وظواهر معلومة تفكيراً
جديداً والنظر إليها من وجهات أخرى حصلنا على قاعدة القصور الذاتى وقانون
بقاء الطاقة . وسيجد القارئ فى الصفحات التالية أمثلة عديدة من هذا النوع
حيث تبدو أهمية النظر فى الحقائق المعروفة من وجهة نظر جديدة وحيث بذلك
تتشأ نظريات جديدة .

نعود الآن إلى المشكلة السهلة نسبياً ألا وهى تعيين سرعة الضوء . إن من
الغريب حقاً أن جاليليو لم يدرك أن من الممكن أن يقوم رجل واحد بإجراء هذه
التجربة بسهولة ودقة . فى استطاعة الرجل استعمال مرآة فى نفس المكان الذى
يقف فيه زميله بدلاً من هذا الزميل . فالمرآة تعيد الإشارة أوتوماتيكياً بمجرد
وصولها .

وبعد حوالى مائتين وخمسين عاماً استعمل فيزو نفس هذه الفكرة . وهو أول من عين سرعة الضوء بتجارب أجريت على سطح الكرة الأرضية . ولقد عين رومر سرعة الضوء قبل فيزو بكثير باستخدام مشاهدات فلكية ، ولكن النتيجة التي حصل عليها فيزو أدق من التي حصل عليها رومر .

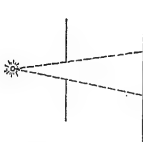
من الواضح أنه نتيجة لكبر سرعة الضوء الهائل ، نازم لقياسها مسافات كبيرة يمكن مقارنتها بالبعد بين الأرض وأحد كواكب المجموعة الشمسية مثلاً ، أو باستعمال أجهزة علمية بمد تحسينها وزيادة درجة دقتها زيادة كبيرة . وقد استعمل رومر الطريقة الأولى وفيزو الطريقة الثانية . ولقد عين العدد الكبير الذى يمثل سرعة الضوء عدة مرات بمد هاتين التجريبتين ، وكانت درجة الدقة ترداد كل مرة . وقد اخترع ميكلسون طريقة دقيقة للغاية لتحسين سرعة الضوء فى القرن الحالى . ويمكن التعبير عن نتيجة هذه التجارب كما يأتى : سرعة الضوء فى الفراغ تساوى :

١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية تقريباً أو ٣٠٠٠٠٠٠ كيلومتر فى الثانية .

النظرية الجسيمية للضوء :

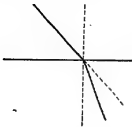
مرة أخرى نبدأ ببعض الحقائق العملية . العدد الذى أعطيناه فيما سبق هو سرعة الضوء فى الفضاء الخيالى . إذا لم يقابل الضوء عقبات فإنه يسير فى الفضاء الخالى بهذه السرعة . والملاحظ أننا نستطيع الرؤية خلال وعاء زجاجى مفرغ من الهواء كما يمكننا رؤية الكواكب والنجوم والسدم رغم أن الضوء يصل إلينا من هذه الأجسام مغترقاً بالاثير . وإن لمكان الرؤية خلال وعاء زجاجى سواء أ كان بها هواء أم لا ، ليعين أن وجود الهواء لا أثر له . ولهذا السبب يمكننا إجراء التجارب الضوئية فى حجرة عادية كما لو كانت مفرغة من الهواء دون أن يؤثر ذلك فى النتيجة . وإحدى الحقائق الضوئية البسيطة هى أن الضوء يسير فى خطوط مستقيمة . ومنصف تجربة أولية بسيطة توضح ذلك . توضع ستارة بها ثقب أمام نقطة ضوئية . والنقطة الضوئية هى مصدر ضوئى منبهر جداً مثل فتحة مدبرة . فى غطاء مصباح . وإذا كان هناك حائط على بعد من الستارة فإن الثقب الموجود

تفها يظهر على الحائط كدائرة مضيئة وسط ظلام ، والرسم التالى يبين العلاقة بين هذه الظاهرة وبين سير الضوء فى خطوط مستقيمة . ويمكن بفرض أن الضوء يسير فى الفراغ أو فى الهواء فى خطوط مستقيمة تفسير جميع الظواهر المشابهة التى يظهر فيها الضوء والظل وأشباه الظلام .



لنعتبر الآن مثالا آخر وهو عند ما يسير الضوء خلال مادة . نفرض أن لدينا شامعاً ضوئياً يتحرك فى الفراغ ويقابل سطحاً من الزجاج ولتساءل ماذا يحدث فى هذه الحالة ؟ والجواب أنه إذا كانت قاعدة سير الضوء فى خطوط مستقيمة

صحيحة أيضاً فى هذه الحالة فإن مسار الشماع يكون ممثلاً بانحناء التقطع وفى الواقع أن المسار ليس كذلك . يوجد انكسار فى المسار كما هو موضح فى الشكل ،

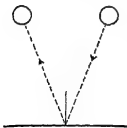


والذى تشاهده هو فى الواقع الظاهرة السماة بالانكسار . إذا غمست عصاة فى ماء فإنها تظهر كأنها مثنية عند وسطها ، وليس هذه سوى إحدى صور الانكسار العديدة .

تبين هذه الحقائق أن فى الإمكان تكوين نظرية ميكانيكية بسيطة للضوء ،

وغرضنا هنا هو أن نبين كيف وجدت السميات « السيل والجسيمات والقوى » طريقة إلى مجال الضوء وكيف انهارت الفكرة الفلسفية القديمة فى النهاية . وتظهر النظرية هنا فى صورة بدائية بسيطة . لنفرض أن جميع الأجسام المضيئة تشع جسيمات تقابل العين فتولد إحساساً للضوء . ولقد تعودنا إذا زم الأمر أن ندخل أنواعاً جديدة من المادة للحصول على تفسير ميكانيكى وعلى ذلك فإننا سنقوم بذلك هنا دون تردد . فى الفراغ الخالى لا بد وأن تتحرك هذه الجسيمات فى خطوط

مستقيمة بسرعة معلومة . وبذلك تعمل إلى الدين رسالة من الأجسام المشعة .
وجميع الظواهر التي تنتج عن سير الضوء في خطوط مستقيمة تؤيد نظرية الجسيمات ،
وذلك لأن هذا النوع من الحركة بالذات قد أدخل خصيصاً للجسيمات . والنظرية
تفسر أيضاً وبسهولة انعكاس الضوء على المرايا ، كما هو مشاهد في التجربة الميكانيكية
التي يلي فيها بكرات مرنة على حائط والرسم التالي يوضح ذلك .



وتفسير ظاهرة الانكسار أصعب من ذلك
بقليل . وسنبين إمكان التفسير الميكانيكي دون
الدخول في التفاصيل . إذا سقطت الجسيمات على
سطح من الزجاج مثلاً فربما تؤثر عليها جزيئات
المادة بقوة تؤثر (مع غرابة ذلك) في الجوار المباشر
للمادة فقط . وكما نعلم ، كل قوة تؤثر على نقطة
متحركة تغير سرعتها . وإذا كانت القوة المحصلة التي تؤثر على جسيمات الضوء
هي قوة جاذبة عمودية على سطح الزجاج . فإن خط الحركة الجديد يكون واقعاً
بين خط الحركة الأول وبين العمودي على السطح . يبدو أن هذا التفسير يؤيد
نظرية الجسيمات للضوء . ومع ذلك فلتحديد فائدة هذه النظرية ومدى صحتها ،
يتحتم علينا أن ندرس حقائق جديدة أكثر تعقيداً .

لغز اللامعة :

مرة أخرى كانت عبقرية نيوتن هي التي فسرت لأول مرة كثرة الألوان
في السكون . وفيما يلي نقبس عن نيوتن وصفاً لإحدى تجاربه :

« في عام ١٦٦٦ (وهو الوقت الذي اشتغلت فيه بصقل زجاجات منوية ذات
سطح غير كروي) استعملت منشوراً ثلاثياً من الزجاج لدراسة ظاهرة الألوان
المشهورة . وقد أخذت حجري وقت بعمل ثقب صغير في النافذة وذلك لأحصل
على كمية مناسبة من ضوء الشمس . وقد وضعت المنشور عند مصدر الضوء بحيث
ينكسر الضوء ويعمل إلى الحائط المقابل .

ولقد سررت لرؤية الضوء المنكسر الناتج ذى الألوان الزاهية القوية .

وضوء الشمس « أبيض » ولكن بعد المرور خلال المنشور يتحول ضوء الشمس « الأبيض » إلى جميع الألوان الموجودة فى الكون . والطبيعة نفسها تعطينا نفس النتيجة فى قوس قزح الجميل . ومنذ قديم الأزل توجد محاولات لتفسير هذه الظاهرة ، والعقبة الموجودة فى الإنجيل التى تقول بأن قوس قزح هو توقيع الله على مهادنة مع الإنسان هى « نظرية » من وجهة نظر معينة ، ولكنها لا تفسر لماذا يتكرر قوس قزح من وقت لآخر عند زول المطر . ونيوتن هو أول من عالج لنز اللون بأكمله وبطريقة علمية كما أشار إلى حله فى عمله العظيم .

يكون أحد حدثى قوس قزح دائماً أحمر بينما يكون الآخر بنفسجياً وبين هذين اللونين توجد جميع الألوان الأخرى بترتيب معين . وتفسير نيوتن لهذه الظاهرة هو ما يأتى : توجد جميع الألوان فعلاً فى الضوء الأبيض . وهذه الألوان تنتقل جميعها بين الكواكب وفى الجو متحدة ببعضها فيكون لها تأثير الضوء الأبيض ، ويمكننا أن نقول أن الضوء الأبيض هو مزيج من جسيمات مختلفة تناظر ألواناً مختلفة . وفى التجربة التى أجراها نيوتن ، يشتت المنشور هذه الألوان المختلفة فى الفضاء . حسب النظرية الميكانيكية للضوء يكون السبب فى الانكسار هو قوى تنتج عن جزيئات الزجاج وتؤثر على جسيمات الضوء . وتختلف القوى التى تؤثر على الجسيمات التى ننسب إلى الألوان المختلفة ، فتكون أشد ما يمكن للون البنفسجى وأضعف ما يمكن للون الأحمر . وعلى ذلك تأخذ الألوان المختلفة مسارات مختلفة بعد انكسارها وتنفرد عند ما يترك الضوء المنشور . وفى حالة قوس قزح تقوم قطرات الماء بعمل المنشور .

لقد أخذت النظرية الجسيمية للضوء صورة أكثر تعقيداً من صورتها الأولى ، فبدلاً من نوع واحد فقط لدينا الآن أنواعاً مختلفة من الضوء الجسيمى ، وكل نوع له لون معين . ومع ذلك فيجب إذا كانت هذه النظرية صحيحة ، أن تتفق نتائجها مع المشاهدات .

تسمى مجموعة الألوان الموجودة في ضوء الشمس الأبيض (كما وجدها نيوتن) طيف الشمس ، أو تعبير أدق طيف الشمس المرئي . ويسمى تحليل الضوء الأبيض إلى مركباته ، كما وصفناه هنا ، تشتت الضوء . وإذا كان التفسير الذى أعطيناه صحيحاً ، فإنه يمكن مزج ألوان الطيف المتفرقة مرة أخرى باستعمال منشور آخر يوضع في وضع معين ، ويجب أن تكون العملية الجديدة عكس العملية الأولى بالضبط . يجب أن نحصل على الضوء الأبيض من الألوان التى تفرقت بالعملية السابقة . والواقع أن نيوتن قد برهن بهذه التجربة البسيطة أنه يمكن الحصول على الضوء الأبيض من طيفه وعلى الطيف من الضوء الأبيض أى عدد المرات . ولقد أيدت هذه التجارب تأييداً قوياً النظرية التى فيها تبدو جسيمات كل لون ككادة غير قابلة للتفسير .

وكتب نيوتن يقول :

« وهذه الألوان ليست ألواناً حديثة التولد ولكنها تظهر نتيجة لتفريقها فقط ، وذلك لأننا إذا مزجناها مرة أخرى فإننا نحصل على لونها قبل التفريق . ولنفس هذا السبب لا يحدث أى تحول حقيقى عند مزج الألوان المتفرقة وذلك لأنه عند تفريق هذه الألوان المتجمعة ثانية تظهر نفس الألوان التى ظهرت عند تشتيت الضوء الأبيض أول مرة . ويمكن تمثيل ذلك بعملية مزج مسحوقين أحدهما أصفر والآخر أزرق مزجاً جيداً . للعين المتجردة يظهر الخليط كأنه ذو لون أخضر رغم أن لون ذرات المسحوقين لم يتغير حقيقة ؛ وباستعمال ميكروسكوب جيد تظهر الذرات متفرقة بلونها الأزرق والأصفر » .

نفرض أننا عزلنا شريحة ضيقة جداً من الطيف . هذا يعنى أننا نسمع للون واحد فقط بأن يمر من شق ضيق طويل بينما تحجز الألوان الأخرى على حاجز . يكون الضوء الذى يمر من هذا الثقب متجانساً ، أى ضوء لا يمكن تحليله إلى مركبات أخرى . والعبارة السابقة تنتج من النظرية وقد تتحقق بالتجربة أنه لا يمكن بأى حال من الأحوال تقسيم هذا الشعاع ذى اللون الواحد مرة أخرى . وهناك طرق بسيطة للحصول على مصادر للضوء المتجانس . فمثلاً يشع الصوديوم الساخن

ضوءاً منتظماً ذا لون أصفر . ويكون من الأنسب في أغلب الأحيان إجراء بعض التجارب الضوئية باستعمال ضوء منتظم وذلك لأن النتيجة ، كما ننظر ، تكون أبسط كثيراً .

لنفرض الآن فرضاً غريباً وهو أن الشمس قد بدأت فجأة تشع ضوءاً منتظماً ذا لون معين ، أصفر مثلاً . نتيجة لذلك تحتنى جميع الألوان الموجودة في الكون عدا اللون الأصفر . ويكون لون أى جسم إما أصفر أو أسود ! . وليس هذا إلا نتيجة للنظرية الجسيمية للضوء لأنه لا يمكن الحصول على ألوان جديدة من الضوء المنتظم . ويمكن التحقق من صحة ذلك بالتجربة . إذا وضعنا قطعة صوديوم ساخنة جداً في حجرة مظلمة فإن لون أى شيء في هذه الحجرة يكون إما أصفر أو أسود . والواقع أن اختلاف الألوان في الكون يدل على كثرة الألوان التي تكون الضوء الأبيض .

يبدو أن النظرية الجسيمية للضوء تنجح في شرح جميع هذه الحالات تماماً ، رغم أن إدخال أنواع جديدة من الجسيمات بعدد الألوان المختلفة بضائق بعض الشيء . ويبدو أيضاً الفرض بأن جميع جسيمات الضوء تسير بنفس السرعة فرضاً متكلفاً وغير حقيقى .

ويمكننا أن نتخيل أن نظرية مختلفة تمام الاختلاف ومبنية على مجموعة من الفروض الأخرى قد تعطى التفسيرات المطلوبة ولا تجد ما يعارضها . وفي الواقع أننا سنشهد في القريب العاجل نشأة نظرية أخرى مبنية على أفكار مختلفة تماماً عن الأفكار السابقة وبالرغم من ذلك فإنها تفسر نفس مجموعة الظواهر الضوئية التي فسرتها النظرية السابقة . وقبل صياغة الفروض التي تعتمد عليها النظرية الجديدة يتحتم علينا أن نجيب على سؤال يتعلق بهذه الاعتبارات الضوئية . يجب علينا أن نمود إلى الميكانيكا ونسأل :

ماهية الموجة ؟

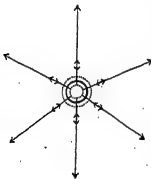
إذا نشأت إشاعة في لندن فإنها تصل إلى أدنبرة بسرعة رغم عدم انتقال أي شخص ممن اشترك في نشرها بين هاتين المدينتين . تصادفنا الآن حركتان مختلفتان ، حركة الإشاعة من لندن إلى أدنبرة وحركة الأشخاص الذين ينشرون الإشاعة . والريح التي تمر فوق حقل من القمح تسبب موجة تنتشر عبر الحقل كله . مرة ثانية يجب علينا أن تميز بين حركة الموجة وحركة سنابل القمح المختلفة التي لانعاني إلا ذبذبات صغيرة .

كلنا قد رأينا الموجات التي تنتشر في دوائر تتسع تدريجياً عند إلقاء حجر في بركة ماء . حركة الموجة تختلف تماماً عن حركة جسيمات الماء . الجسيمات ترتفع وتنخفض فقط . والحركة الموجية التي نشاهدها هي حركة حالة من حالات المادة وليست حركة المادة نفسها . ويتضح ذلك تماماً من حركة قطعة من الفلين طافية فوق الماء ، فهي تملو وتنخفض فقط تبعاً لحركة الماء بدلاً من أن تسير مع الموجة . ولكي نفهم التركيب الليكانيكي للموجة ، سنعتبر تجربة مثالية أخرى . نفرض أن فراغاً كبيراً مملوء بانتظام بالماء أو الهواء أو أي وسط آخر ، وأنه توجد كرة في موضع متوسط من هذا الفراغ . لنفرض أنه عند بدء التجربة لا توجد حركة على الإطلاق ، ولحظة تبدأ الكرة في « التنفس » توافقاً ، فيزداد حجمها وينقص رغم احتفاظها بشكلها الكروي . ترى ماذا يحدث في الوسط الموجودة فيه الكرة نتيجة لهذه الحركة ؟

نبدأ دراستنا في اللحظة التي تبدأ فيها الكرة في التمدد . تدفع جزيئات الوسط الموجودة في الجوار المباشر للكرة بعيداً ، وعلى ذلك تزداد كثافة قشرة كروية من الماء (أو الهواء) عن قيمتها العادية . بالمثل ، عندما تنقبض الكرة تصغر كثافة جزء الماء الذي يحيط مباشرة . وتنتشر هذه التغيرات في الكثافة خلال الوسط كله . وتعمل الجسيمات المكونة للوسط ذبذبات صغيرة فقط ، ولكن الحركة الناتجة جميعها هي حركة موجة تقدمية . والشئ الأساسي هنا ، هو أننا نعتبر لأول مرة حركة شيء ليس بمادة وإنما هو طاقة متقولة خلال المادة . باستعمال مثال الكرة النابضة يمكننا إدخال فكرتين طبيعيتين عامتين .

الفكرة الأولى هي السرعة التي تتحرك بها الموجة . تتوقف هذه السرعة على الوسط فتختلف في الماء عنها في الهواء مثلاً . والفكرة الثانية هي طول الموجة . في حالة الأمواج التي تنشأ على سطح بحر أو نهر يكون طول الموجة هو البعد بين قمتي موجتين متتاليتين أو البعد بين قاعتي موجتين متتاليتين . وعلى ذلك يكون طول الموجة في حالة موجات البحر أكبر من طول الموجة في حالة موجات النهر . وفي حالة الموجات التي تحدث نتيجة لكرة النابضة يكون طول الموجة هو البعد ، عند لحظة معينة ، بين قسرتين كرويتين متجاورتين ، كثافتها إما نهاية عظمى أو نهاية صغرى . من الواضح أن هذا الطول كما يتوقف على الوسط يتوقف أيضاً على معدل نبض الكرة ، فإذا كان نبض الكرة سريعاً فإن طول الموجة يقصر وإذا كان نبض الكرة بطيئاً فإن طول الموجة يزداد .

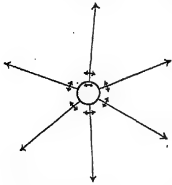
لقد أحرزت فكرة الموجة هذه نجاحاً كبيراً في علم الطبيعة ، ومن المؤكد أنها فكرة ميكانيكية ، إذ تفسر الظواهر بدلالة حركة جسيمات وحسب نظرية الحركة ، تكون هذه الجسيمات المادة . وعلى ذلك يمكن على العموم اعتبار أية نظرية تستخدم فيها فكرة الموجة نظرية ميكانيكية . فمثلاً أساس تفسير الظواهر الصوتية هو هذه الفكرة . فالأجسام المتذبذبة — مثل الأوتار الصوتية وأوتار القيثارة — هي مصادر للموجات الصوتية التي تنتشر في الهواء بنفس الطريقة التي شرحناها في حالة الكرة النابضة . وعلى ذلك يمكننا أن نضم جميع الظواهر الصوتية إلى الميكانيكا باستعمال فكرة الموجة .



لقد وضحنا أنه يجب التمييز بين حركة الجسيمات وبين حركة الموجة نفسها التي هي حالة للوسط . ورغم أن الحركتين مختلفتان فإنه من الواضح في مثال الكرة النابضة أن الحركتين تكونان . في نفس المستقيم . تتذبذب جسيمات الوسط في أجزاء صغيرة خطية ، ويزداد الكثافة وتنقص دورياً مع هذه الحركة . والاتجاه الذي تنتشر فيه

الموجة هو نفس الخط الذى تقع عليه التذبذبات . ويسمى هذا النوع من الموجات موجات طولية . ولكن هل هذا هو النوع الوحيد من الموجات ؟ من المهم لدراستنا التالية أن ندرك إمكان وجود نوع آخر من الموجات يسمى بالموجات المستعرضة .

فلنفكر مثالنا السابق . نفمس الكرة هذه المرة فى وسط من نوع آخر ، مثلاً القراء بدلا من الماء أو الهواء . وبدلاً من أن تنبض الكرة سنجعلها تدور زاوية صغيرة فى اتجاه واحد ثم تعود ثانية على أن تكون الحركة توافقية دائماً وحول محور معين . يلتصق القراء بالكرة وعلى ذلك تجبر أجزاء القراء الملتصقة على أن تقلد الحركة ، وهذه الأجزاء تجبر كذلك الأجزاء الموجودة على بعد صغير منها على أن تقلد نفس الحركة ، وهكذا . بذلك تكون موجة فى الوسط ، وإذا تذكرنا



التمييز بين حركة الوسط وحركة الموجة فإننا نرى أنهما لا يقفا على نفس الخط فى هذه الحالة . تنتقل الموجة فى اتجاه نصف قطر الكرة بينما يتحرك الوسط عمودياً على هذا الاتجاه . بذلك تكون موجة مستعرضة قد تولدت ..

والموجات التى تنتشر على سطح الماء

هى موجات مستعرضة . إذ أنه بينما

تنتشر الموجة فى مستوى أفقى ، تتحرك قطعة من الفلين طافية رأسياً إلى أعلى وإلى أسفل . أما الموجات الصوتية فهى أكثر الأمثلة المألوفة للموجات الطولية .

وثمة ملاحظة أخرى أخيرة : الموجة الناتجة عن كرة نابضة أو متذبذبة هى موجة كرية وسبب هذه التسمية هو أنه بغض أى لحظة معينة تسلك جميع النقاط الموجودة على سطح كرة محيطة بمصدر الموجة نفس السلوك . لنتبرر قطعة من كرة مثل هذه على بعد كبير من المصدر . كلما كانت القطعة صغيرة وبعيدة كلما كانت تشبه قطعة مستوية ، ويمكننا أن نقول دون أن ندعى درجة كبيرة

في الدقة ، أنه لا يوجد فرق أساسي بين قطعة مستوية وبين قطعة من كرة نصف قطرها كبير جداً ، وفي كثير من الأحيان تسمى الأجزاء الصغيرة من موجات كرية بعيدة جداً عن المصدر موجات مستوية . وكلما كان الجزء الظلل في الرسم



بعيداً عن المركز والزاوية المعصورة بين نصفي القطرين صغيرة ، كلما كان تمثيل الموجة المستوية أفضل . وفكرة الموجة المستوية ، مثل كثير من الأفكار الطبيعية الأخرى ، ليست إلا حيلالاً يمكن تحقيقه إلى درجة محدودة من الدقة فقط . ومع ذلك فهي فكرة مفيدة سنحتاج إليها فيما بعد .

النظرية المبرهنة للضوء :

دعنا نتذكر لماذا توقفنا عن وصف الظواهر البصرية . كان غرضنا هو إدخال نظرية جديدة للضوء تختلف عن نظرية الجسيمات ولكنها تفسر الحقائق التي سبق ذكرها . وللقيام بذلك ، اضطررنا إلى أن نقطع قصتنا وندخل فكرة الموجات . والآن يمكننا أن نعود إلى هذا الموضوع .

وكان هيجنز - أحد معاصري نيوتن - هو الذي وضع نظرية جديدة تماماً للضوء ؛ وقد كتب هيجنز في مؤلفه عن الضوء يقول :

وإذا كان الضوء يستغرق وقتاً لا يتناهى (وهي المسألة التي سنبحثها الآن) فإنه ينتج أن هذه الحركة - الدخيلة على مادة الوسط - متوالية وعلى ذلك فهي تنتشر على هيئة سطوح كرية مثل الموجات الصوتية . وأنا أسمىها موجات ، للتشابه الموجود بينها وبين الموجات التي تتكون في الماء عندما ما يلقى ججر فيه والتي تنتشر على

هيئة دوائر متتالية رغم أن الموجات في الحالة الأخيرة توجد جميعها في مستو واحد .

وفي رأى هيجنز أن الضوء هو موجة ، أى هو انتقال للطاقة لا للمادة . ولقد رأينا أن نظرية الجسيمات تفسر كثيراً من الحقائق المشاهدة . هل تؤدي النظرية الموجية نفس المهمة ؟ يجب أن نسأل نفس الأسئلة التي أجيب عليها بواسطة نظرية الجسيمات وذلك لكي نرى هل يمكن الإجابة عليها بواسطة النظرية الموجية أيضاً . ونستعمل ذلك هنا في صورة حوار بين هـ ، هـ حيث هـ شخص يعتقد بصحة نظرية نيوتن ، هـ شخص يعتقد بصحة نظرية هيجنز . ولن يستعمل أيهما أى نتائج حصل عليها بعد انتهاء عمل هذين العالمين الفذين :

هـ — في نظرية الجسيمات يوجد معنى محدد تماماً لسرعة الضوء ، فهي السرعة التي تسير بها الجسيمات في الفراغ المطلق . ولكن ماذا نمنى بسرعة الضوء في النظرية الموجية ؟ .

هـ — في النظرية الموجية تكون سرعة الضوء هي سرعة موجة الضوء ، فمن المعلوم أن كل موجة تنتشر بسرعة معينة . وهذا يسرى على موجة الضوء أيضاً . هـ — رغم أن هذا الكلام يبدو بسيطاً فهو ليس كذلك . فموجات الصوت تسير في الهواء ، وموجات المحيط تسير في الماء ولا بد لكل موجة من وسط مادي تسير فيه . ولكن الضوء يسير في الفراغ المطلق رغم عدم إمكان سير الصوت فيه . وفي الواقع أن فرض سير الموجة في الفراغ المطلق يعني عدم فرض وجود موجات على الإطلاق .

هـ — نعم هذه صعوبة ولكنها ليست جديدة على . لقد فكر أستاذي فيها جيداً ووجد أن الطريقة الوحيدة للتخلص من هذه الصعوبة ، هو : نفرض وجود شيء مادي « الأثير » شفاف وينفذ خلال الكون كله . ويمجرد أن توجد لدينا الشجاعة لإدخال هذه الفكرة فلن كل شيء آخر يصبح واضحاً ومقنعاً . هـ — ولكنى أعترض على مثل هذا الفرض . فأولا بهذا الفرض ندخل

شيئاً مادياً جديداً مع أن لدينا كثيراً من هذه الأشياء في علم الطبيعة . و يوجد سبب آخر للاعتراض . فأت دون شك تعتقد بوجود تفسير كل شيء ، بدلالة الميكانيكا ، ولكن ماذا عن الأثير ؟ هل يمكن الإجابة على السؤال البسيط الآتي : كيف يتركب الأثير من جسيمات صغيرة أولية وكيف يظهر في الظواهر الأخرى ؟ ه — من المؤكد أن اعتراضك الأول وجيه . ولكن بإدخال الأثير الذي لا وزن له ، وهو مصطنع إلى حد ما ، نتخلص على الفور من فكرة جسيمات الضوء وهي فكرة أكثر بدءاً عن الحقيقة ، ويصبح لدينا شيء واحد بدلاً من عدد لا نهائي من هذه الموجودات التي تناظر العدد الكبير من الألوان الموجودة في الطيف . ألا تظن أن هذا تقدم حقيقي ؟ على الأقل تكون جميع الصعوبات قد تركزت في نقطة واحدة . بهذا الفرض نستغنى عن الفرض القريب وهو أن جسيمات ألوان الضوء المختلفة تسير بنفس السرعة في الفراغ المطلق . وحجتك الثانية صحيحة أيضاً . لا يمكن إعطاء تفسير ميكانيكي للأثير . ولكن لا يوجد أدنى شك في أن الدراسة المستفيضة للظواهر الغوثية وغيرها من الظواهر الأخرى ستكشف عن تركيب الأثير . وفي الوقت الحالي يجب علينا أن نتنظر تجارب جديدة ونتائج جديدة ، وأخيراً أرجو أن نوفق في التغلب على صعوبة تفسير التركيب الميكانيكي للأثير .

ه — لنترك هذا السؤال الآن لعدم إمكان الإجابة عليه إجابة محددة . أود أن أعلم كيف تمكن بواسطة نظريتك من تفسير الظواهر التي تفسح ويمكن فهمها بواسطة نظرية الجسيمات . اعتبر مثلاً ظاهرة سير أشعة الضوء في الفراغ أو في الهواء في خطوط مستقيمة . إذا وضعنا ورقة أمام شحنة فإن ظلها يكون واضحاً وحاداً تماماً . إذا كانت النظرية الموجبة للضوء صحيحة ، فإنه يتعذر الحصول على ظلال محددة ، وذلك لأن الموجات تنتشر حول أحرف الورقة وتشوه الظل . وكما تعلم لا يعتبر قارب صغير عقبة أمام أمواج البحر ، فهي تنتشر حوله ببساطة دون أن تحدث ظلاً .

ه — ليست هذه بحجة مقنعة . اعتبر حالة موجات قصيرة على نهر تقابل

جانب سفينة كبيرة . لا تظهر الموجات الناشئة على أحد جانبي السفينة في الجانب الآخر . وإذا كانت الموجات صغيرة والسفينة كبيرة بدرجة كافية فإنه يظهر ظل واضح . ومن المحتمل جداً أن الضوء يظهر فقط كأنه يسير في خطوط مستقيمة لأن طول موجته صغير جداً بالنسبة إلى حيز الأجسام العادية والثقوب المستخدمة في التجارب . ومن الجائز أن يظهر الظل إذا أمكننا إيجاد عقبة صغيرة صغراً كافياً . وسنقابل صعوبات عملية كبيرة إذا حاولنا تصميم جهاز يبين ما إذا كان الضوء ينحني أم لا . ومع ذلك فإنه إذا أمكن تصميم مثل هذه التجربة فإنها تكون تجربة حاسمة بين النظرية الموجية ونظرية الجسيمات للضوء .

هـ — قد تؤدي النظرية الموجية إلى حقائق جديدة في المستقبل ، ولكني لا أعلم عن أية أحصائيات وجدت بالتجربة تتفق مع هذه النظرية بطريقة مقنعة . ومادم لم يثبت بالتجربة إمكان انحناء الضوء فإنني لا أجد ما يمنع الاعتقاد بصحة نظرية الجسيمات ، وهي في نظري أبسط من النظرية الموجية ، وعلى ذلك فهي أفضل . سنقطع هذه المحادثة عندهذه النقطة رغم أن الموضوع لا يزال يستوجب الدراسة . يبقى أن نبين كيف تفسر النظرية الموجية انكسار الضوء والأنوار المختلفة . وكانعلم ، تمكنا نظرية الجسيمات من تفسير هذه الظواهر . سنبدأ أولاً بالانكسار وسيكون من المفيد أن نعتبر مسألة لا علاقة لها بعلم البصريات .

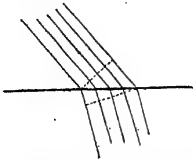
اعتبر رجلين يسيران في طريق ممتد ويمحلمان عصاً مستقيمة بينهما . ونفرض أن الرجلين كانا يسيران أولاً بنفس السرعة إلى الأمام . مادامت سرعة الرجلين واحدة ، صغيرة كانت أم كبيرة ، فإن العصا تعاني إزاحات متوازية ، أي أن اتجاهها لا يتغير . وتكون جميع أوضاع العصا موازية لوضعها الابتدائي . نفرض أن حركة الرجلين اختلفت في فترة زمنية معينة (قد تكون هذه الفترة صغيرة مثل جزء من الثانية) . ماذا يحدث ؟ من الواضح أن العصا تدور في أثناء هذه الفترة . أي أن إزاحتها لاتكون موازية لوضعها الأول . وإذا سار الرجلان مرة أخرى بسرعة واحدة فإن اتجاه العصا الجديد يكون غالباً لاتجاهها الأول .



والرسم يبين ذلك بوضوح . وقد حدث التغير في الاتجاه أثناء الفترة الزمنية التي اختلفت فيها سرعة الرجلين .

سيمكنا هذا المثال من فهم معنى انكسار الموجة . لنفرض أن موجة مستوية تسير في الأثير قد قابلت لوحاً من الزجاج . نرى في الرسم التالي موجة لها جبهة عريضة نسبياً ، أثناء انتشارها . وجبهة الموجة هي مستوى تكون حالة جميع أجزاء الأثير عليه واحدة عند أى لحظة معينة .

وحيث أن السرعة تعتمد على الوسط الذي يمر فيه الضوء فإن سرعة الضوء



في الزجاج تختلف عن سرعته في الفراغ الطلق . وفي خلال الفترة الزمنية القصيرة جداً التي تدخل فيها جبهة للموجة الزجاج ، تختلف سرعة الأجزاء المختلفة من هذه الجبهة . إذ أنه من الواضح أن الجزء الذي يكون

قد دخل الزجاج يسير بسرعة الضوء في الزجاج بينما يسير الجزء الباق بسرعة الضوء في الأثير . ونتيجة لاختلاف سرعة أجزاء جبهة الموجة خلال فترة « الانفاس » في الزجاج يتغير اتجاه الموجة نفسها .

على ذلك نرى أن النظرية الموجية ، مثل نظرية الجسيمات ، تؤدي إلى تفسير لظاهرة الانكسار . بالتعمق في الدراسة مع الاستعانة بعلم الرياضة تبين أن تفسير النظرية الموجية أبسط وأفضل وأن نتائجها تتفق تماماً مع المشاهدات . وفي الواقع تمكنا الطرق الكمية المنطقية من استنتاج سرعة الضوء في وسط يكسره إذا علمنا الكيفية التي ينكسر بها الشعاع عند مروره في الوسط .

تبقى الآن مسألة اللون .

يجب أن نتذكر أن ما يميز موجة هـا عددان ، سرعتها وطول موجتها . والفرض الأساسي في النظرية الموجية للضوء هو أن أطوال الموجات المختلفة تناظر ألوآنًا مختلفة . فيختلف طول موجة الضوء الأحمر عن طول موجة الضوء البنفسجي . وهكذا بدلاً من الفرض الذي يصعب قبوله والذي يقول بأن كل لون له جسيمات معينة ، لدينا الآن الاختلاف الطبيعي في أطوال الموجات . على ذلك نستطيع وصف تجارب نيوتن في تشتت الضوء بـلغتين مختلفتين ، لغة نظرية الجسيمات ، ولغة النظرية الموجية ، فثلاً :

لغة الموجة

الأشعة التي أطوال موجاتها مختلفة والتي تشير إلى مختلف الألوان تسير بنفس السرعة في الأثير وسرع مختلفة في الزجاج .

يتركب الضوء الأبيض من جميع الأمواج ذات الأطوال المختلفة وتنفرد هذه الموجات في الطيف .

لغة الجسيمات

تسير جسيمات الألوان المختلفة بسرعة واحدة في الفراغ وبسرع مختلفة في الزجاج .

يتركب الضوء الأبيض من جسيمات الألوان المختلفة وتنفرد هذه الجسيمات في الطيف .

ويبدو أنه من المستحسن تجنب الالتباس الناشئ من وجود نظريتين مختلفتين لنفس الظواهر وذلك باختيار واحدة منهما بعد دراسة مزاي وأخطاء كلا منهما جيداً . وتبين لنا الحادثة بين هـ ، هـ أن هذا العمل ليس سهلاً على الإطلاق . ويكون القرار عند هذه النقطة مسألة اختيارية تختلف من شخص لآخر ولن يكون ناتجاً عن اقتناع علمي ، وقد فضل أغلب العلماء في عهد نيوتن وبعدة بأكثر من مائة عام نظرية الجسيمات .

وبعد ذلك بـزمن طويل ، في منتصف القرن التاسع عشر جاء حكم التاريخ في صالح النظرية الموجية ضد نظرية الجسيمات . لقد قال هـ في محادثته مع هـ أن

اللوحة الثانية



(أخذ الصورة ف . اركايف)

في الصورة الفوتوغرافية العليا نرى بقعتين ضوئيتين نتجتا عن مرور حزمتين من الأشعة خلال ثقبين دبوس على التوالي . (أى أن أحد الثقبين فتح أولاً ثم غطى بعد ذلك وفتح الآخر) . في الصورة السفلى نرى سرائح رأسية نتجت عن مرور الضوء في وقت واحد خلال الفتحتين .



(أخذ الصورة ف . اركايف)

حيود الضوء المار خلال
ثقب صغير



حيود الضوء بأثنائه
حول عقبة صغيرة

الحسم بين النظريتين بالتجربة ممكن من ناحية البدأ . فنظرية الجسيمات لا تسمح للضوء بالانحناء وتتطلب وجود ظلال حادة . أما حسب النظرية الموجية فإن عقبة صغيرة صفراً كافياً لا تسبب ظلاً ، وقد حقق يونج وفرينيل هذه الحقيقة عملياً كما حصلوا على نتائج نظرية .

سبق أن وصفنا تجربة بسيطة للغاية ، يوضع فيها حاجز به ثقب أمام مصدر ضوئى وبذلك يظهر ظل على الحائط . سنسبب التجربة أكثر وذلك بفرض أن المصدر الضوئى يشع ضوءاً متجانساً ، ولكى نحصل على نتائج جيدة يجب أن يكون المصدر الضوئى قوياً . لنفرض الآن أن الثقب الموجود فى الستارة قد أخذ يصغر تدريجياً . إذا استعملنا مصدراً ضوئياً قوياً وأفلحنا فى جعل الثقب صغيراً بدرجة كافية فإننا نشاهد ظاهرة جديدة غريبة لا يمكن تفسيرها بنظرية الجسيمات . لن نجد أى تحديد ظاهر بين الضوء والظلام . سنشاهد حول البقعة المضيئة أن الضوء يخفت تدريجياً فى المنطقة المظلمة مع ظهور سلسلة من الحلقات المضيئة والمظلمة . وظهور الحلقات هو من أخص مميزات أية نظرية موجية . ويتضح تفسير توالى المناطق المضيئة والمظلمة من تجربة أخرى تختلف بعض الشيء عن التجربة السابقة . نفرض أن لدينا ورقة مظلمة بها ثقباً دبوس يمكن للضوء المرور منهما . إذا كان الثقبان قريبين من بعضهما وصغيرين جداً ، وكان مصدر الضوء المتجانس قوياً فإن كثيراً من الشرائط المضيئة والمظلمة تظهر على الحائط وتختفت تدريجياً فى الظلام عند الجوانب . وتفسير ذلك بسيط ، يوجد الشريط المظلم فى المكان الذى يقابل فيه قاع موجة منبعثة من الثقب الأول قمة موجة منبعثة من الثقب الثانى وذلك لأنهما يتعادلان . ويوجد الشريط المضيء فى المكان الذى يتقابل فيه قمتان (أو قاعان) من التتئين ، إذ تقويان بعضهما . وتفسير الحلقات المضيئة والمظلمة فى حالة وجود ثقب واحد أكثر تعقيداً منه فى المثال السابق ، ولكن الفكرة واحدة . ويجب أن نذكر ظهور الشرائط المضيئة والمظلمة فى حالة وجود التتئين والحلقات المضيئة والمظلمة فى حالة وجود ثقب واحد جيداً وذلك لأننا سنعود إلى دراسة هاتين الصورتين المختلفتين فيما بعد .

والتجربة التي وصفناها هنا تبين حيود الضوء أى الانحراف عن السير في خطوط مستقيمة عند مقابلة موجة الضوء لثقب أو عقبات صغيرة .

بالاستعانة بقليل من الرياضة ، يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك بكثير فمن الممكن تحديد درجة صغر طول الموجة التي نحصل بها على نموذج معين للحلقات . وعلى ذلك تمكننا التجارب التي شرحناها هنا من قياس طول موجة الضوء المتجانس المستعمل كمصدر . ولكي نعطي القارىء فكرة عن درجة صغر هذه الأعداد سندكر طول موجتى الضوء الأحمر والبنفسجى وهما اللونان المحددان لطيف الشمس :

طول موجة الضوء الأحمر ٠٠٨ ٠٠٠ سم

» » » البنفسجى ٠٠٤ ٠٠٠ سم

يجب ألا ندهش لصغر هذه الأعداد ، ونحن نشاهد ظاهرة الظل المحدد (أى ظاهرة سير الضوء في خطوط مستقيمة) في الطبيعة لأن حيز العقبات والثقوب يكون في العادة كبيراً جداً بالنسبة إلى طول موجة الضوء . ولا تظهر الصفات الموجية للضوء إلا باستعمال عقبات وثقوب صغيرة جداً .

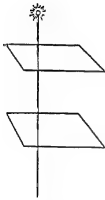
ولكن يجب ألا يعتقد القارىء أن قصة البحث عن نظرية للضوء قد انتهت . لم يكن حكم القرن التاسع عشر نهائياً ، فلا تزال مشكلة الجسم بين الجسيمات والموجات موجودة بأكملها أمام عالم الطبيعة الحديث ، والمشكلة الآن أكثر عمقا وتداخلا . فلنقبل هزيمة نظرية الجسيمات للضوء إلى أن نرى المشاكل التي تنتج عن انتصار النظرية الموجية .

هل موجات الضوء طولية أم مستعرضة ؟

تؤيد جميع الظواهر البصرية التي تكلمنا عنها النظرية الموجية . وأقوى حجتين تؤيدان هذه النظرية هما انحناء الضوء حول العقبات الصغيرة وتفسير الانكسار . ولكن تبقى مشكلة أخرى لم تحل بعد ، ألا وهي تحديد الخواص الميكانيكية للأثير . ولحل هذه المشكلة يجب أن نعلم هل موجات الضوء في الأثير طولية أم مستعرضة . ويمكن أيضاً وضع هذا السؤال كما يأتى : هل انتقال الضوء يماثل انتقال الصوت ؟

هل تحدث الموجة نتيجة لتغيرات في كثافة الوسط وبذلك تكون ذبذبات الجسيمات في اتجاه سير الضوء ؟ أم هل يشبه التأثير مادة غروية مرنة وبذلك لا تنشأ فيه إلا موجات مستعرضة وتسير جسيماته في اتجاه عمودي على اتجاه سير الموجة ؟ قبل دراسة هذه المسألة ، سنحاول أن نتفكر في الحل المناسب الذي سنختاره . من الواضح أننا نكون أسعد حظاً لو كانت موجات الضوء طولية ، وذلك لأن صعوبات تكون تأثير ميكانيكي تكون أبسط في هذه الحالة . ومن الجائز جداً أن تكون الصورة التي ترسمها للأثير شبيهة بالصورة الميكانيكية للغازات وهي الصورة التي تفسر انتقال موجات الصوت . وتخيل وجود موجات مستعرضة في الأثير أصعب من ذلك بكثير . وليس من البهل تكون صورة لمادة غروية مكونة من جسيمات بحيث تنشأ عنها موجات مستعرضة . وكان هيجنز يميل إلى الاعتقاد بأن الأثير يشبه « الهواء » أكثر من « الفراغ » ، ولكن الطبيعة لانهم كثيراً بما نطلبه ونحدده . هل أشقت الطبيعة في هذه الحالة بلباء الطبيعة اللذين يحاولون فهم جميع الأحداث من وجهة نظر ميكانيكية ؟ للإجابة على هذا السؤال نلزم دراسة تجارب جديدة .

سندرس بالتفصيل تجربة واحدة فقط من بين التجارب الكثيرة التي تستطيع أن تجيبنا على هذا السؤال . نفرض أن لدينا لوحاً رفيع جداً من التورمالين المتبلور ومقطع بشكل معين لا داعي لوصفه هنا . يجب أن يكون اللوح المتبلور رفيعاً لنتمكن من رؤية الضوء خلاله . خذ الآن لوحين من هذا النوع وضعهما بين العينين وبين الضوء . ماذا ننتظر أن نرى ؟ مرة أخرى نقطة ضوئية إذا كان اللوح رفيعاً بدرجة كافية . في أغلب الأحيان تحقق التجربة ما ننتظره ، أي أننا نرى النقطة الضوئية خلال البلورتين . تغير بعد ذلك وضع إحدى البلورتين بإدارتها . وطبعاً لا يتحدد معنى هذه العبارة إلا إذا عين محور الدوران . سنأخذ الشعاع الساقط محوراً للدوران . ويكون معنى الدوران أننا نغير موضع نقط البلورة ما عدا النقط الواقعة على المحور . يحدث شيء غريب ! يخفت الضوء



تدريجياً إلى أن يتلاشى في النهاية ، ثم يظهر ثانية إذا استمر الدوران ونستعيد النظر الأول عندما نصل إلى الوضع الابتدائي . يمكننا أن نسأل السؤال الآتي دون أن ندخل في تفاصيل هذه التجربة وما يشابهها من التجارب : هل يمكن تفسير هذه الظواهر إذا كانت موجات الضوء طولية ؟ في حالة الموجات الطولية تتحرك جسيمات الأثير في اتجاه المحور، مثلها في ذلك مثل الشعاع . إذا أديرنا البلورة حول المحور لا يتغير أى شيء على هذا المحور . النقطة

الموجودة على المحور لا تتحرك ولا يعاني الجوار الباهر للمحور إلا إزاحة صغيرة جداً . وإذا في حالة الموجة الطولية ، لا يمكن أن يحدث تغيير واضح مثل اختلاف وظهور الصورة . ويمكن تفسير هذه الظاهرة ومثيلاتها من الظواهر الأخرى إذا فرضنا أن موجات الضوء مستعرضة وليست طولية ! أى إذا فرضنا أن للأثير صفة المواد الغروية .

وهذا أمر يؤسف له ، ويجب أن نستمد لمواجهة صعوبات كبيرة في محاولتنا وصف الأثير ميكانيكياً .

الأثير ووجهة النظر الميكانيكية :

إن دراسة جميع محاولات فهم الخواص الميكانيكية للأثير كوسط يمر الضوء فيه تحتاج إلى وقت طويل . ومعنى التركيب الميكانيكي كما نعلم هو أن الشيء المادى يتكون من جسيمات تؤثر في الخلوطة الواصلة بينها قوى تتوقف على البعد فقط . ولكي يوضع تصميم للأثير كشيء مادى شبيه بالنراء ، كان على علماء الطبيعة أن يفرضوا فروضاً جد مفتعلة وغير طبيعية . ولن نذكر هذه الفروض هنا فهي تنسب إلى الماضى البعيد . ولكن النتيجة كانت هامة وذات مغزى .. لقد كانت الصفات الغريبة لجميع هذه الفروض وضرورة الأخذ بكثير منها كل مستقل عن الآخر ، كافياً لزعزعة الاعتقاد في وجهة النظر الميكانيكية .

ولكن هناك اعتراضات أخرى ضد الأثير أبسط من صعوبة تكوينه . يتحتم أن يوجد الأثير في كل مكان إذا كنا نريد تفسير الظواهر البصرية ميكانيكياً . وإذا كان الضوء لا يسير إلا في وسط فإنه لا يوجد في أى فراغ خالى . ولكننا نعلم من الميكانيكا أن الفراغ الوجود بين المجموعة الشمسية لا يقاوم حركة الأجسام المادية . فمثلاً تتحرك الكواكب خلال الأثير الفروى دون أن تصادف مقاومة على خلاف ما يحدث عندما تتحرك في أى وسط مادي آخر . وإذا كانت الأثير لا يقاوم حركة المادة فإننا نستنتج أنه لا يوجد تفاعل بين جسيمات الأثير وجسيمات المادة . يمر الضوء خلال الأثير كما يمر خلال الزجاج والماء ، ولكن سرعته تتغير في المادتين الأخيرتين ؛ فكيف يمكن تفسير هذه الحقيقة ميكانيكياً ؟ من الواضح أنه لا يمكن تفسيرها إلا بفرض وجود تفاعل ما بين جسيمات الأثير وجسيمات المادة . ولكننا رأينا منذ برهة ، أنه في حالة حركة الحركة يجب أن نفترض عدم وجود مثل هذا التفاعل . أى أنه يوجد تفاعل بين الأثير والمادة في الظواهر الضوئية ولا يوجد أى تفاعل بينهما في الظواهر الميكانيكية ! ومن المؤكد أن هذه نتيجة تناقض نفسها .

يبدو أن هناك طريقاً واحداً للخلاص من هذه الصعوبات . في جميع مراحل تطور العلم حتى القرن العشرين ، نجد أنه لمحاولة فهم ظواهر الطبيعة على أساس ميكانيكى لا بد من إدخال كثير من المواد المصطنعة وغير الواقعية مثل الموائع الكهروإتائية والمغناطيسية وجسيمات الضوء والأثير . ونتيجة لهذا تتركز جميع الصعوبات في عدد قليل من النقاط الأساسية ، مثل الأثير في حالة الظواهر الضوئية ، إذ يبدو هنا أن جميع المحاولات غير المثمرة لتفسير الأثير تفسيراً بسيطاً وكذلك الاعتراضات الأخرى تشير إلى أن الخطأ ناشئ عن الفرض الأساسى بإمكان تفسير جميع أحداث الطبيعة من وجهة النظر الميكانيكية . ولم ينجح العلم في إتمام البرنامج الميكانيكى بطريقة مرضية ، ولا يوجد الآن عالم من علماء الطبيعة يعتقد بإمكان إتمامه .

في استعراضنا للأفكار الطبيعية الأساسية قابلتنا بعض المشاكل التى لم تحل ، وصعوبات وعقبات شبط همتنا في محاولة تكوين صورة منتظمة متماسكة

لظواهر العالم الخارجى . فمثلا فى الميكانيكا الكلاسيكية ، كان هناك الدليل الذى لم يلاحظ وهو تساوى كتلتى القصور الذاتى والجاذبية ، كما كانت هناك الصفة المصطنعة للموائع الكهربائية والمغناطيسية ، والقوة التى تؤثر بين التيار الكهربائى والإبرة المغناطيسية وهى صعوبات لم تحل ، ويذكر القارئ أن هذه القوة لم تؤثر فى الخط الواصل بين السلك والقطب المغناطيسى وأنها كانت تتوقف على سرعة الشحنة المتحركة . وكان القانون الذى يعبر عن قيمتها واتجاهها معقداً للغاية . وأخيراً كانت هناك عقبة الأثير الكبرى .

لقد هاجم علم الطبيعة الحديث جميع هذه المشاكل وحلها . ولكن أثناء صراعه لحلها ، نشأت مشاكل جديدة وعويصة . فكما أن معلوماتنا الآن أوسع وأشمل من معلومات علماء الطبيعة فى القرن التاسع عشر فإن صعوباتنا وشكوكنا أكثر .

تلخيص :

نلاحظ فى نظرية الموائع الكهربائية القديمة وفى نظرية الجسيمات والنظرية الموجية محاولات أخرى لتطبيق وجهة النظر الميكانيكية . ولكننا هابل صعوبات شديدة فى تطبيق وجهة النظر الميكانيكية للظواهر الكهربائية والبصرية .

إذا أثرت شحنة متحركة على إبرة مغناطيسية فإن القوة بدلاً من أن تتوقف على البعد فقط تعتمد أيضاً على سرعة الشحنة . والقوة ليست جاذبة ولا طاردة وإنما تؤثر فى اتجاه عمودى على الخط الواصل بين الشحنة والإبرة .

فى علم البصريات يجب علينا أن نقرر تفضيل النظرية الموجية على نظرية الجسيمات للصوء . من المؤكد أن فكرة انتشار الموجات فى وسط يتكون من جسيمات تؤثر بينها قوى هى فكرة ميكانيكية . ولكن ماهو الوسط الذى ينتشر فيه الضوء وما هى خواصه الميكانيكية ؟ ليس هناك أى أمل فى اختصار الظواهر الضوئية إلى ظواهر ميكانيكية دون الإجابة على هذا السؤال . ولكن صعوبات الإجابة على هذا السؤال عظيمة جداً ولذلك سنضطر إلى تركه وترك وجهة النظر الميكانيكية أيضاً .

الباب الثالث

المجال - النسبية

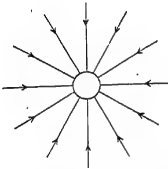
[المجال كوسيلة لتمثيل الواقع — دعائنا نظرية المجال — والعبء المجال — المجال والأثير — السقالة الميكانيكية — الأثير والحركة — الزمن والمسافة والنسبية — نظرية النسبية والميكانيكا — متصل الزمان والمكان — النسبية العامة — خارج وداخل الصمد — المنتمية والتجربة — النسبية العامة وتحققها — المجال والاداءة] .

المجال كوسيلة لتمثيل الواقع :

لقد أدخلت أفكار جديدة وثورية في علم الطبيعة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وقد مهدت هذه الأفكار الطريق إلى اتجاه فلسفي جديد يختلف عن وجهة النظر الميكانيكية . ولقد ولدت مبادئ جديدة نتيجة لأبحاث فاراداي ومكسويل وهيرتز وكونت هذه المبادئ صورة جديدة للحقيقة .

ومهمتنا الآن هي وصف الأثر الذي أحدثته هذه المبادئ الجديدة في العلم ، وأن نبين كيف قويت واتضحت هذه المبادئ . وسنحاول شرح تطور هذه الأفكار بطريقة منطقية دون أن نهتم كثيراً بالترتيب التاريخي .

لقد نشأت المبادئ الجديدة عن الظواهر الكهربائية ولكن من الأبسط أن ندخلها عن طريق الميكانيكا . إذا كان لدينا جسيان فلنأنا نعلم أنهما يجاذبان بعضهما وأن قوة الجذب هذه تتناسب عكسياً مع مربع البعد . يمكننا تمثيل هذه الحقيقة بطريقة جديدة ، وسنعمل ذلك رغم صعوبة فهم مميزات ذلك ، تمثل الدائرة الصغيرة في الرسم جسماً جاذباً ، الشمس مثلاً . والواقع أن هذه المجموعة هي مجموعة فراغية وليست رسماً في مستو . فالدائرة الصغيرة تمثل كرة في الفراغ الشمسي مثلاً .



إذا وجد جسم (يسمى جسم اختبار)
في جوار الشمس فإنه ينجذب لها
بقوة خط عملها هو الخط الواصل بين
مركزى الجسمين . وعلى ذلك تمثل
الخطوط الموجودة في الرسم اتجاه قوة
جذب الشمس لأوضاع جسم الاختبار
المختلفة . ويبين السهم الموجود على

كل خط أن القوة متجهة نحو الشمس . تسمى هذه المستقيمات خطوط قوة مجال
الجاذبية ، وسنعتبر هذا في الوقت الحاضر إسماعاً ولا داعى لبحث هذه التسمية
الآن . وتوجد خاصية مميزة للرسم السابق سنوضح أهميتها فيما بعد وهي أن
جميع خطوط القوة موجودة في الفراغ حيث لا توجد مادة . ومؤتاً تبين جميع
خطوط القوة أو المجال كيف يسلك جسم الاختبار إذا اقترب فقط من الكرة
(صاحبة المجال) .

في هذا التمثيل الفراغى ، جميع الخطوط عمودية على سطح الكرة . وحيث أنها
جميعاً تنفرق من نقطة واحدة ، فإنها تكون كثيفة بالقرب من الكرة ويقل
تكاثرها كلما زاد البعد عن الكرة . وإذا ازداد البعد عن الكرة إلى ضعفه أو ثلاثة
أمثاله فإن تكاثر الخطوط في التمثيل الفراغى (رغم عدم صحة ذلك في الشكل
المستوى) يقل إلى الربع أو التسع على التوالى . أى أن هذه الخطوط تؤدي
غرضين . فهي تبين اتجاه القوة المؤثرة على الجسم الموجود في جوار الكرة التي
تمثل الشمس ، كما أن تكاثر هذه الخطوط في الفراغ يبين العلاقة بين القوى والبعد .
وإذا فسر المجال تفسيراً صحيحاً فإنه يمثل اتجاه قوة الجاذبية وعلاقتها بالبعد .
ويمكن للإنسان أن يقرأ قانون الجاذبية من مثل هذا الرسم كما يقرأه من الوصف
بالكلام أو بلغة الرياضة المضبوطة الاقتصادية . قد يكون التمثيل بالمجال وانحماً وذا
أهمية ، ولكن لا يوجد أى سبب يجعلنا نعتقد أنه يدل على أى تقدم حقيقى . ومن
الصعب جداً إثبات فائدة هذا التمثيل في حالة الجاذبية . وقد يجد البعض أنه من

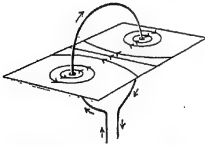
المفيد عدم اعتبار هذه الخطوط على أنها رسوم فقط وأن يتخيلوا التأثير الحقيقي للقوى التي تعمل فيها . يمكن القيام بذلك ولكن يتحتم الفرض بأن التأثير في هذه الخطوط له سرعة لانهائية . فحسب قانون نيوتن لا تتوقف القوة إلا على البعد فقط ولا علاقة لها بالزمن . أى أن القوة يجب ألا تحتاج إلى وقت لتصل من جسم لآخر . ولكن حيث أن الحركة بسرعة لانهائية لا تعنى أى شئ بالنسبة إلى شخص مدرك فإن محاولة اعتبار الرسم السابق شيئاً أكثر من نموذج لا تؤدي إلى شئ بالمرّة .

ونحن لا نريد بحث مسألة الجاذبية الآن . وهى فقط مقدمة تبسط شرح الطرق الماثلة في نظرية الكهرباء .

سنبدأ بدراسة التجربة التي ولدت صعوبات جديدة في تفسيرنا الميكانيكي . كان لدينا تيار ينساب في سلك دائرى حول إبرة مغناطيسية في مركز السلك . وفي اللحظة التي بدأ التيار فيها في الانسياب ، ظهرت قوة جديدة تؤثر على القطب المغناطيسى وعمودية على جميع الخطوط الواصلة بين السلك والقطب وفي الحالة التي نشأت فيها هذه القوة عن الحركة الدائرية لشحنة كهربائية ، يثبت تجربة رولاند أن القوة تتوقف على سرعة الشحنة . هذه الحقائق التي حصل عليها بالتجربة تناقض وجهة النظر الفلسفية التي تقول أن القوة لا بد . وأن تؤثر في الخط الواصل بين الجسمين وأنها تتوقف على البعد بينهما فقط .

إن التعبير المضبوط الذى يمثل القوة التي يؤثر بها التيار على قطب مغناطيسى معقد للغاية ، والتعبير المناظر في حالة الجاذبية أبسط منه بكثير . ومع ذلك فيمكننا محاولة النظر إلى الموضوع كما فعلنا في حالة قوة الجاذبية تماماً . والسؤال الذى أمامنا الآن هو : ماهى القوة التي يؤثر بها التيار على قطب مغناطيسى قريب منه ؟ من الصعب وصف هذه القوة بالكلام . وحتى الصيغة الرياضية تكون معقدة للغاية . وأفضل شئ هو تمثيل ما نعلمه عن القوى المؤثرة بالرسم أو بنموذج كلامي يحتوى على خطوط القوى . وتوجد صعوبة سببها أن القطب المغناطيسى لا يوجد إلا مع قطب مغناطيسى آخر في مزدوج مغناطيسى . ومع ذلك فيمكننا دائماً أن

تتصور أن الإبرة المغناطيسية طويلة بدرجة تجعلنا لا نأخذ في حسابنا إلا القوى المؤثرة على القطب القريب من التيار . ويكون القطب الثانى بعيداً بدرجة تمكننا من إهمال القوة المؤثرة عليه . ولتحاشي الالتباس سنفرض أن القطب المغناطيسى القريب من السلك هو القطب الموجب . يمكننا قراءة خواص القوة المؤثرة على القطب المغناطيسى الموجب من الرسم التالى .



أولاً نلاحظ سهماً بجوار السلك يبين اتجاه التيار من الجهد الأعلى إلى الجهد الأدنى . وجميع الخطوط الأخرى هى خطوط قوة تخص هذا التيار واقعه فى مستو معين . وإذا رسمنا هذه الخطوط جيداً ، فإنها تدل على

اتجاه متجه القوة الذى يمثل تأثير التيار على قطب موجب معلوم ، كما تعطينا فكرة عن طول هذا المتجه . القوة هى متجه كما نعلم ، ولتعيين هذا المتجه يجب أن نعلم كلا من اتجاهه وطوله . والذى يهمنى أكثر من غيره هو اتجاه القوة المؤثرة على قطب . والسؤال الذى أماننا هو كيف نعلم من الرسم اتجاه القوة المؤثرة على قطب عند أى نقطة فى الفراغ .

والقاعدة التى نعين بها اتجاه القوة من مثل هذا النموذج ليست ببساطة مناظرتها فى المثال السابق التى كانت خطوط القوة فيه مستقيمة . الرسم التالى يبين خط قوة واحد وذلك لإيضاح القاعدة . يقع متجه القوة على المماس لخط القوة كما هو موضح .



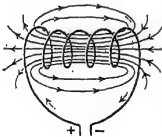
وسهم متجه القوة والأسهم الموجودة على خط القوة تشير جميعاً إلى نفس الاتجاه . أى أن هذا هو الاتجاه الذى تؤثر فيه القوة على القطب المغناطيسى عند هذه النقطة .

والرسم الجيد ، أو النموذج المضبوط (وهذا تعبير أدق) يعطينا أيضاً فكرة عن طول متجه

القوة عند أى لحظة . يجب أن يكون هذا المتجه أطول عند ما تكون خطوط القوة أكثف ، أى بالقرب من السلك ، وأقصر عندما تكون الخطوط أقل تكاثفاً أى بعيداً عن السلك .

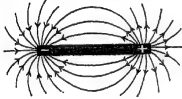
بهذه الطريقة ، تمكنا خطوط القوة أو المجال بمباراة أخرى ، من تعيين القوى المؤثرة على قطب مغناطيسى عند أى نقطة فى الفراغ . وفى الوقت الحالى يكون هذا هو البرر الوحيد لهذا التصميم المتعب للمجال . وحيث أننا نعلم ماذا يمثل المجال ، فإننا سندرس خطوط القوة المناظرة للتيار دراسة أعمق . هذه الخطوط هى دوائر تحيط بالسلك وتقع فى المستوى العمودى على مستواه . وبقراءة خواص القوة من الرسم ترى مرة ثانية أن القوة تؤثر فى اتجاه عمودى على أى مستقيم واصل بين السلك والقطب . وذلك لأن المماس لدائرة يكون دائماً عمودى على نصف القطر . يمكن تلخيص كل ما نعلمه عن القوة المؤثرة فى نموذج المجال . ونحن نضيف فكرة المجال إلى فكرة التيار والقطب المغناطيسى ونستعين بها جميعاً لتمثيل القوة المؤثرة بطريقة بسيطة .

يوجد مجال مغناطيسى يناظر كل تيار ، أى تؤثر قوة على قطب مغناطيسى عند اقترابه من سلك ينساب فيه تيار . ونشير هنا إلى أن هذه الخاصية تمكنا من تصميم أجهزة حساسة تدل على وجود التيار أو عدم وجوده . بمجرد أن نعرف كيف نقرأ خواص القوى المغناطيسية من نموذج المجال لتيار ما ، نرسم دائماً المجال المحيط بالسلك الذى ينساب فيه التيار وذلك لتمثيل تأثير القوى المغناطيسية عند أى نقطة فى الفراغ . ومثالنا الأول هو ما يسمى «الملف الحزوى» ، وهو ملف من السلك كما هو مبين فى الشكل ، وغرضنا هو أن نعلم بالتجربة كل ما يمكننا عن المجال



المغناطيسى الخاص بتيار ينساب فى ملف حلزوى وأن نجمع هذه المعلومات لعمل المجال . والرسم التالى يمثل النتيجة . خطوط القوى المنحنية مقفلة وتحيط باللف الحزوى بالطريقة التى تميز المجال المغناطيسى للتيارات .

ويمكن عمل مجال قضيب مغناطيسى بنفس طريقة عمل مجال كهربائى .
والشكل التالى يبين ذلك . تتجه خطوط القوى من القطب الموجب إلى السالب



دأماً . ويقع متجه القوة على
المماس لخط القوة دأماً ويكون
أطول ما يمكن بالقرب من القطبين
وذلك لأن تكاثف خطوط
القوة يكون أكبر ما يمكن عند

هاتين النقطتين . يمثل متجه القوة تأثير المغناطيس على قطب مغناطيسى موجب .
فى هذه الحالة ، ينشأ المجال عن المغناطيس لا عن التيار .

يجب أن نقارن الشكلين الأخيرين بدقة . فى الشكل الأول يوجد المجال
المغناطيسى لتيار ينساب فى ملف حلزوى ، وفى الثانى مجال قضيب مغناطيسى .
فلنهمل كلا من الملف الحلزوى والقضيب ونلاحظ المجالين الخارجيين فقط . نلاحظ
على الفور أن كلا من المجالين له نفس الخواص تماماً . فى كل من الحالتين تتجه
خطوط القوة من أحد طرفي الملف أو القضيب إلى الطرف الآخر .

هذه هى أولى ثمار تمثيل المجال ! فإنه ليصعب جداً ملاحظة تشابه قوى بين تيار
ينساب فى ملف حلزوى وبين قضيب مغناطيسى إذا لم نعلم بعمل المجال .

يمكننا الآن اختبار فكرة المجال اختباراً أسمى من ذلك بكثير . سترى فى
القريب العاجل ما إذا كانت هذه الفكرة تمثيلاً جديداً للقوى المؤثرة أم أنها تعنى
شيئاً آخر فضلاً عن ذلك . يمكننا أن نستعمل المنطق الآتى : افترض مؤقتاً أن المجال
يميز جميع الأحداث التى تحددها مصادره بطريقة وحيدة . وليس هذا إلا تخميناً ، وهو
يعنى أنه إذا كان لكل من الملف الحلزوى والقضيب نفس المجال ، فإن جميع تأثيراتهما
تكون واحدة ، أيضاً . ويكون معنى ذلك أن خواص ملفين حلزونيين يحملان
تيارين كهربائيين هى نفس خواص قضيب مغناطيسين وأنهما يتجاذبان أو يتنافران
على حسب وضعهما النسبى كما فى حالة القضيبين . وهذا يعنى أيضاً أن قضيباً
مغناطيسياً وملفاً حلزونياً يتجاذبان أو يتنافران بنفس الطريقة التى ينجذب أو يتنافر بها

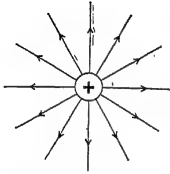
قضياناً مغناطيسيان . وبالاختصار يكون معنى ماسبق أن جميع تأثيرات ملف حلزوني يمر فيه تيار هي نفس تأثيرات مغناطيس منظر وذلك لأن المجال وحده هو المسئول عن هذه التأثيرات والمجال في كل من الحالتين له نفس الخواص . والتجربة تحقق تخميناتنا تماماً !

يستطيع القارئ أن يتخيل صعوبة الحصول على هذه الحقائق بدون فكرة المجال ! أن تعبير القوة المؤثرة بين سلك ينساب فيه تيار وبين قطب مغناطيسي معقد للغاية . وفي حالة ملفين حلزونيين يجب علينا دراسة القوى التي يؤثر بها تياران كل على الآخر . ولكن إذا قمنا بذلك مع الاستئانة بالمجال فإننا نلاحظ فوراً خواص هذه التأثيرات بمجرد أن نتحقق من تشابه مجال الملف الحلزوني ومجال القضيب المغناطيسي .

من حقنا الآن أن نعتبر المجال شيئاً آخر يزيد عن فكرتنا الأولى عنه . ويبدو لنا أن خواص المجال وحده هي التي تهتم في وصف الظواهر ، أما اختلاف مصدر المجال فلا يهم . وتظهر أهمية فكرة المجال عندما تؤدي إلى حقائق عملية جديدة . لقد أثبتت فكرة المجال فائدتها الكبيرة . وقد بدأت هذه الفكرة كشيء يوجد بين المصدر والإبرة المغناطيسية لوصف القوة المؤثرة وكان ينظر للمجال على أنه وكيل للتيار تحدث جميع تأثيرات التيار عن طريقه . ولكن يقوم الآن هذا الوكيل بدور المترجم الذي يترجم القوانين إلى لغة بسيطة واضحة يسهل فهمها .

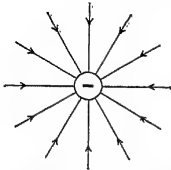
إن النجاح الأول للتمثيل بالمجال يجعلنا نظن أن من المناسب دراسة جميع تأثيرات التيارات والمغناطيسات والشحنات بطريقة غير مباشرة ، أي بمساعدة المجال كفسر .

ويمكن اعتبار المجال كشيء يصاحب التيار دائماً ، فالمجال يوجد رغم عدم وجود قطب مغناطيسي نختبر به وجوده (أي المجال) . فلنحاول تتبع هذا الدليل الجديد باستمرار .



ويمكن دراسة مجال موصل مشحون بنفس الطريقة التي درسناها بها مجال الجاذبية أو مجال التيار أو المغناطيس و مرة أخرى نجد أبسط الأمثلة لعمل مجال كرة مشحونة يجب أن نعلم أى نوع من القوى يؤثر على جسم اختبار صغير موجب الشحنة عند اقترابه من

مصدر المجال أى من الكرة المشحونة . واختيار جسم اختبار موجب الشحنة لا سالها هو مسألة اتفاق فقط لتحديد اتجاه الأسهم الموجودة على خطوط القوة . والنموذج في هذه الحالة يشابه مجال الجاذبية (ص ٩٠) وذلك لتشابه قانونى كولوم ونيوتن ، والفرق الوحيد بين هذين النموذجين هو أن الأسهم تشير فى اتجاهين متضادين . وفى الواقع نعلم أن شحنتين موجبتين تتنافران وأن كشتين تتجاذبان . ومع ذلك فإن مجال كرة سالبة الشحنة يكون مطابقا لمجال الجاذبية وذلك لأن جسم الاختبار الصغير الموجب الشحنة سيجذب إلى مصدر المجال .



إذا كان لدينا قطبان ساكنان أحدهما كهربائى والآخر مغناطيسى فإنه لا توجد قوة جذب أو طرد بينهما ويمكن التمييز عن هذه الحقيقة بلغة المجال كما يأتى : المجال الكهربائى الاستاتيكي لا يؤثر على المجال المغناطيسى وبالعكس . والمجال الكهربائى

الاستاتيكي هو المجال الكهربائى الذى لا يتغير بمرور الزمن . تبقى المغناطيسات والشحنات ساكنة بجانب بعضها أية فترة زمنية إذا لم تؤثر عليها قوة خارجية . كل من المجال الكهربائى والمغناطيسى ومجال الجاذبية يختلف تماما عن الآخرين ولا تتمزج هذه المجالات ويحتفظ كل منها بذاته ولا يتأثر بالآخرين .

لنمود الآن إلى الكرة الكهربائية التي بقيت حتى الآن ساكنة . نفرض أن هذه الكرة بدأت تتحرك نتيجة لتأثير قوة خارجية . تتحرك الكرة المشحونة . بلغة المجال تقرأ الجملة السابقة كما يأتي : يتغير مجال الكرة المشحونة بتغير الزمن . ولكننا نعلم من تجربة رولاند أن حركة هذه الكرة المشحونة تكافئ تياراً كهربائياً . وأيضاً نعلم أن مجالاً مغناطيسياً يصاحب كل تيار . وعلى ذلك تكون لدينا السلسلة الآتية :

حركة شحنة \Rightarrow تغير في مجال كهربائي .



تيار \Leftarrow المجال المغناطيسي المصاحب .

وعلى ذلك نستنتج أن : التغير في المجال الكهربائي الناتج عن حركة الشحنة يصطحب دائماً بمجال مغناطيسي .

تعتمد هذه النتيجة على تجربة أورستد ولكنها تشمل أكثر من ذلك . فهذه النتيجة تحوى الاعتراف بأن مصاحبة مجال مغناطيسي لمجال كهربائي يتغير مع الزمن حقيقة أساسية لدراستنا القادمة .

إذا ماظلت شحنة ما ساكنة فإنه لا يوجد سوى مجال الكهروستاتيكي ولكن يظهر مجال مغناطيسي بمجرد أن تبدأ الشحنة في الحركة . ويمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك . يكون المجال المغناطيسي الذي تولده حركة الشحنة أشد إذا كانت الشحنة أكبر وإذا تحركت أسرع . هذه الحقيقة هي أيضاً نتيجة لتجربة رولاند . مرة أخرى باستعمال لغة المجال يمكننا أن نقول : كلما كان تغير المجال الكهربائي أسرع كلما كان المجال المغناطيسي المصاحب أشد .

لقد حاولنا هنا ترجمة بعض الحقائق المعروفة من لغة الواضع التي نشأت من وجهة النظر الميكانيكية القديمة إلى لغة المجالات الجديدة . وسنرى فيما بعد وضوح وبعد مدى لغتنا الجديدة .

وحدات نظرية المجال :

« يصاحب تغير المجال الكهربائي مجالاً مغناطيسياً ». إذا بادلنا كلتي كهربائى ومغناطيسى كلا محل الأخرى فإن الجملة السابقة تصبح : « يصاحب تغير المجال المغناطيسى مجالاً كهربائياً ». لا يمكن الجزم بصحة أو خطأ هذه العبارة إلا عملياً بالتجربة ولكن لغة المجال هى التى تمنحنا فكرة صياغة هذه المسألة .

منذ أكثر من مائة عام بقليل أجرى فارادى تجربة نتج عنها الاكتشاف العظيم للتيارات المتجهة بالتأثير .

والتجربة بسيطة للغاية . نحتاج فقط إلى ملف حلزوني أو أية دائرة كهربائية أخرى ، وقصيب مغناطيس وأحد الأجهزة التى تدلنا على وجود التيار . عند الابتداء يكون القصيب المغناطيسى ساكناً بالقرب من الملف الحلزوني الذى يكون دائرة مقفلة . لا يمر أى تيار فى السلك وذلك لعدم وجود مصدر له . يوجد مجال للمغناطيس الساكن وهو مجال لا يتغير بمرور الزمن . ونجاءً بغير وضع المغناطيس إما بإبعاده كلية أو بتقريبه من الملف الحلزوني ، وذلك حسب رغبتنا . فى هذه اللحظة يظهر تيار لفترة زمنية قصيرة جداً ، ثم يتلاشى بعد ذلك . ويظهر التيار كلما تغير موضع المغناطيس ، ويمكن



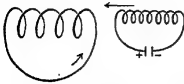
التحقق من وجود التيار بواسطة جهاز حساس . ولكن التيار حسب نظرية المجال يعنى وجود مجال كهربائى يعمل على انسياب الإلكترونات الكهربيين

خلال السلك . وعلى ذلك يتلاشى كل من التيار والمجال الكهربائى عندما يسكن المغناطيس ثانية .

تخيل مؤقتاً أن لغة المجال غير معروفة وأنه يجب وصف نتائج هذه التجربة كياً ونوعياً بلغة الميكانيكا القديمة : على ذلك تبين هذه التجربة أنه نتيجة لحركة المزدوج المغناطيسى ولدت قوة جديدة تحرك المائع الكهربائى فى السلك . ويكون

السؤال الثانى كما يأتى : ما الذى تتوقف عليه هذه القوة ؟ وتكون الإجابة على هذا السؤال فى غاية الصعوبة . فيكون من المحتم علينا أن ندرس علاقة القوة بسرعة المغناطيس وشكله وبشكل الدائرة . وزيادة على ذلك ، فإننا إذا عبرنا عن هذه التجربة باللغة القديمة فإنها لا تعطينا أية إشارة على الإطلاق للدلالة على ما إذا كان من الممكن إنتاج تيار بالتأثير بتحريك دائرة كهربائية أخرى تحمل تياراً بدلاً من تحريك قضيب مغناطيسى .

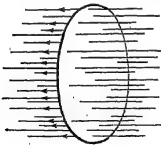
تختلف الحالة تماماً إذا استعملنا لغة المجال وفرضنا مرة أخرى أن المجال هو الذى يحدد جميع التأثيرات . نرى على الفور أن الملف الحزونى الذى يمر فيه تيار يقوم مقام قضيب المغناطيس تماماً . يبين الشكل ملفين اسطوانيين الأول صغير يمر فيه تيار ، والثانى وهو الأكبر نختبر به وجود التيار الناتج بالتأثير . يمكننا



أن نحرك الملف الحزونى كما حركنا قضيب المغناطيس من قبل . كما يمكننا بدلاً من تحريك الملف الصغير أن نولد مجالاً

مغناطيسياً ونلاشيه بتوليد التيار وملاشاته ، أى بفتح وقفل الدائرة . مرة أخرى ثبتت عملياً صحة حقائق جديدة نتجت عن نظرية المجال .

فلنعتبر مثلاً أبسط من ذلك . لدينا سلك مقفل ولا يوجد أى مصدر للتيار . بالقرب من هذا السلك يوجد مجال مغناطيسى . وليس من المهم معرفة مصدر هذا المجال الذى قد يكون دائرة أخرى يمر فيها تيار أو قضيب مغناطيسى . يبين



الشكل الدائرة المغلفة وخطوط القوة المغناطيسية . إن الوصف السكى والنوعى لظاهرة إنتاج التيارات بالتأثير بسيط جداً إذا استخدمنا لغة المجال . وكما هو مبين فى الشكل ثمر بعض خطوط القوة خلال السطح المحدود بالسلك .

ويجب علينا دراسة خطوط القوى التي تقطع ذلك الجزء من المستوى الذي يخبط به . الساك . لا يوجد أى تيار كهربائى مادام المجال لا يتغير مهما كانت شدته . ولكن يبدأ تيار فى المرور فى السلك بمجرد أن يتغير عدد خطوط القوة التي تخترق السطح المحاط بالسلك . ويتمين التيار تماماً بالتغير فى عدد خطوط القوة التي تخترق السطح مهما كان السبب فى حدوث هذا التغير . والتغير فى عدد خطوط القوة هو الشيء الوحيد الضرورى لوصف التيار المنتج بالتأثير كميّاً أو نوعياً . «عدد خطوط القوى يتغير» . يعنى أن تكاليف الخطوط يتغير ، وهذا كما يذكر القارىء يعنى أن شدة المجال تتغير .

وهذه هى الحلقات الهامة فى سلسلتنا المنطقية : تفسير فى مجال مغناطيسى .
— تيار منتج بالتأثير — « حركة شحنة » وجود مجال كهربائى . وعلى ذلك : يصطحب المجال المغناطيسى التغير بمجال كهربائى .

بذلك وجدنا أهم دعامتين لنظرية المجال الكهربائى والمغناطيسى . الدعامة الأولى هى العلاقة بين المجال الكهربائى المتغير والمجال المغناطيسى . وقد ظهرت هذه العلاقة من تجربة أورستد على انحراف الإبرة المغناطيسية وأدت إلى النتيجة الآتية : يصطحب المجال الكهربائى التغير بمجال مغناطيسى . أما الدعامة الثانية فهى تربط بين المجال المغناطيسى المتغير وبين التيارات المنتجة بالتأثير وقد ظهر هذا الارتباط من تجربة فارادى . وقد كانت كل من هاتين العلاقتين أساساً ، للوصف الكمى .

مرة أخرى يظهر المجال الكهربائى الذى يصاحب المجال المغناطيسى المتغير كأنه شيء حقيقى . وضعنا فيما سبق أن المجال المغناطيسى يكون موجوداً رغم عدم وجود قطب الاختبار . بالمثل يجب أن نقول هنا أن المجال الكهربائى يوجد رغم عدم وجود السلك الذى يدل على وجود التيار المنتج بالتأثير .

وفى الواقع يمكن اختصار هاتين الدعامتين إلى دعامة واحدة ألا وهى نتيجة تجربة أورستد فمن الممكن استنتاج نتيجة تجربة فارادى من تجربة أورستد وقانون بقاء الطاقة . ولقد استخدمنا الدعامتين لفرض التوضيح والاقتصاد فقط .

يجب ذكر نتيجة أخيرة للوصف بالجمال . نفرض أن لدينا دائرة يمر فيها تيار ، ونفرض أن مصدر التيار هو بطارية قولتا مثلاً . نفرض أن الاتصال بين السلك وبين مصدر التيار قد قطع فجأة . طبعاً لا يوجد تيار الآن ! . ولكن أثناء فترة قطع الاتصال الصغيرة تحدث عملية متداخلة معقدة ، وهي عملية من الممكن التنبأ بها من نظرية المجال . قبل قطع التيار كان يوجد مجال مغناطيسى . يتغير عدد خطوط القوة التي تخترق السطح المحدد بالسلك سريعاً جداً . ولكن هذا التغير السريع مهما كان السبب في حدوثه ، لا بد وأن يولد تياراً بالتأثير . والذي يهم في الواقع هو التغير في المجال المغناطيسى . والتيار المتج الناتج يكون أشد كلما ازداد هذا التغير . هذه النتيجة هي اختبار جديد للنظرية . يجب أن يصاحب قطع التيار ظهور تيار شديد والحظي منتج بالتأثير . ومرة أخرى يتحقق ذلك عملياً . وكل شخص قطع دائرة كهربائية لابد وأن يكون قد لاحظ ظهور شرارة . تدل هذه الشرارة على الفرق الكبير في الجهد الذى يسببه التغير في المجال المغناطيسى .

ويمكننا النظر إلى هذه العملية من وجهة نظر أخرى هي وجهة نظر الطاقة . اختفى مجال مغناطيس وتولدت شرارة . الشرارة تمثل طاقة وإذن فلا بد أن يمثل المجال المغناطيسى طاقة . وإذا كنا سنستعمل فكرة المجال ولغته باستمرار فلا بد وأن نعتبر المغناطيس كستودع للطاقة . فهذه الطريقة وحدها تمكن من وصف الظواهر الكهربائية والمغناطيسية دون أن تناقض قانون بقاء الطاقة .

إن المجال الذى بدأ كنموذج معين أخذ يزداد واقعية . لقد ساعدنا على فهم حقائق قديمة وقادنا إلى حقائق جديدة . وإن ربط الطاقة بالمجال هو خطوة إلى الأمام في الطور الذى أخذنا فيه نهتم بفكرة المجال وتحطم فكرة السيل أو المائع الضرورية لوجهة النظر الميكانيكية .

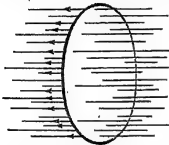
واقعية المجال :

يمكن تلخيص الوصف الكمي والرياضي لقوانين المجال في المعادلات الستة بمعادلات ماكسويل . ولقد أدت الحقائق التى ذكرناها فيما سبق إلى صياغة هذه

المعادلات ومع ذلك فهي تدل على أكثر مما أمكننا الإشارة إليه . وبساطة هذه المعادلات تخفى عمقها الذي لا يظهر إلا بالدراسة الدقيقة . وتعد صياغة هذه المعادلات أهم حدث في علم الطبيعة منذ عهد نيوتن . والسبب في ذلك هو أنه فضلاً عن اتساع مجالها فهي تكون نموذجاً لنوع جديد من القوانين . ويمكن تلخيص معادلات ماكسويل (التي تظهر في جميع معادلات علم الطبيعة الحديث الأخرى) في جملة واحدة . معادلات ماكسويل هي قوانين تمثل تركيب المجال .

لماذا تختلف معادلات ماكسويل في الشكل والصفات عن معادلات الميكانيكا الكلاسيكية ؟ وماذا نمنى بقولنا أن هذه المعادلات تصف تركيب المجال ؟ وكيف يمكننا باستعمال نتائج تجرّبي أورستد وفارادى تكوين نوع جديد من القوانين تثبت أهميته البالغة في التطورات التالية لعلم الطبيعة ؟

لقد رأينا من تجربة أورستد كيف ينتج مجال مغناطيسى حول مجال كهربائى متغير . ورأينا من تجربة فارادى كيف ينتج مجال كهربائى حول مجال مغناطيسى متغير . سنوجه اهتمامنا مؤقتاً إلى إحدى هاتين التجربتين ، إلى تجربة فارادى مثلاً ، لنحصل على بعض الخواص المميزة لنظرية ماكسويل . سنعتبر مرة أخرى الشكل الذى يمثل نشأة تيار متنج بالتأثير من مجال مغناطيسى متغير . نعلم أن التيار



ينتج بالتأثير إذا تغير عدد خطوط القوة التى تخترق السطح المحدد بالسلك . على ذلك يظهر التيار المتنج بالتأثير إذا تغير المجال أو إذا تغير شكل الدائرة أو إذا تحركت الدائرة . وإذا راعيننا جميع

هذه الاحتمالات ودرسنا التأثيرات التى تنتج عن كل منها فن المؤكد أن ذلك يؤدى إلى نظرية معقدة جداً . ولكن ألا يمكننا تبسيط هذه المسألة ؟ دعنا نحذف من دراستنا كل ما يتعلق بشكل الدائرة وطولها والسطح أخذ بالسلك

لنتخيل أيضاً أن الدائرة في الشكل السابق تصغر تدريجياً إلى أن تصبح دائرة كهربائية صغيرة جداً حول نقطة معينة في الفراغ . في هذه الحالة لا يكون لشكل الدائرة أو حجمها أى تأثير على دراستنا . في هذه العملية النهائية التى يؤول فيها المنحنى المقفل إلى نقطة يختن كل من الشكل والحجم أوتوماتيكياً من دراستنا ونحصل على قوانين تربط بين التنير في المجال المغناطيسى والكهربائى عند نقطة اختيارية في الفراغ وعند لحظة اختيارية .

وعلى ذلك تكون هذه هى إحدى الخطوات الأساسية المؤدية إلى مبادئ ماكسويل . ومرة أخرى هذه هى تجربة مثالية تجرى في الخيال بتكرار تجربة فارادى على دائرة صغيرة تؤول في النهاية إلى نقطة .

يجب علينا أن نسمى ماسبق نصف خطوة بدلا من خطوة كاملة . حتى الآن كان اهتمامنا موجها إلى تجربة فارادى . ولكن يجب دراسة دعامة المجال الثانية المبنية على تجربة أورستد بطريقة مشابهة بنفس الدرجة من الدقة . في هذه التجربة تلتف خطوط القوة المغناطيسية حول التيار . إذا جعلنا الخطوط الدائرية للقوة المغناطيسية تصغر وتؤول إلى نقطة نحصل على النصف الثانى للخطوة . وتعطينا الخطوة كلها علاقة بين التنير في كل من المجالين الكهربائى والمغناطيسى عند نقطة اختيارية في الفراغ ، وعند لحظة اختيارية .

ولكن نلزم خطوة أخرى أساسية . حسب تجربة بارادى يجب أن يوجد سلك يدل على وجوه المجال الكهربائى كما يجب أن يوجد قطب مغناطيسى أو إمرة مغناطيسية لاختبار وجود مجال مغناطيسى في تجربة أورستد . ولكن نظرية ماكسويل الجديدة تذهب إلى أبعد من هذه الحقائق العملية . فحسب نظرية ماكسويل المجال الكهربائى والمغناطيسى أو باختصار المجال الكهرومغناطيسى هو شئ حقيقى واقعى . فالمجال المغناطيسى التنير يولد مجالا كهربائياً بصرف النظر عن وجود أو عدم وجود سلك يدل على وجود هذا المجال ، والمجال الكهربائى التنير يولد مجالا مغناطيسياً بصرف النظر عن وجود أو عدم وجود قطب مغناطيسى للدلالة على وجوده .

أى أن هناك خطوتين قد أدتا إلى معادلات ماكسويل . الخطوة الأولى : عند دراسة تجرئى أورستد ورولانداكان من الضروري أن يصغر كل من خط المجال المغناطيسى الدائرى اللتف حول التيار والمجال الكهربائى المتغير ويؤول إلى نقطة ، وعند دراسة تجربة فارادى كان من الضروري أن يصغر خط المجال الكهربائى الدائرى اللتف حول المجال المغناطيسى المتغير ويؤول إلى نقطة . والخطوة الثانية هى النظر إلى المجال على أنه شىء حقيقى واقعى ، فالمجال الكهزمغناطيسى بمجرد تولده يؤثر ويتغير حسب قوانين ماكسويل .

ومعادلات ماكسويل تصف تركيب المجال الكهزمغناطيسى . وتطبق هذه المعادلات عند أى نقطة فى الفراغ على عكس القوانين الميكانيكية التى لاتطبق إلا حيث توجد مادة أو شحنات .

ونحن نذكر كيف كانت الحالة فى الميكانيكا . إذا علمت القوة المؤثرة على جسم عند أى لحظة وسرعة وموضع الجسم عند لحظة واحدة فقط فإن من الممكن التنبأ بمسار الجسم . وفى نظرية ماكسويل إذا علمنا المجال عند لحظة واحدة فقط يمكننا باستخدام معادلات النظرية استنتاج الكيفية التى يتغير بها المجال عند أية لحظة وعند أى نقطة فى الفراغ . تمكنا معادلات ماكسويل من تتبع تاريخ المجال كما تمكنا المعادلات الميكانيكية من تتبع تاريخ الجسيمات المادية .

ولكن لايزال هناك فرق أساسى بين القوانين الميكانيكية وقوانين ماكسويل . إذا قارنا قوانين نيوتن للجاذبية وقوانين ماكسويل للمجال تتضح بعض الخواص المميزة التى تعبر عنها هذه المعادلات .

بمساعدة قوانين نيوتن يمكننا استنتاج حركة الأرض من القوة المؤثرة بين الشمس والأرض وهذه القوانين تربط بين حركة الأرض وبين تأثير الشمس (البعيدة جداً) عليها . فالأرض والشمس رغم كبر البعد بينهما تمثلان معاً فى مسرحية القوى .

فى نظرية ماكسويل لا يوجد ممثلون ماديون . تعبر المعادلات الرياضية لهذه النظرية عن القوانين التى يتبعها المجال الكهزمغناطيسى ، وهى ، على خلاف

قوانين نيوتن ، لا تربط بين حديتين بعيدين جداً . فعلى لا تربط بين ما يحدث هنا بالظروف هناك . فالجمال في مكان ما في لحظة معينة يتوقف على المجال في الجوار المباشر عند اللحظة السابقة . إذا علمنا ما يحدث عند نقطة معينة الآن فإن معادلات ماكسويل تمكننا من التنبؤ بما سيحدث في الجوار المباشر لهذه النقطة بعد زمن قليل . تمكننا هذه المعادلات من زيادة معلوماتنا عن المجال بخطوات قصيرة . ويمكننا استنتاج ماذا يحدث هنا من الذي حدث في مكان بعيد ، بجمع هذه الخطوات القصيرة جداً ، أما في نظرية نيوتن فلا يسمح إلا بخطوات كبيرة تربط بين أحداث بعيدة . ويمكن الحصول مرة ثانية على نتائج تجريبية فارادى وأورستد من نظرية ماكسويل عن طريق واحد هو جمع خطوات صغيرة كل منها يتبع معادلات ماكسويل . تبين الدراسة الرياضية الدقيقة لمعادلات ماكسويل أنه يمكن استنتاج نتائج جديدة وغير متوقعة . ويمكن اختبار النظرية اختباراً قاسياً لأن النتائج النظرية لها الآن صفة كمية ويكشف عنها بواسطة سلسلة كاملة من الحجج المنطقية .

لنتخيل مرة أخرى تجربة مثالية . قوة خارجية تؤثر فتجعل كرة مشحونة بالكهرباء تذبذب بسرعة بحيث تكون حركتها مثل حركة البندول . كيف سنستخدم معلوماتنا عن تغيرات المجال في وصف كل ما يحدث هنا بلغة المجال ؟

نحدث ذبذبة الشحنة مجالاً كهربائياً متغيراً ، وهذا يصطحب دائماً بمجال مغناطيسي متغير إذا وضع سلك يكون دائرة مغلقة بالقرب من الشحنة فإن المجال المغناطيسي المتغير يصطحب بتيار كهربائي في الدائرة . ليس كل هذا إلا تكراراً لحقائق معلومة ، ولكن دراسة معادلات ماكسويل تجعلنا نؤمن النظر في مسألة الشحنة الكهربائية المتذبذبة . بتطبيق معادلات ماكسويل رياضياً يمكننا العثور على صفات المجال المحيط بشحنة متذبذبة ، وعلى تركيبه بالقرب من المصدر وبعيداً عنه ، وعلى تغيرات هذا المجال بمرور الزمن . ونتيجة هذا التطبيق هو الموجة الكهرومغناطيسية . الشحنة المتذبذبة التي تتحرك بسرعة معينة في الفراغ تشع طاقة ولكن تحويل الطاقة ، أي حركة حالة من حالات المادة ، يميز جميع الظواهر الموجية .

لقد درسنا أنواعا مختلفة من الأمواج . كان لدينا الموجات الطولية التي تنتج عن الكرة النابضة حيث تنتقل تغيرات الكثافة خلال الوسط . وكان لدينا أيضاً الوسط الغروي الذي تنتشر فيه الموجات المستعرضة . ماهو نوع التغيرات التي تنتشر في حالة الموجة الكهرومغناطيسية ؟ مجرد تغيرات المجال الكهرومغناطيسي ! كل تغير في مجال كهربائي ينتج مجالاً مغناطيسياً ، وكل تغير في مجال مغناطيسي ينتج مجالاً كهربائياً ، كل تغير في . . . وهكذا . وحيث أن المجال يمثل طاقة فإن جميع هذه التغيرات المنتشرة في الفراغ بسرعة معينة تنتج موجة . وكما نستنتج من النظرية ، تقع جميع خطوط القوة الكهربائية والمغناطيسية دائماً في مستويات عمودية على اتجاه الانتشار . على ذلك تكون الموجة الناتجة مستعرضة . لا تزال الصفات الأصلية لصورة المجال التي كونها من تجربتي أورستد وفارادى محتفظاً بها ولكننا نتحقق الآن من أن لها معنى أعمق .

تنتشر الموجة الكهرومغناطيسية في الفراغ المطلق . ومرة أخرى هذه نتيجة للنظرية . إذا توقفت الشحنة المتذبذبة فجأة عن الحركة فإن المجال يصبح مجالاً الكتروستاتيكية . ولكن سلسلة الأمواج التي ولدتها حركة الشحنة تستمر في الانتشار . ويكون للموجات وجود مستقل ويمكن تتبع تاريخها كما تتبع تاريخ أى شيء مادي آخر .

نفهم الآن لماذا تنشأ الصورة التي كونها للموجة الكهرومغناطيسية التي تنتشر بسرعة معينة في الفراغ والتي تتغير مع الزمن من معادلات ماكسويل . السبب الوحيد لذلك هو أن هذه المعادلات تصف تركيب المجال الكهرومغناطيسي عند أى نقطة في الفراغ وعند أية لحظة .

هناك سؤال آخر في غاية الأهمية . ماهي السرعة التي تنتشر بها الموجة الكهرومغناطيسية في الفراغ المطلق ؟ تعطينا النظرية بمساعدة بعض الاحصائيات التي نحصل عليها من تجارب بسيطة لاعلاقة لها بالانتشار الفعلي للأمواج ، إجابة واضحة : سرعة الموجة الكهرومغناطيسية تساوي سرعة الضوء .

لقد كُوت تجربتنا أوردستد وفارادى الأساس الذى بنيت عليه قوانين ماكسويل وجميع النتائج التى حصلنا عليها حتى الآن نتجت عن الدراسة الدقيقة لهذه القوانين معبراً عنها بلغة المجال . ويعد الاكتشاف النظرى الذى يعين السرعة التى تنتشر بها الموجة الكهرومغناطيسية على أنها سرعة الضوء من أعظم الاكتشافات فى تاريخ العلم .

وقد حققت التجربة ما تنبأت به النظرية . فندأ أكثر من خمسين عاماً ، أثبت هرتز بالتجربة لأول مرة وجود الموجات الكهرومغناطيسية وحقق عملياً أن سرعتها تساوى سرعة الضوء . وفى هذه الأيام يشاهد ملايين الناس الموجات الكهرومغناطيسية ترسل وتستقبل . والواقع أن أجهزتهم أعقد بكثير جداً من ذلك الذى استعمله هرتز ، وهى تشع بوجود الموجات على بعد آلاف الأميال من مصدرها بدلاً من مجرد ياردات قليلة .

المجال والمُثير :

تعرف الموجة الكهرومغناطيسية بأنها موجة مستعرضة تنتشر فى الفضاء بسرعة الضوء . ويوحى إلينا وجود سرعة واحدة للأمواج الضوئية والكهرومغناطيسية بضرورة وجود علاقة قوية بين الظواهر الضوئية والكهرومغناطيسية نفسها .

وعند ما كان علينا أن نفاضل بين نظرية الجسيمات والنظرية الموجية ، فضلنا النظرية الموجية لنجاحها فى شرح ظاهرة الحيود . فإذا فرضنا الآن أن الموجة الضوئية هى فى الحقيقة موجة كهرومغناطيسية فإن هذا الفرض لن يؤثر البتة فى تفسيرنا للظواهر الضوئية ، بل على العكس يمكننا من استخلاص نتائج جديدة أخرى . وإذا كان هذا الفرض صحيحاً فلا بد من وجود ارتباط ما بين الخواص الضوئية والكهربائية للمادة ، يسهل استنتاجه من النظرية . ويتميز إيجاد هذا الارتباط وتحقيقه بالتجارب نصراً مبنياً للنظرية الكهرومغناطيسية .

ويعتبر هذا النصر أيضاً انتصاراً لنظرية المجال ، إذ قد أمكننا تمثيل فرعين

من العلوم مختلفين عن بعضهما بنظرية واحدة . فنظرية ماكسويل تشرح مثلاً ظاهرة التأثير الكهربائي وظاهرة انكسار الضوء . وينحصر الاختلاف بين الأنواء التي تشعر بها العين وبين الأمواج الكهرومغناطيسية الأخرى في أن طول الموجة في الحالة الأخيرة قد يقصر حتى يصل إلى أطوال الأنواء الأولى وقد يزداد كثيراً كما هي الحال في الأمواج التي يستقبلها الذئاع . أى أن الاختلاف فقط هو في أطوال الموجات .

وقد كانت النظرية الميكانيكية القديمة تهدف إلى شرح جميع الظواهر الطبيعية على أساس وجود قوى بين الجسيمات المادية . وعلى هذا الأساس ابتدعت فكرة السيل الكهربي ، إذ كان من العسير على علماء القرن التاسع عشر تصور فكرة المجال ، فكانوا لا يفكرون إلا في المادة وتطوراتها وكل ما يتعلق بها .

وقد كان الغرض من استحداث فكرة التأثير في بدء الأمر هو المساعدة في تفهم الظواهر الطبيعية على الأساس الميكانيكي المادى ، فحاولوا مثلاً شرح القوة الموجودة بين جسيمين مشحونين بالكهرباء بأسباب خاصة بالجسيمين . أما الآن فإنه يجب علينا — طبقاً للآراء الحديثة الخاصة بالمجال — أن نعتبر المجال الموجود بين الشحنتين ، لا الشحنتين نفسيهما ، إذا أردنا دراسة تأثيرهما . وقد أخذ الاعتقاد بنظرية المجال يزداد قوة ووضوحاً وأخذت النظرية الميكانيكية في الاضمحلال وأدرك العلماء أن علم الطبيعة قد أشرف على فجر عهد جديد تحتل فيه نظريات المجال مكاناً كبيراً وأصبحنا الآن مثلاً ننظر إلى المجال الكهرومغناطيسى كنظرنا إلى شيء ملموس تماماً مثل الكتب الذى نجلس إليه .

ومن الإنصاف أن نذكر أن نظرية المجال الحديثة لم تقض على كل آثار النظرية الميكانيكية بل لأنها قد أظهرت بعض محاسن هذه النظرية الأخيرة فضلاً عن مواطن الضعف فيها . ولنا نقصد في كلامنا هذا نظريات السيل والمجال الكهربائيين فقط بل كل الظواهر الطبيعية ، فما زلنا مثلاً نعرف بوجود الشحنة الكهربائية نفسها رغماً عن اعتقادنا — حسب نظرية المجال — بأن الشحنة ما هي إلا مصدر للمجال الكهربائي . وكذلك أيضاً ما زلنا نعتقد في صحة قانون كولوم واحتواء

معادلات ما كسويل له . وهكذا يمكننا استخدام بعض المعتقدات القديمة في حدود لا يجب أن تتعداها .

ولكى نفهم حقيقة هذا التنوير يجب أن نذكر أن تكوين نظرية جديدة لا يشبه هندم كوخ حقير وبناء ناطحة سحاب بدلا منها بل أقرب شهاً بحال رجل يتسلق جبلا فيتسع أفق نظره ويرى آفاقاً جديدة كلما ازداد ارتفاعه ، ويرى طرقاً ومسالك جديدة تصل بين البقاع الموجودة في سفح الجبل مما كان يتمسدر عليه رؤيتها لو لم يبرح هذا السفح .

وفي الحقيقة أنه قد مضى زمن طويل قبل أن يستطيع الناس فهم الكنه الحقيقي لمعادلات ما كسويل ، فكان العلماء أولاً يشبهون المجال بالمادة ويحاولون استخدام فرض الأثير لفهم هذه المعادلات . ولكن الزمن كان خير كفيل بأنجاح فكرة المجال فسرعان ما تعاقبت انتصاراتها وزاد إيمان الناس بها وقصدت تبعاً لذلك نظرية الأثير الكثير من بهائها ورووقها وأخذ الناس في الانصراف عنها . وهكذا أصبح علينا الآن أن نسلم بأن الفراغ له خاصية السطح للأمواج الكهرومغناطيسية بالمرور . وقد يحدث بين الحين والآخر أن نذكر عرضاً كلمة الأثير ، وإن معنى هذه الكلمة أكثر من الصفة الطبيعية التي ذكرناها الآن والتي تميز الفراغ . ونرى من هذه التطورات الكثيرة التي لازمت فكرة الأثير منذ ولادتها فلم يصبح الآن معنى وسطاً مكوناً من جسيمات مادية بل مجرد صفة طبيعية للفراغ .

وللاثير دور كبير أيضاً في نظرية النسبية سنتكلم عنه فيما بعد .

المكان الميكانيكي :

لنرجع الآن قلباً إلى الوراء ونعتبر قانون جاليليو للقصور الذاتي :

كل جسم يظل في حالة سكون أو حركة منتظمة في خط مستقيم ما لم تؤثر عليه قوة خارجية .

لنتصور أنفسنا الآن نشاهد عالمًا يريد تحقيق صحة هذا القانون أو عدمها بواسطة التجارب العملية . سيدفع العالم كرات صغيرة على سطح منضدة أفقية ملساء ، وسيلاحظ أن حركة الكرات تصبح أكثر انتظامًا كلما قل مقدار الاحتكاك بين الكرة وسطح المنضدة . لندع الآن العالم يجرى تجاربه ولنتصور أن الحجرة قد أخذت في الدوران فجأة في مستوى أفق حول محور في وسطها . سيلاحظ العالم أن الكرة ذات الحركة المنتظمة أخذت في حركتها تقترب من طرف المنضدة الأكثر قرباً من جدران الحجرة أى الأكثر بعداً عن مركز الحجرة ومحور الدوران . بل إن العالم نفسه سيشعر بقوة غريبة تدفعه نحو جدران الحجرة ، سيجس بنفس الشعور الذى يمانيه راكبوا القطار عند ما يتحرك هذا الأخير في مسار دائرى ، أو كشعور راكب الأرجوحة السريعة الدوران . وفي هذه الحالة سيجد العالم أنه لا مندوحة من نبد قانون القصور الذاتى وجميع القوانين الميكانيكية في عالمه — أى حجرة — السريعة الدوران حول المحور . فإذا تصورنا شخصاً ولد وقضى كل حياته داخل هذه الحجرة الدائرة فإن قوانين الحركة التى سيلاحظها داخل الحجرة ستختلف تمام الاختلاف عن القوانين التى تخضع لها الأجسام خارج الغرفة . ولكن إذا دخل امرؤ الحجرة وهو عالم تماماً بحركتها الدورانية ولم بقوانين الطبيعة فإنه سيفسر عدم صلاحية القوانين الميكانيكية داخل الحجرة بأنه راجع لهذا الدوران ، ويمكنه إجراء بعض تجارب لمعرفة هذه الحركة الدورانية .

ولعلك تسأل عن سبب اهتمامنا بالحجرة السريعة الدوران ؟ والجواب على ذلك هو أننا — نحن معشر سكان الكرة الأرضية — في نفس وضع العالم الذى قضى عليه بالبقاء داخل الحجرة الدائرة طيلة حياته ، إذ أننا قد أدركنا منذ عهد كوبرنيكوس أن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس أيضاً في نفس الوقت فإذا كان العالم الطبيعى لم يستطع إثبات قوانين الميكانيكا داخل الحجرة الدائرة فإننا أيضاً لن نستطيع تحقيقها على سطح الأرض ولكن حيث أن حركة الأرض الدورانية بسيطة نسبياً فإن تعديل قوانين الميكانيكا سيكون طفيفاً . وهناك تجارب

كثيرة تدلنا على وجود اختلاف بسيط في قوانين الميكانيكا مما يدلنا على صحة الفرض بحركة الأرض الدورانية .

ومما يدعو إلى الأسف أنه ليس في استطاعتنا اختيار مكان بين الشمس والأرض يمكننا البقاء به لاختبار صلاحية قوانين الميكانيكا وحتى نرى بأعيننا حركة الأرض الدورانية . وإذن فلا مفر من أن نجري تجاربنا على سطح الأرض التي نقضى حياتنا فيها ، ويمكننا التعبير عن هذه الحقيقة رياضياً بقولنا إن الأرض هي محاورنا الاحداثية » .

ولكي نفهم معنى هذه العبارة الرياضية سنذكر المثال التالي : إذا ألقينا حجراً من قمة برج عال فإنه يمكننا تعيين ارتفاع هذا الحجر عن سطح الأرض عند أى لحظة أثناء سقوطه ، وذلك بتثبيت مقياس كبير بجوار البرج نستطيع بواسطته تعيين هذه الارتفاعات . والفروض طبعاً أن البرج والمقياس ليسا مصنوعين من الطاط أو أى مادة يحتمل أن يتغير شكلها أثناء التجربة . وفي الحقيقة أن ما نحتاج إليه لإجراء هذه التجربة — أى تعيين ارتفاعات الحجر أثناء سقوطه — لا يعدو المقياس المتناسك وساعة دقيقة فقط . فإذا توفر لدينا ذلك أمكننا تجاهل شكل البرج ، بل وحتى مجرد وجوده . وعند إجراء هذه التجربة لا نذكر عادة وجود المقياس والساعة حيث أن وجودهما مفروض بالبديهية ولا بد منه لتحقيق قانون جاليليو للأجسام الساقطة . وبفضل هذا الجهاز البسيط — أى المقياس والساعة — يمكننا تحقيق هذا القانون الميكانيكي لدرجة معينة من الدقة . وسنرى أن هناك فرقاً بين النتائج المستنتجة نظرياً من القانون الميكانيكي وبين النتائج العملية الناتجة من استخدام المقياس والساعة وذلك بسبب دوران الأرض . ويمكننا التعبير عن ذلك رياضياً أيضاً بقولنا : إن قوانين الميكانيكا ، على الصورة التي سبق ذكرها ، لا تتحقق تماماً في المحاور الاحداثية المثبتة في سطح الأرض .

ومن الطبيعي أنه يلزمنا في جميع التجارب الميكانيكية على الإطلاق تعيين أماكن نقط مادية عند لحظات معينة ، كما حدث عند دراستنا للجسم الساقط من قمة البرج . ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا أن موضع الجسم الساقط في أية لحظة

يجب أن ينسب إلى شيء ما كالبرج أو القياس مثلاً ، إذ لابد من وجود إحدائيات تشير إليها كسقالة ميكانيكية حتى نستطيع تعيين أماكن الأجسام . وهذا ما يحدث عند تعيين أماكن الأفراد والياني في مدينة ما إذ تكون شبكة الطرق واليادين مجموعة احداثيات تشير إليها . وعند ما ذكرنا قوانين الميكانيكا فيما سبق لم نهم بتعيين الاحداثيات ، لأننا بسبب وجودنا على سطح الأرض لن نجد أية صعوبة في اختبار إحدائيات ما وثبيتها على سطح الأرض .

ولم نشر بشيء إلى الاحداثيات النبعة في جميع القوانين والفروض الطبيعية التي سبق ذكرها حتى الآن ، بل حتى تجاهلنا مجرد وجودها . فمثلاً عندما ذكرنا « يتحرك الجسم بانتظام » كان يجب علينا أن نكتب « يتحرك الجسم بانتظام بالنسبة إلى احداثيات معينة » . ولا غرو فقد علمتنا تجربة الحجرة السريعة الدوران أن نتائج التجارب الميكانيكية قد تتوقف على الاحداثيات المختارة .

وإذا فرضنا أن لدينا مجموعتين من الإحدائيات تدور كل منهما بالنسبة للأخرى فإن قوانين الميكانيكا لن تتحقق في كليهما معاً . فإذا أخذنا سطح الماء الساكن في حوض سباحة مثلاً أساساً لأحدائياتنا فإن سطح الماء في حوض سباحة آخر — يتحرك حركة دورانية سريعة بالنسبة للأول — لن يكون أفقياً في هذه الأحداثيات ، بل يتخذ الشكل الذي يأخذه سطح اللبن في كوب عند ما نحركه بواسطة ملعقة صغيرة .

وعند ما بدأنا صياغة قواعد الميكانيكا فإنا أن نذكر شيئاً مهماً ، ألا وهي الاحداثيات التي تتحقق فيها هذه القوانين . لنسرع بالمرور على هذه النقطة ولنقدم الفرض التقريبي بأن هذه القوانين تتحقق في كل الاحداثيات الثبته في سطح الأرض . وبذلك نتحدد جميع نتائجنا بالنسبة إلى أحداثيات معينة . هذا على الرغم من أن سطح الأرض لا يصلح تماماً لكي نتخذها كأساس لمجموعة احداثيات .

لنفرض إذن أن لدينا مجموعة من الأحداثيات تتحقق فيها قوانين الميكانيكا ، ولنتساءل الآن عما إذا كانت هذه المجموعة هي الوحيدة ؟ لنحاول اتباع أحداثيات

أخرى كقطار أو سفينة أو طائرة مثلا متحركة بالنسبة للأرض ولنبحث الآن فيما إذا كانت قوانين الميكانيكا ستظل نافذة بشكلها المألوف في هذه الأحداثيات الجديدة . وتدلنا أمثلة القطار المتحرك في مسار منحني أو السفينة المدفوعة بعامفة أو الطائرة التي تدور حول نفسها على أن قوانين الميكانيكا هذه لن تكون صحيحة على الإطلاق . لنبدأ الآن بدراسة تجربة بسيطة تعتبر فيها مجموعة أحداثية معينة متحركة بسرعة منتظمة بالنسبة لأحداثياتنا المفروضة ، أى التي تتحقق فيها قوانين الميكانيكا ؛ أى كقطار أو سفينة تتحرك بسرعة ثابتة في خط مستقيم . تدلنا المشاهدات العملية في مثل هذه الأحوال على أن التجارب التي نقوم بها في القطار أو السفينة ستعطينا نفس النتائج التي نحصل عليها لو أجرينا هذه التجارب على سطح الأرض . ولكن إذا وقف القطار على حين غرة أو ازدادت سرعته فجأة أو إذا اشتد هياج البحر فإننا نشاهد حدوث ظواهر غريبة . فنشاهد سقوط الحقائق والأمتعة في القطار ، ويختل توازن الموائد والمقاعد وتتناثر هنا وهناك فوق السفينة ويشعر المسافرون بدوار البحر . وبدلنا ذلك كله من الناحية الطبيعية العلمية بأن قوانين الميكانيكا لا يمكن أن تتحقق أو تطبق على مثل هذه الأحداثيات ، أى أن هذه الأحداثيات تعتبر غير ملائمة .

ويمكننا التعبير عن هذه النتيجة بنظرية جاليليو النسبية : إذا كانت قوانين الميكانيكا صحيحة في أحداثيات معينة ، فإنها ستظل متحققة في أية أحداثيات أخرى متحركة بسرعة منتظمة بالنسبة للأولى . فإذا كان لدينا مجموعتان من الأحداثيات تتحركان بغير انتظام بالنسبة لبعضهما فإن قوانين الميكانيكا لا يمكن أن تتحقق في كليهما . وتسمى الأحداثيات التي تتحقق فيها قوانين الميكانيكا بأحداثيات القصور الذاتي .

لنعتبر الآن مجموعتين احداثيتين في نقطة معينة ، لنفرض أن إحداها بدأت تتحرك بسرعة منتظمة بالنسبة للأخرى ، كقطار أو سفينة تتحرك بالنسبة إلى سطح الأرض مثلا . سنجد أننا نستطيع تحقيق قوانين الميكانيكا لنفس الدرجة من الدقة في كل من الأرض والقطار أو السفينة المتحركين بانتظام . ولكن إذا وقع

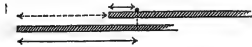
حدث ما ، وحاول مشاهدان كل منهما في مجموعة أحداثية مختلفة ، تسجيل نتائجهما فإن المسألة تصبح أكثر تعقيداً . فلنفرض الآن أننا حاولنا دراسة حركة نقطة مادية من مجموعتين أحداثيتين مختلفتين كالأرض وقطار متحرك بسرعة منتظمة مثلاً . نظراً إلى أن هاتين المجموعتين هما من نوع أحداثيات القصور الذاتي ، فإنه يكفي أن نعلم النتائج التي سجلها أحد المشاهدين والسرعة النسبية ، وأما كن المجموعتين عند لحظة معينة لكي نستطيع أن نوجد النتائج التي سيجدها المشاهد الآخر . إذ أنه من المهم جداً لوصف الأحداث أن نعرف كيف ننتقل من مجموعة أحداثية إلى أخرى ، حيث أنهما متكافئتان ومناسبتان لوصف أحداث الطبيعة ، وبذلك نستطيع معرفة النتائج التي يحصل عليها مشاهد في إحدى المجموعتين من تلك التي يجدها آخر في المجموعة الثانية .

لندرس الآن المسألة من الناحية المجردة دون ذكر سفينة أو قطار أو غيره ، ولنعتبر الحركة في خطوط مستقيمة . سنفرض أن لدينا مقياساً متأسكاً وساعة دقيقة . وفي حالة الحركة في خط مستقيم سيكون المقياس هو مجموعتنا الأحداثية ، كما كان مقياس البرج في تجربة جاليليو . ومن الأسهل دائماً أن نعتبر مجموعتنا الأحداثية في حالة الحركة في خط مستقيم كقضبان مقياس متأسكة ، وفي حالة الحركة في الفراغ ، كسفالة متأسكة مصنوعة من قضبان رأسية وأفقية .

لنفرض أن لدينا مجموعتين من الأحداثيات ، أى مقياسين متأسكين ولثملهما بخططين مستقيمين أحدهما فوق الآخر ، ولنطلق عليهما الأحداثيات العليا والسفلى ولنفرض أيضاً أن هاتين المجموعتين تتحركان بسرعة نسبية معينة كل بالنسبة للآخر أو بعبارة أخرى أن أحد المستقيمين ينزلق فوق الآخر . ولعله من الأنسب أن نفرض أن هذين المقياسين لهما طولان لانهاثيان ، وأنه ليس لدينا سوى ساعة واحدة ، حيث أن الزمن يسير بمعدل واحد في كلا المجموعتين . ولنفرض أنه عند بدء التجربة كانت نقطتا ابتداء المقياسين منطبقتين ، أى أنه عند هذه اللحظة كانت لهما نفس أرقام التدرج ولكن هذه الأرقام ستختلف عند الحركة بالطبع . لنفرض الآن أن هناك نقطة مادية مثبتة في المقياس العلوى وإذاً فسيكون الرقم المحدد

لموضعها على المقياس العلوى ثابتاً لا يتغير بمرور الزمن في حين أن الرقم المعين لموضعها على المقياس السفلى سيتغير باستمرار . دعنا نستبدل العبارة « الرقم المعين لموضع النقطة على المقياس » باللفظ الرادف « أحداثها » .

ح ب



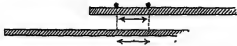
وكما هو مبين في الشكل يمكننا القول بأن أحداثاى الجسم المادى في المجموعة الأحداثية السفلى (أى الطول ا ح) يساوى أحداثاى الجسم في المجموعة العليا (أى ب ح) مضافا إليه أحداثاى نقطة الابتداء ، (أى ا ب) . أى أننا يمكننا دائما تقدير موضع جسم في مجموعة أحداثيات معينة إذا عرفنا موضعه في مجموعة أخرى . ولهذا السبب يجب علينا أن نعرف الأوضاع النسبية للمجموعتين الأحداثيتين في كل لحظة . ولیمدنا القارئ لهذا الإسهاب في هذه النقطة البسيطة ولذلك لغائده في سبيل بعد ذلك . ويجدر بنا أن نلاحظ الفرق بين تعيين مكان نقطة ما ووقت وقوع حدث معين ، إذ أن لكل شاهد مقياسة الخاص به (أى مجموعته الأحداثية) في حين أن ليست هناك سوى ساعة توقيت واحدة ، أى أن الزمن يبدو كشيء مطلق واحد بالنسبة لجميع المشاهدين في المجموعات المختلفة .



وسنذكر الآن مثالا آخر : يتجول رجل على سطح سفينة كبيرة بمعدل ثلاثة أميال في الساعة ، أى أن هذه هي سرعته النسبية بالنسبة إلى السفينة ، أو بمباراة أخرى بالنسبة إلى أحداثيات مثبتة في السفينة فإذا كانت سرعة السفينة ثلاثين ميلا في الساعة بالنسبة إلى الشاطئ وإذا كان اتجاه سرعة السفينة وحركة الرجل المتضمتين في نفس الاتجاه فإن سرعة الرجل تكون ثلاثة وثلاثين ميلا في الساعة بالنسبة إلى مشاهد قابع بالشاطئ أو ثلاثة أميال بالنسبة إلى شاهد جالس على ظهر السفينة . أى أننا يمكننا التعبير عن هذه الظاهرة بشكل عام كما يلي « تكون سرعة

نقطة مادية بالنسبة للأحداثيات السفلى مساوية لسرعتها بالنسبة للأحداثيات العليا مضافاً إليها أو مطروحاً منها سرعة الأحداثيات العليا على حسب ما إذا كانت السرعتان في اتجاه واحد أو اتجاهين مختلفين » وإذن فليست الأوضاع فقط بل وكذلك السرعة هي التي يمكننا دائماً تحويل قيمها من أحداثيات معينة إلى أخرى إذا علمنا سرعة المجموعتين الإحداثيتين النسبية . أى أن الأماكن والسرع هي أمثلة للكليات التي تختلف قيمها باختلاف الأحداثيات وترتبط ببعضها بواسطة قوانين تحويل .

ومع ذلك فهناك كليات لا تتغير قيمها في كلا المجموعتين الإحداثيتين وإذن فلا تحتاج إلى قوانين تحويل . لنعتبر مثلاً نقطتين مثبتتين على المقياس العلوى ولنقسم المسافة بينهما . ستكون هذه المسافة هي الفرق بين إحداثي النقطتين اللتين تنحصر بينهما . وإذا أردنا تعيين أماكن هاتين النقطتين بالنسبة لإحداثيات أخرى فأننا سنحتاج إلى استخدام قوانين تحويل . ولكن حينئذ نهتم بالفرق بين موضعي النقطتين فإن تأثير الإحداثيات المختلفة يتلاشى كما هو موضح في الرسم . وإذن فالسافة بين نقطتين هي « كمية لامتغيرة » أى أنها لا تتوقف على طريقة اختبار الأحداثيات .



والثال الثاني للكمية التي لا تتوقف على الأحداثيات هو التغير في السرعة . وهي كمية مألوفة في الميكانيكا . سنفرض مرة أخرى أن لدينا مشاهدين يلاحظان حركة نقطة مادية في خط مستقيم . سيكون التغير في سرعة هذه النقطة بالنسبة لسلك مشاهد في مجموعته ، هو فرق بين سرعتين وبذلك سيفتني كل أثر للسرعة النسبية المنتظمة للمجموعتين ، عند حساب هذا الفرق . وإذن ينتج أن التغير في السرعة هو كمية « لامتغيرة » على أساس الفرض بأن الحركة النسبية للمجموعتين منتظمة . أما في الحالة التي تكون فيها السرعة النسبية متغيرة فإن التغير في السرعة

سيختلف في كلا من المجموعتين بسبب اختلاف السرعة النسبية بين المقياسين المثلين للمجموعتين الاحداثيتين .

وهاك المثال الأخير : لنفرض أن لدينا نقطتين ماديتين بينهما قوة تتوقف فقط على المسافة بينهما . ففي حالة السرعة النسبة المنتظمة . ستظل المسافة بين النقطتين وكذلك القوة ثابتة ، وحيث أن قانون نيوتن يربط بين القوة والتغير في السرعة ، فإننا نستنتج أن هذا القانون سيتحقق في كلا المجموعتين . أى أننا قد توصلنا مرة أخرى إلى النتيجة التي حققها المشاهدات اليومية وهي : إذا تحققت قوانين الميكانيكا في مجموعة احداثية فإنها تستمر كذلك في جميع الاحداثيات المتحركة بسرعة منتظمة بالنسبة للمجموعة الأولى .

وقد استخدمنا في أمثالتنا السابقة الحركة في خط مستقيم حيث يمكننا تمثيل المجموعات الاحداثية بمقاييس متساكة ، ولكن النتائج التي حصلنا عليها صحيحة وعامة ويمكننا تلخيصها فيما يلي :

١ — ليست لدينا أية وسائل لايجاد مجموعات احداثية قاصرة فاننا نستطيع تكوين عدد لا نهائي منها ، حيث أن كل المجموعات الإحداثية التي تتحرك بانتظام بالنسبة لبعضها تصبح احداثيات قاصرة ، إذا كانت إحداها كذلك .

٢ — زمن وقوع حدث ما ثابت في جميع المجموعات الاحداثية ، ولكن الاحداثيات والسرع تختلف على حسب قوانين التحويل بين الاحداثيات .

٣ — على الرغم من اختلاف السرع والإحداثيات عند تحويلها من مجموعة إلى أخرى ، فإن القوة والتغير في السرع وبالتالي قوانين الميكانيكا تظل ثابتة بالنسبة إلى قوانين التحويل .

وسنطلق على قوانين التحويل الخاصة بالاحداثيات والسرع في الميكانيكا الكلاسيكية : قوانين التحويل الكلاسيكية أو باختصار «التحويل الكلاسيكي» .

الاثير والحركة :

تعتبر نظرية جاليليو التسمية صحيحة بالنسبة للظواهر الميكانيكية ، أى أن قوانين الميكانيكا تتحقق فى جميع المجموعات الإحداثية القاصرة المتحركة بالنسبة لبعضها . ولعلنا تسامع عما إذا كان من الممكن تعميم تلك النظرية لى تشمل أيضا الظواهر غير الميكانيكية ولا سيما تلك التى يلعب فيها المجال دورا كبيرا . وسيؤدى بنا البحث لإجابة هذا السؤال إلى مبادئ النظرية النسبية .

فن المعلوم مثلا أن سرعة الضوء فى الفراغ أو بعبارة أخرى فى الأثير تبلغ ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية وأن الضوء هو عبارة عن مجموعة من الموجات الكهرمغناطيسية تنتشر خلال الأثير . ونعلم كذلك أن المجال الكهرمغناطيسى مصحوب دائما بقدر معين من الطاقة يمكننا إدراكها بمجرد اشعاعها .

وعلى الرغم من أننا نعلم حق العلم المصاعب العديدة التى تكتنف كنه التركيب الميكانيكى للأثير فإننا سنستمر مؤقتا فى الاعتقاد بأن الأثير هو وسط تنتشر فيه الأمواج الكهرمغناطيسية .

لنفرض الآن أننا جلوس فى حجرة زجاجية مغلقة معزولة عن العلم الخارجى فلا يمكن للهواء أن يتسرب منها أو إليها ، ثم أخذنا فى تبادل الأحاديث ، أى أننا أخذنا فى توليد وإرسال أموجاً صوتية تنتشر من مصادرها (أفواهنا) بسرعة الصوت فى الهواء . فإذا لم يوجد الهواء بين الفم المتحدث والأذن المنصتة ، فإننا لن نسمع أبداً أى صوت . وقد أثبتت التجارب العملية أن سرعة الصوت ثابتة فى جميع الاتجاهات إذا كان الهواء ساكنا فى المجموعة الاحداثية التى اخترناها .

لنفرض أن الحجرة أخذت الآن فى التحرك بسرعة منتظمة خلال الفضاء وأن هناك شاهدا خارج الغرفة يرى من خلال جدرانها الزجاجية كل ما يحدث داخلها ، وأن هذا المشاهد سيجاول قياس سرعة الصوت الصادر فى الغرفة المتحركة بالنسبة إلى احداثيات مثبتة فى مكان وجوده . أى أننا سنعود مرة أخرى إلى

الكلام عن كيفية تعيين السرعة في أحداثيات معينة إذا كانت معروفة في مجموعة أخرى . سيدعى الشاهد الداخلي (أى داخل الغرفة) أن سرعة الصوت بالنسبة إليه ثابتة في جميع الاتجاهات في حين أن الشاهد الخارجي سيقدر أن سرعة الصوت الصادر في الحجر المتحركة ، والتي قيس في مجموعته الاحداثية ، ليست ثابتة في كل الاتجاهات ، إذ أن قيمتها ستزد عن القيمة القياسية لسرعة الصوت في اتجاه حركة الغرفة وستقل في الاتجاه المضاد .

ومن السهل الوصول إلى هذه النتائج بواسطة التحويلات الكلاسيكية (يمكننا تحقيقها أيضاً بالتجربة) . إذ أن الحجر تحمل معها الوسط المادى . أى الهواء - الذى تنتشر فيه أمواج الصوت وإذن ستختلف سرعة الصوت بالنسبة للمشاهدين الداخلي والخارجي .

ويمكننا استخلاص نتائج أخرى من نظرية الصوت باعتباره كموجات تنتشر خلال وسط مادى . فمثلاً يمكننا إيجاد طريقة - ليست الوحيدة دون شك - للهرب من سماع كلام لانود سماعه ، وذلك بأن نبتعد عن التكلم بسرعة أكبر من سرعة الصوت بالنسبة للهواء المحيط به . وبذا لن تتمكن موجات الصوت غير المرغوب فيها من اللحاق بنا . وكذلك إذا سعى علينا التنبه لكلمة سبق أن قيلت من اللحاق معرفتها ، علينا أن نجري بسرعة أكبر من سرعة الصوت كي تتمكن من اللحاق بالموجات التى تكون الكلمة المراد سماعها . وليس في هذين المثالين ما يعصب تصديقه سوى أن علينا أن نجري بسرعة تبلغ أربعاً ياردة في الثانية ، ولا شك أن التطور الصناعى الحديث سيجعل تحقيق ذلك في حيز الإسكان . وتطلق الرصاصة من فوهة نندقية بسرعة أكبر من سرعة الصوت ، فإذا تحرك شخص ما مع هذه الرصاصة بسرعة فإنه لن يسمع صوت انطلاقها من النندقية على الإطلاق .

وتتميز جميع هذه الأمثلة بطابع ميكانيكى بحت ، ولذا فقد يخطر ببالنا أن نضع الآن هذه الأسئلة المهمة أ يمكننا إجراء تجارب مشابهة لتلك التى قنا بها في حالة الأمواج الصوتية مع أمواج الضوء ؟ وهل تنطبق نظرية جاليليو النسبية والتحويل الكلاسيكى على الظواهر الضوئية والكهربائية ؟ ولعل من الخطأ أن

نجيب على هذه الأسئلة ببساطة بقولنا « نعم » أو « لا » قبل أن تفهم هذه المسائل حق الفهم .

في حالة الموجات الصوتية الصادرة داخل الحجرة المتحركة بانتظام ، نبينا بتأرجحنا على الاعتبارات الآتية :

تحمل الحجرة معها ما بداخلها من الهواء الذي تنتشر فيه أمواج الصوت . ترتبط السرعتان المشاهدتان في مجموعتين إحدائيتين - تتحرك كل منهما بسرعة منتظمة بالنسبة للأخرى - بقوانين التحويل الكلاسيكية .

فإذا اعتبرنا الآن الأمواج الضوئية بدلاً من الأمواج الصوتية فإن الحالة تتغير إذ أن الشخصين لن يتكلموا بل سيتراسلا بواسطة الأشارات أو الموجات الضوئية المنتشرة في جميع الاتجاهات . فلنفرض إذن أن مصادر الضوء مثبتة في الحجرة باستمرار وأن الموجات الضوئية تنتقل في الأثير كما تنتقل أمواج الصوت في الهواء .

ولكن هل يتحرك الأثير مع الحجرة كما فعل الهواء ؟ وبما أنه ليس لدينا صورة ميكانيكية عن الأثير فإنه من الصعب جداً الإجابة على مثل هذا السؤال . إذا كانت الغرفة منقلة فإن ما بداخلها من الهواء سيتحرك معها . ومن الواضح أنه ليس هناك أى معنى لمعاملة الأثير بالمثل ، حيث أن الأثير يخترق جميع الأجسام المادية ، فليست هناك حواجز تقف دونه . وفي هذه الحالة مستمثل الحجرة المتحركة مجموعة أحداثيات متحركة مثبت بها مصدر ضوئي . ومع ذلك فليس هناك ما يمنعنا من أن نتصور أن الحجرة المتحركة والحاملة لمصدر الضوء ، تحمل أيضاً معها الأثير ، تماماً كما كانت الحجرة المنقلة تحمل معها مصدر الصوت والهواء . ولكن يمكننا أيضاً تصور العكس ؛ أى أن الحجرة تتحرك خلال الأثير تماماً كما تتحرك سفينة خلال بحر عديم المقاومة للحركة ، فلا تحمل معها أى جزء من الوسط بل تتحرك خلاله فقط . ففي الحالة الأولى تحمل الحجرة الأثير مع مصدر الضوء وبذا تصبح الحالة مشابهة تماماً للحالة الصوتية وبذلك سنحصل على نتائج مشابهة . أما في الحالة الثانية فإن الغرفة المتحركة الحاملة لمصدر الضوء لن تحمل معها الأثير وبذلك

ستنعدم المشابهة مع الحالة الصوتية ولا يمكننا إذن تطبيق نتائج الحالة الصوتية على حالة الأمواج الضوئية . وهاتان الحالتان هما الاحتمالان النهائيان . وطبيعى أنه يمكننا الاسترسال فى الخيال فنفرض وجود الحالة الصلبة التى فيها تغطى الحجرة الحاملة للمصدر حركة جزئية للأثير . ولكن ليس هناك ما يجعلنا ندرس هذه الحالات المعقدة قبل أن نبحث فيما إذا كانت التجارب العملية تؤيد إحدى الحالتين النهائيتين البسيطتين .

وسنبداً الآن بدراسة إحدى هاتين الحالتين فنفرض أن الغرفة المتحركة تحمل معها الأثير وأن مصدر الضوء مثبت داخلها . فإذا كانت قاعدة التحويل سرعات الموجات الصوتية صحيحة فإننا يمكننا معاملة الموجات الضوئية بالمثل . وليس هناك ما يدعو إلى الشك فى صحة قوانين التحويل التى تنص على أن السرعة تضاف إلى بعضها فى حالات وتطرح من بعضها فى أخرى . فنفرض إذن أن الأثير يتحرك مع الحجرة وأن قوانين التحويل صحيحة . فإذا ضغطنا الآن مثلاً زر كهربائى لإضاءة مصدر الضوء الموجود بالحجرة . فإن موجات الضوء ستتحرك بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميلاً فى الثانية . وبما أن المشاهد الخارجى سيلاحظ حركة الحجرة ، وبالتالي كذلك حركة المصدر ، للثبت فيها والأثير - الذى يحمل موجات الضوء - والذى تدفعه الحجرة على الحركة معها ، فإن استنتاجاته ستكون بأن سرعة الضوء - مقاسة فى أية مجموعة أحداثية خارجية - ستختلف باختلاف اتجاه الحركة . وستكون قيمة السرعة أكبر من القيمة القياسية إذا قيس فى اتجاه الحركة وأقل منها إذا قيس فى الاتجاه المضاد . أى أننا فى حالة الحجرة المتحركة والثبت بها مصدر الضوء والذى تحمل معها الأثير قد توصلنا إلى النتيجة الآتية : تتوقف سرعة الضوء على سرعة المصدر نفسه ، إذا فرضنا صحة قوانين التحويل . أى أن سرعة الضوء الذى يصلنا من مصدر متحرك تكون أكبر من السرعة القياسية إذا كانت حركة المصدر فى اتجاهنا وأقل منها إذا كانت فى الاتجاه البتدنا .

إذا أمكن لسرعتنا أن تزيد عن سرعة الضوء فإنه يصبح فى إمكاننا الهروب من إشارة ضوئية مقتربة منا . ويمكننا كذلك رؤية أحداث ماضية عند لحاقنا

بالأمواج الضوئية التي سبق إرسالها من قبل . وسنرى هذه الحوادث بترتيب عكسي لنظام حدوثها إذ أننا سنلحق أولاً بالموجات المرسله حديثاً ثم المرسله قبلها وهكذا . وستظهر أمامنا سلسلة الحوادث التي وقعت على سطح الأرض كصور فلم سينأى بدءه في عرضه من نهايته إلى أوله . وتنتج جميع هذه النتائج من الفرض بأن مجموعة الاحداثيات المتحركة تحمل معها التأثير وبأن قوانين التحويل الميكانيكية تتحقق دائماً ؛ أى أن التشابه بين الضوء والصوت يكون تاماً في هذه الحالة .

ولكن ليس هناك ما يؤيد صحة هذه الاستنتاجات ، بل إن جميع التجارب التي أجريت بقصد تحقيقها قد أنت بنتائج عكسية على خط مستقيم وبشكل لا يمحتمل . الشك . هذا على الرغم من كون هذه التجارب غير مباشرة بسبب الصعوبات الفنية الجمة الناتجة من كبر قيمة سرعة الضوء . أى أن نتائج هذه التجارب كلها هي : « لسرعة الضوء نفس القيمة في جميع الاحداثيات ، غير متوقفة البتة على حركة مصدر الضوء وكيفيةها » .

ولن ندخل هنا في وصف تفصيلي للتجارب العديدة التي تمكنتنا من الوصول إلى هذه النتيجة ، ولكن يمكننا ذكر بعض الاعتبارات التي وإن لم تثبت أن سرعة الضوء لا تتوقف على سرعة المصدر فإنها تجعل هذه الحقيقة مستساغة ومقنعة . تتحرك الكرة الأرضية وزميلاتها من سيارات المجموعة الشمسية في حركة دورانية حول الشمس . ولم تعرف حتى الآن أية مجموعة فلكية شبيهة بالمجموعة الشمسية ، ولكن يوجد عدد كبير مما يسمى بالنجوم المزدوجة . والنجم المزدوج هو عبارة عن نجمين يتحركان حول نقطة تسمى بمركز ثقلهما . وقد أثبتت مشاهدات حركة هذه النجوم المزدوجة صحة قانون نيوتن للجاذبية . دعنا نفرض الآن أن سرعة الضوء تتوقف على سرعة مصدره ، فيستنتج من ذلك أن الإشارة أو الشعاع الضوئي القادم من النجم سيتحرك بسرعة أو يبطء حسب قيمة سرعة النجم عند لحظة إرسال الشعاع . وفي هذه الحالة تصبح الحركة (كما نشاهدها) مضطربة ، ويصبح من المستحيل في حالة النجوم المزدوجة تحقيق قانون الجاذبية التي تسير بمقتضاه مجموعتنا الشمسية .

ولنتبر تجربة أخرى مبنية على فكرة بسيطة . لتتصور عجلة تدور بسرعة كبيرة ، فطبقا لافتراضنا سيتحرك الأثير مع العجلة المتحركة . فإذا مررت الآن موجة ضوئية قريبا من العجلة الدائرة فإن سرعتها ستتوقف على ما إذا كانت العجلة ساكنة أو متحركة ، حيث أن سرعة الضوء في الأثير الساكن تختلف عن قيمتها في الأثير الذي تدفعه العجلة على الدوران معها ، تماما كما تختلف سرعة الصوت عندما يكون الهواء ساكنا عن قيمتها عند ماتب رياح عاصفة . ولكننا لم نتمكن علما من ملاحظة أى فرق في سرعة الضوء مهما أعدنا من تجارب دقيقة وكانت النتيجة باستمرار ضد الفرض بحركة الأثير . ويمكننا الآن ذكر النتائج التالية التى تؤيدها جميع الاعتبارات والأدلة العلمية .

لا تتوقف سرعة الضوء على حركة مصدر الضوء .

لا يصح لنا أن نفرض أن الأجسام المتحركة تحمل الأثير المحيط بها .

وإذن يجب علينا أن نبذ جانباً فكرة التشابه بين أمواج الصوت وأمواج الضوء ، وأن نبداً بدراسة الاحتمال الثانى الذى ينص على أن المادة تتحرك خلال الأثير الذى لا يتأثر بتأثراً بحركة الأجسام . أى أننا سنفرض وجود بحر من الأثير يحوى كل الاحداثيات سواء أكانت ساكنة أم متحركة بالنسبة إليه . ولنهمل الآن مؤقتاً السؤال عما إذا كانت التجارب العملية قد أثبتت صحة هذا الفرض أو عدم صحته ، إذ أنه من الأفضل أن نفهم معنى هذا الفرض الجديد والنتائج التى يمكننا استخلاصها منه .

وهناك مجموعة احداثية ساكنة بالنسبة إلى هذا البحر الأثيرى . ولا يمكننا — فى الميكانيكا — التفرقة بين مجموعة وأخرى من بين المجموعات الإحداثية التى تتحرك بانتظام بالنسبة لبعضها ، وإذن تعتبر جميع هذه المجموعات متشابهة فى كل شيء . وإذا كان لدينا مجموعتان احداثيتان متحركتان بالنسبة لبعضهما بسرعة منتظمة فإنه ليس هناك معنى فى الميكانيكا للتساؤل عن أيهما المتحرك وأيهما الساكن حيث أن السرعة النسبية هى التى يمكننا مشاهدتها فقط . ولن نستطيع التحدث عن الحركة المنتظمة المطلقة بسبب قاعدة جاليليو النسبية . ما هو معنى القول بأن

للحركة المطلقة - فضلا عن الحركة النسبية - وجود ملموس ؟ الجواب ببساطة هو أن هناك مجموعة احداثية تكون فيها القوانين الطبيعية مختلفة عن مثيلاتها في المجموعات الاحداثية الأخرى ، وتعني كذلك أن المشاهد يستطيع أدراك ما إذا كانت مجموعته الاحداثية متحركة أم لا بمقارنة القوانين المتحققة في مجموعته بمثيلاتها في مجموعة الاحداثيات الوحيدة التي يمكننا اتخاذها كمجموعة قياسية . وتعتبر هذه الاعتبارات غير مألوفة في الميكانيكا الكلاسيكية حيث ليس هناك أى معنى للكلام عن الحركة المنتظمة المطلقة بمقتضى قانون جاليليو للقصور الذاتى .

« ماهى الاستنتاجات التي يمكننا الحصول عليها من ظواهر الجبال ، إذا فرضنا الحركة في الأثير ؟ وهذا يعنى أن هناك مجموعة احداثية واحدة مميزة وثابتة بالنسبة للبحر الأثيرى . ومن الطبيعى أنه يجب أن تأخذ بعض قوانين الطبيعة صوراً مختلفة في هذه المجموعة وإلا فلا معنى للعبارة « الحركة خلال الأثير » وإذا كانت قاعدة جاليليو النسبية صحيحة فلن يكون هناك معنى للحركة خلال الأثير ؛ إذ أن التوفيق مستحيل بين الفكرتين . فإذا وجدت مجموعة احداثية خاصة مثبتة في الأثير فإنه يحق لنا الكلام عن الحركة أو السكون المطلقين .

وفي الحقيقة أنه ليس من حقنا أن نختار ، فقد حاولنا جاهدين إنقاذ قاعدة جاليليو النسبية بفرض أن المجموعات الأحداثية تحمل الأثير معها في حركتها ، ولكن ذلك أدى إلى التعارض مع التجارب العملية ، فلم يصبح أماننا إذن سوى أن ننبذ قاعدة جاليليو النسبية ونعتبر الفرض القائل بأن جميع الأجسام تتحرك خلال البحر الأثيرى الساكن .

وسندرس الآن بعض الاستنتاجات المعارضة لقاعدة جاليليو النسبية والتي تؤيد فكرة الحركة خلال الأثير ، وستخيل الآن بعض تجارب تجريها على هذه الاستنتاجات ، بغض النظر عن الصعوبات العملية التي تحول دون تحقيق هذه التجارب ، حيث أن ما يعيننا الآن هى النظريات وليست الصعوبات العملية .

سنعود الآن مرة ثانية إلى حجرتنا السريعة الدوران وإلى المشاهدين الخارجى والداخلى . من الطبيعى أن يتخذ المشاهد الخارجى البحر الأثيرى كمجموعة

أحداثياته ، وهى المجموعة المميزة التى تبلغ فيها سرعة الضوء قيمتها القياسية .
وسترسل جميع المصادر الضوئية — الساكنة والمتحركة فى البحر الأثيرى —
الضوء منتشراً بنفس السرعة القياسية . لنفرض أن الحجرة وبها المشاهد الداخلى
تتحرك خلال الأثير وبأن جدرانها شفافة بحيث تمكن المشاهدين الخارجى
والداخلى من قياس سرعة الضوء عند توليد إشارة ضوئية وسط الحجرة . فإذا
سألنا كلا المشاهدين عن نتائج قياسهما لاقتربت إجابتهما مما يلى :

المشاهد الخارجى : حيث أن مجموعة أحداثياتى مثبتة فى البحر الأثيرى فإن
الضوء سيكون له نفس السرعة القياسية ، ولن يعينى ما إذا كان مصدر الضوء
متحركاً أم لا ، حيث أن الأثير ثابت لا يتحرك . إن أحداثياتى مميزة عن جميع
الأحداثيات الأخرى ويجب أن يكون لسرعة الضوء فيها القيمة القياسية بنفس
النظر عن اتجاه الأشعة أو حركة المصدر .

المشاهد الداخلى : تتحرك حجرتى خلال البحر الأثيرى ولذلك فإن أحد
جدران حجرتى سيبعد عن الضوء الشع فى حين يقترب منه الجدار المقابل . فإذا
كانت حجرتى متحركة فى الأثير بسرعة الضوء نفسه فإن الإشارة الضوئية
الصادرة من مركز الحجرة لن تصل أبداً إلى الجدار اللتبعد بسرعة الضوء عن
الإشارات الضوئية المنبعثة . أما إذا تحركت الحجرة بسرعة أقل من سرعة الضوء
فإن موجة صادرة من وسط الحجرة ستصل إلى أحد جوانبها قبل الأخرى ، إذ
أن الضوء سيمصل إلى الجانب المقرب منه قبل أن يلحق بالجانب المتراجع أمامه
من الناحية الأخرى . وإذن على الرغم من أن مصدر الضوء مثبت فى مجموعة
أحداثياتى فإن سرعة الضوء لن تكون لها نفس القيمة فى جميع الاتجاهات أى
أنها ستكون أصغر . قيمة فى اتجاه حركة الحجرة بالنسبة إلى البحر الأثيرى لأن
الجدار فى هذه الحالة سيكون مبتعداً عن الضوء المنبعث ، وستكون قيمتها أكبر
فى الاتجاه المضاد لأن الجدار سيقرب من موجات الضوء متلهفاً على لقاءها .

ومن ذلك نستنتج أن سرعة الضوء سيكون لها نفس القيمة فى جميع
الاتجاهات فقط فى حالة المجموعة الأحداثية المميزة والمثبتة فى البحر الأثيرى ، أما

في باقى المجموعات المتحركة بالنسبة إلى البحر الأثيرى فإن السرعة ستوقف على الاتجاه الذى تقاس فيه السرعة .

وأجراء مثل هذه التجربة السابقة يمكننا من اختبار صحة نظرية الحركة خلال الأثير .

وقد سهلت علينا الطبيعة الأمر بأن وضعت تحت تصرفنا مجموعة متحركة بسرعة مرتفعة جداً ، ونعنى بذلك الكرة الأرضية فى حركتها السنوية حول الشمس . فإذا كانت نظريتنا صحيحة وجب أن تكون سرعة الضوء فى اتجاه حركة الأرض مختلفة عنها فى الوضع العكسى . وفى إمكاننا تقدير هذا الفرق فى السرعة وإعداد تجارب عملية لتقدير قيمته . ومن الطبيعى أن مثل هذه التجارب يجب أن تكون غاية فى الدقة بسبب صغر الفترات الزمنية التى يجب علينا قياسها . وقد توافرت شروط الدقة فى تجربة ميكلسون ومورلى التى وضعت لقياس الاختلاف فى سرعة الضوء بالنسبة لحركة الأرض فى مدارها . وقد كانت نتيجة هذه التجربة قاضية على نظرية البحر الأثيرى الساكن الذى تتحرك خلاله الأجسام ، إذ لم يظهر وجود أية علاقة بين سرعة الضوء واتجاه حركة المصدر . وليست سرعة الضوء هى الكمية الوحيدة التى يجب أن تتوقف على حركة المجموعة الأحداثية ، على أساس نظرية البحر الأثيرى الساكن ، بل هناك كميات مجالية أخرى . وقد باءت بالفشل جميع التجارب التى أجريت بقصد إدراك وجود أى فرق فى سرعة الضوء ولم تصب أى نجاح على الإطلاق فى إظهار ما يثبت وجود أى تأثير لحركة الكرة الأرضية على الظواهر الطبيعية .

وقد أصبحنا الآن فى موقف حرج ! فقد حاولنا وضع فرضين ، ينص الأول على أن الجسم المتحرك يحمل الأثير معه ، ولكن عدم توقف سرعة الضوء على حركة مصدره يناقض هذا الفرض ؛ وكان الفرض الثانى يقول بوجود مجموعة أحداثية مميزة وبأن الأجسام المتحركة لاتحمل الأثير معها . بل تتحرك خلال بحر أثيرى ساكن ، وقد أدى هذا الفرض إلى عدم صحة قاعدة جاليليو النسبية وبأن

سرعة الضوء لا يمكن أن تكون لها نفس القيمة في كل المجموعات الأحادية .
ولكن هذا يتعارض أيضاً مع التجارب العملية .

وقد ظهرت بعد ذلك نظريات كثيرة بنيت على الاعتقاد بأن الحقيقة قد تكون
في فرض ينحصر بين الفرضين السابقين ، ويتلخص في أن الأثير يتحرك جزئياً
فقط مع الأحداثيات المتحركة . ولكن جميع هذه الفروض باءت بالفشل ! ولم
تنجح كل المحاولات التي بذلت لشرح الظواهر الكهرومغناطيسية في المجموعات
الأحادية سواء أكان ذلك بفرض حركة الأثير أو بكل الفرضين معاً .

وأدى ذلك كله إلى أن أصبح العلم في موقف يعتبر من أخرج المواقف التي
مرت عليه في تاريخه الطويل ، إذ أن جميع فروض الأثير لم تؤد إلى نتيجة ما !
وكانت أحكام التجارب العملية دائماً ضد جميع الافتراضات والتأويلات . وإذا
أمعنا النظر الآن فيما سبق بسطه من تطورات علم الطبيعة فإننا نرى أن الأثير
— عقب ولادته فوراً — قد أصبح مصدر تعب للعائلة الطبيعية . فقد أسبغ عليه
العلماء الوصف الميكانيكي أولاً ، ولكن سرعان ما نبذ . ثم رأينا بعد ذلك كيف
فقدنا الأمل في نجاح الفرض بوجود بحر أثيري ساكن وتميز مجموعة أحداثية
تمسكنا من تعريف الحركة المطلقة فضلاً عن الحركة النسبية المعروفة ، وقد كانت
هذه تكفي لتبرير فرض وجود الأثير (فضلاً عن وظيفته في حمل الأمواج) .
وهكذا فشلت جميع المحاولات لجعل الأثير حقيقة ، فلم نلص له أية خواص
ميكانيكية ولم نستطع اكتشاف أو تعريف الحركة المطلقة . ولم يبق لدينا من جميع
الصفات التي أضفيت على الأثير سوى تلك التي اخترع من أجلها ، ألا وهي قدرته
على حمل وإرسال الموجات الكهرومغناطيسية . ولعل المصاعب التي لا يقيهاها بسبب
الأثير تدفعنا إلى أن نطرده من غيبتنا ونحرم على أنفسنا حتى مجرد ذكره .
وسنقول بعد ذلك أن قضاء كوننا له الخاصية الطبيعية التي تمسكه من إرسال
الأمواج ، وبهذه الطريقة نتجنب أنفسنا استخدام الكلمة التي قررنا حذفها .
ومن الطبيعي أن حذف كلمة من قاموسنا ليس علاجاً ، فتابعنا في الحقيقة تبلغ
من الفداحة حداً لا تحله مثل هذه الطريقة .

ولنسجل الآن الحقائق التي أثبتت التجارب معها دون أن نحفل بعد ذلك بتأناً بمتاعب الأثير :

١ — تبلغ سرعة الضوء دائماً قيمتها القياسية ، ولا تتوقف على حركة مصدر الضوء أو جهاز استقباله .

٢ — تتحقق جميع القوانين الطبيعية في مجموعتين أحاديتين متحركتين بسرعة منتظمة بالنسبة لبعضهما ، ولا توجد هناك طريقة لتمييز الحركة المنتظمة المطلقة .

وهناك تجارب كثيرة لتأييد هاتين النتيجةين ولكن ليست هناك تجربة واحدة لنقضهما . وتعتبر النتيجة الأولى عن استمرار ثبوت سرعة الضوء ، وتعمم الثانية قاعدة جاليليو النسبية — التي وضعت لظواهر الميكانيكية — لكي تشمل جميع الظواهر الطبيعية .

وقد رأينا في الميكانيكا إذا كانت سرعة النقطة المادية تبلغ قدراً معيناً بالنسبة لمجموعة أحادية فإن قيمتها بالنسبة لمجموعة أخرى متحركة بسرعة منتظمة بالنسبة للأولى تصبح مختلفة . وهذا ناتج من قواعد التحويل الميكانيكية البسيطة . ومن السهل الاهتمام إلى هذه القواعد بالفطرة (حركة بحار بالنسبة إلى سفينة ثم بالنسبة إلى الشاطئ) . وقد يخيل إلينا أن هذا القانون ليس به أى خطأ ولكنه في الحقيقة يتعارض مع ثبوت سرعة الضوء . أى أننا إذا أضفنا النتيجة التالية :

٣ — يمكن تحويل الأوضاع والسرع من مجموعة أحادية إلى أخرى بواسطة قانون التحويل الكلاسيكي . فإن التناقض يصبح واضحاً ، إذ أننا لا يمكننا أن نجتمع بين النتائج (١) ، (٢) ، (٣) .

ووضوح التحويل الكلاسيكي وبساطته يستبعدان أى محاولة لتغييره ، حتى نستطيع القضاء على التناقض الموجود بين (١) ، (٢) من جهة أخرى .

وقد سبق أن رأينا كيف عارضت التجارب العملية أى تفسير في النتيجةين (١) ، (٢) ، حيث أن جميع النظريات المتعلقة بحركة الأثير تطلبت تغيير هذين

النتيجتين . وهكذا نلص مرة أخرى فداحة مصاعبنا وأتانا في حاجة ماسة إلى دليل يهديننا إلى الطريق القويم . ويبدو أن هذا الطريق هو أن نقبل الفرضين الأساسيين (١) ، (٢) ونبتد — على الرغم مما قد يبدو من غرابة ذلك — الفرض الثالث . ويبدأ هذا الطريق الجديد من تحليل المتقدات الأولية والأساسية ، وسنرى كيف يضطرنا هذا التحليل إلى تغيير آرائنا القديمة ويمكننا من التغلب على مصاعبنا .

الزمن والمادة والنسبة :

لنضع الآن الفرضين التاليين :

١ — لسرعة الضوء في الفراغ نفس القيمة في جميع المجموعات الإحداثية المتحركة بالنسبة لبعضها بسرعة منتظمة .

٢ — القوانين الطبيعية واحدة في جميع المجموعات الإحداثية المتحركة بسرعة منتظمة بالنسبة لبعضها .

وتبدأ نظرية النسبية بهذين الفرضين ، ولن نستخدم فيما يلي التحويلات الكلاسيكية لأننا نعلم مما سبق أنها تتعارض مع فرضيتنا .

ومن الضروري هنا كما هي الحال في العلم دائماً أن نتخلص من تحيزنا إلى نظرية بالذات . ونظراً إلى أننا رأينا أن أى تغيير في (١) ، (٢) يؤدي إلى التعارض مع التجارب العملية فإنه يجب أن تكون لدينا الشجاعة لكي نعلن صحة هذين الفرضين ، ثم نركز بعد ذلك جل اهتمامنا بنقطة الضعف المحتملة ، ألا وهي الطريقة التي تتحول بها الأوضاع والسرع من مجموعة إحداثية إلى أخرى . وسنمضي الآن في استخراج بعض النتائج من (١) ، (٢) ثم دراسة تعارض الفرضين السابقين مع التحويلات الكلاسيكية والبحث عن المعاني الطبيعية للنتائج التي نحصل عليها .

وسنمود الآن مرة أخرى إلى الحديث عن الحجرة المتحركة ذات الشاهدين الخارجى والداخلى وسنفرض أن إشارة ضوئية قد أرسلت من وسط الحجرة ، ولنسأل الآن الشاهدين عما ينتظر أن يشاهدا على أساس الفرضين السابقين ، مع غرض النظر عما سبق قوله عن الوسط الذى ينتقل الضوء خلاله . وسنذكر فيما يلى إجابة الشاهدين :

الشاهد الداخلى : ستصل الإشارة الضوئية المنبثقة من وسط الحجرة إلى جدرانها في نفس اللحظة ، لأنها تبعد نفس المسافة عن مصدر الضوء ولأن سرعة الضوء ثابتة في جميع الاتجاهات .

الشاهد الخارجى : ستكون سرعة الضوء في مجموعتى هى نفسها تلك التى أدركها الشاهد في المجموعة المتحركة ، ولا يعينى ما إذا كان مصدر الضوء يتحرك في مجموعة إحداثية أم لا ، لأن حركته لن تؤثر في سرعة الضوء على الإطلاق . وكل ما أراه هو إشارة ضوئية متحركة بالسرعة القياسية الثابتة في جميع الاتجاهات . وأشاهد إحدى جوانب الحجرة تحاول الابتعاد عن الإشارة الضوئية في حين أن الجانب الآخر يقترب منها ، ولذا فإن الضوء سيصل إلى الجانب الأخير قبل وصوله إلى الأول بلحظات صغيرة جداً إذا كانت سرعة الحجرة صغيرة القدر بالنسبة إلى سرعة الضوء .

ومقارنة استنتاج هذين الشاهدين تثير الدهشة حقاً ، فإنها تتعارض صراحة مع آراء ومعتقدات علم الطبيعة الكلاسيكى التى ظن العلماء أن أسسه فوق كل شك . فنجد مثلاً أن حدين (أى شعاعين ضوئيين) متحركين بين حائلين يستغرقان وقتاً واحداً بالنسبة لمشاهد مقيم في نفس المجموعة ويستغرقان وقتين مختلفين بالنسبة لمشاهد آخر خارج التفرقة مع العلم بأن سرعة الضوء ثابتة في الحالتين .

وقد كان لدينا في علم الطبيعة الكلاسيكى ساعة واحدة وزمن واحد للمشاهدين في جميع المجموعات الإحداثية ، فقد كان للزمن وبالتالى ، للقول بأن حدين وقعا في آن واحد أو أن أحدهما وقع قبل الآخر أو بعده ، كان لهذه العبارات معان مطلقة

لا تتوقف على أية مجموعة إحدائية . فإذا وقع مثلاً حدثان في وقت واحد في مجموعة إحدائية معينة فإنهما يجب أن يظلا كذلك في جميع المجموعات الإحدائية الأخرى . وينتج من ذلك أن الفرضين السابقين (١) ، (٢) أو بعبارة أخرى نظرية النسبية ، تدفعنا لنبذ هذا الاعتقاد الكلاسيكي . فقد وصفنا حدثين بأنها وقعا في لحظة واحدة في مجموعة إحدائية ورآهما مشاهد آخر في مجموعة أخرى كأنهما حدثاً في وقتين مختلفين . فعلينا الآن أن نتفهم هذه النتيجة وندرك معنى الجملة « إذا وقع حدثين في وقت واحد في مجموعة إحدائية فيحتمل ألا يكونا كذلك في مجموعة أخرى » .

ولكن ماذا نقصد بقولنا «حدثين وقعا في وقت واحد في مجموعة إحدائية» ؟ لعله يبدو أن كل إنسان يدرك بالبدية معنى هذه العبارة . ولكن لتتوخ الدقة في التعريفات التي نقولها بعد أن لسننا مقدار الخطر الناجم من فرط الثقة بالبدية . ولنجب الآن على السؤال البسيط : ماهي الساعة ؟

نستطيع بفضل شعورنا الفطري الباطني بمرور الوقت ، ترتيب إحساساتنا والحكم على أن حدثاً ما قد وقع قبل آخر . ولكن لكي نثبت أن الفترة الزمنية بين حدثين هي عشرون مثلاً لا بد لنا من ساعة . وباستخدام الساعة يصح الزمن شيئاً واقعياً . ويمكننا أن نتخذ من أى ظاهرة طبيعية « ساعة » بفرض أن هذه الظاهرة تكرر نفسها بالضبط مراراً كثيرة . فإذا أخذنا الفترة الزمنية بين بدء ونهاية هذا الحدث (الظاهرة) كوحدة الزمن ، فإننا نستطيع قياس فترات الزمن الاختيارية بتكرار هذه العملية الطبيعية . وجميع الساعات — من الساعة الرملية البسيطة إلى أدق الآلات — مبنية على هذا الأساس ، ففي الساعة الرملية نعرف وحدة الزمن بالفترة التي يأخذها الرمل في التدفق من الزجاج العلوي إلى السفلي .

لنفرض أننا قلنا أن لدينا ساعتين دقيقتين تعطيان نفس الوقت مستقرتان في مكانين بعيدين عن بعضهما . ويجب علينا أن نقبل صحة هذه العبارة بنظر عن مقدار الدقة التي تتوخاها في تحقيقها . ولكن دعنا نسأل أنفسنا : ما هو

معناها الحقيقى ؟ كيف يمكننا التأكد من أن ساعتين بعيدتين تعطيان نفس الوقت بالضبط ؟ لعل التلفزيون هو إحدى الطرق التى يمكننا استخدامها لإثبات ذلك . ويجب أن نفهم أن جهاز التلفزيون سيستخدم كمثل فقط وأنه ليس أساسياً لدراستنا . وأستطيع الآن أن أقف على مقربة من إحدى الساعتين وأنظر فى نفس الوقت إلى صورة الساعة الأخرى فى جهاز التلفزيون وبذلك أستطيع أن أحكم عما إذا كانت الساعتان تعطيان نفس الوقت أم لا . ولكن هذه الطريقة ليست سليمة إذ أن صورة الساعة التى ظهرت فى جهاز التلفزيون قد حملتها أمواج كهرومغناطيسية متحركة بسرعة الضوء ، وبذلك تكون تلك الصورة التى رأيناها قد أرسلت قبل لحظة رؤيتها بوقت قليل ، هو الوقت الذى أخذته فى الانتقال من مكان الساعة الأصلى إلى جهاز التلفزيون ، فى حين أن الساعة الثانية تعطيان الوقت الحالى بالضبط . ويمكننا التنبؤ على هذه الصعوبة بسهولة إذا أخذنا صوراً بالتلفزيون لكل من الساعتين عند نقطة تبعد عن كل منهما بمسافة متساوية ثم نشاهد قراءتهما عندئذ . فإذا كانت الإشارتان قد أرسلتا فى نفس الوقت فإنهما سيمصلان إلى نقطة المشاهدة فى نفس اللحظة أيضاً . أى أننا إذا شاهدنا ساعتين دقيقتين من نقطة منتصف المسافة بينهما فإنهما سيعطيان نفس الزمن دائماً ، وبذلك يصبحان ملائمين لتمييز أزمنة الأحداث التى تقع عند نقطتين بعيدتين .

وقد سبق أن استخدمنا ساعة واحدة فى الميكانيكا ولكنها لم تكن جدم ملائمة ، إذ أنه كان علينا أن نقوم بكل قياساتنا على مقربة من هذه الساعة الوحيدة . وإذا نظرنا إلى ساعة موضوعة على بعد كبير خلال جهاز التلفزيون مثلاً فإنه يجب علينا أن نتذكر دائماً أن ما نراه الآن قد حدث فعلاً فى وقت مضى ، كما هى الحال عندما نشاهد غروب الشمس ، إذ أن ما نشاهده يكون قد وقع فعلاً قبل ثمان دقائق من لحظة المشاهدة . وإذاً يجب علينا أن نقوم بتصحيحات لكل تقديراتنا الزمنية بمقادير تتوقف على بعدنا من الساعة .

ويتضح مما سبق أنه من غير المناسب ألا يكون لدينا سوى ساعة واحدة . والآن وقد عرفنا كيف نستطيع الحكم على أن اثنتين أو أكثر من الساعات نعطيان:

نفس الزمن ، وتسير بنفس الطريقة ، فإننا يمكننا أن نتصور أن لدينا عدداً كبيراً من الساعات في إحدى المجموعات الاحداثية . وستمكنا هذه الساعات من تقدير أزمنة وقوع الأحداث التي تقع بقربها ، وسنفرض أن كل هذه الساعات غير متحركة بالنسبة لهذه المجموعة الاحداثية . وبذلك تتوفر لدينا مجموعة من الساعات الدقيقة المضبوطة التي تعطينا نفس قراءة الزمن في نفس اللحظة .

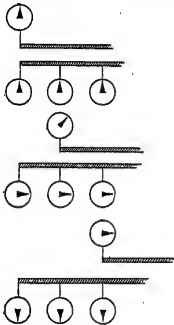
وليس فيما فعلناه من وضع هذه الساعات في مجموعتنا الاحداثية ، ما يستحق أن يثير دهشتنا إذ أننا الآن نستطيع أن نقرر ما إذا كان حدثان بعيدان قد وقعا في نفس الوقت أم لا بالنسبة لمجموعة إحداثية معينة ، فإذا أعطت الساعتان القريتان من هذين الحدثين نفس القراءة عند وقوع الحدثين أمكننا أن نجزم بأنهما قدوقعا في نفس الوقت ، وكذلك أيضاً يصبح في مقدورنا أن نقول بأن أحد الحدثين قد وقع قبل الآخر . وكل هذا بفعل الساعات المضبوطة المثبتة في مجموعتنا الإحداثية .

ونحن فيما سبق لم نخرج عن نطاق علم الطبيعة الكلاسيكي وليس في النظام الذي وضعناه أي تناقض مع التحويلات الكلاسيكية . وقد استخدمنا الإشارات الضوئية لضبط ساعاتنا أثناء تعريفنا للأحداث الآتية . وتلعب سرعة الضوء - التي تتحرك بها هذه الإشارات - دوراً أساسياً في النظرية النسبية .

وحيث أننا معنيون بدراسة حركة مجموعتين احداثيتين متحركتين بسرعة منتظمة بالنسبة لبعضهما ، فيجب علينا أن نعتبر قضيتين مثبت بكل منهما مجموعة من الساعات ، وبذا يتوفر لكل من المشاهدين الموجودين بالمجموعتين المتحركتين قضيب المقياس ، ومجموعة الساعات المثبتة به .

وأثناء دراستنا لعملية القياس في الميكانيكا الكلاسيكية ، استخدمنا ساعة واحدة لجميع المجموعات الاحداثية ، في حين أن لدينا الآن ساعات كثيرة في كل مجموعة إحداثية وليس هذا الفرق بذى أهمية إذ أن ساعة واحدة تكفي ولكننا لانستطيع الاعتراض على استخدام ساعات كثيرة مادامت كلها مضبوطة ومتجانسة وتعطى نفس الوقت للأحداث الآتية .

ونحن الآن نقرب من النقطة الأساسية التي تتعارض فيها قوانين التحويل الكلاسيكي مع نظرية النسبية . ماذا يحدث عندما تتحرك مجموعة الساعات بنظام بالنسبة إلى مجموعة أخرى ؟ سوف يجيب عالم الطبيعة الكلاسيكية بقوله : سوف لا يجد علينا شيء ، فستظل الساعات كما لو كانت ساكنة بالنسبة لبعضها ، وستعطينا نفس الزمن بغض النظر عن حركتها ، وتخبرنا الطبيعة الكلاسيكية بأنه إذا وجد حدثان آنيان في مجموعة إحداثية واحدة فإنهما سيظلان كذلك في أي مجموعة أخرى . ولكن هذه ليست هي الإجابة الوحيدة ، إذ يمكننا أن نتخيل الساعة المتحركة توقيتاً يختلف عن توقيت الساعة الساكنة . ولندرس الآن هذا الاحتمال ، دون أن نتخذ لأنفسنا قراراً فيما إذا كانت الحركة تؤثر حقاً في تقدير الساعة للوقت . ولنبدأ بشرح ماذا نمنى قولنا أن حركة الساعة تؤثر في تقديرها للوقت ؟ ولنفرض



المجموعة الاحداثية السفلى وأن لكل الساعات نفس التركيب الميكانيكي الداخلي وأنها مضبوطة تعطى نفس القراءة للحوادث الآنية عند ثبوت المجموعتين الإحداثيتين بالنسبة لبعضهما . ومبوضع الشكل المرافق ثلاثة أوضاع متباعدة للمجموعتين الإحداثيتين المتحركتين بالنسبة لبعضهما .

وقد كان المفروض ضمناً في الميكانيكا الكلاسيكية أن حركة الساعة لا تؤثر أبداً في نظام تقديرها للوقت . وقد كان هذا مفروضاً كبدئية لا تستحق حتى مجرد الذكر . ولكن لا يجب

علينا - إذا أردنا الدقة - أن نحصى في تحليل هذا الافتراض الذى سبق الأخذ به كقضية مسلمة في علم الطبيعة .

ولا يجب علينا نبذ فرض ما لمجرد أنه يختلف عما ألفناه في الطبيعة الكلاسيكية فيمكننا مثلاً أن نتصور أن ساعة متحركة تغير نظام توقيتها ؟ ما دام القانون الذى يحدد هذا التغير ، ينطبق على جميع المجموعات الإحداثية القاصرة .

لنعتبر الآن مثلاً آخر . لنفرض أن لدينا عصاً ، يبلغ طولها ياردة واحدة عند ما تكون ساكنة في مجموعة إحداثية ما . لنفرض أن هذه العصا قد أخذت في التحرك بانتظام متزقة على القضيب الذى يمثل المجموعة الإحداثية . فهل سيظل طولها ياردة أيضاً ؟ قبل الإجابة على هذا السؤال يجب علينا أن نعرف كيف يمكننا تعيين طول العصا . عند ما تكون العصا في حالة سكون سينطبق طرفاها مع علامتين - على قضيب القياس - يحصران بينهما طولاً قدره ياردة واحدة في المجموعة الإحداثية (أى قضيب القياس) ، وبهذه الطريقة استنتجنا أن طول العصا يبلغ ياردة واحدة . ولكن كيف يمكننا الآن قياس طولها أثناء حركتها ؟ يمكننا عمل ذلك بالطريقة التالية : عند لحظة معينة يأخذ مشاهدان صورتين فوتوغرافيتين ، إحداها لأحد طرفي العصا والأخرى للطرف الآخر ، وحيث أن الصورتين قد أخذنا في نفس الوقت فإننا يمكننا مقارنة العلامات على قضيب المجموعة الإحداثية الذى ينطبق عليه طرفا العصا ، وبهذه الطريقة نعين طولها . ولا بد من وجود مشاهدين ليلاحظا الأحداث التى تقع في نفس الوقت في أجزاء مختلفة من مجموعتنا الإحداثية . وليس هناك ما يحولنا على الاعتقاد بأن نتيجة مثل هذه القياسات ستفق مع تلك التى وجدناها مثلاً في حالة العصا الساكنة . وبما أن هذه الصور الفوتوغرافية يجب أن تؤخذ في نفس الوقت ، وهذا - كما نعرف الآن - يتوقف على المجموعة الإحداثية المتبعة ، فإنه يبدو جديحاً إن نتأرجح هذه القياسات ستختلف باختلاف المجموعات الإحداثية المتحركة بالنسبة لبعضها .

ويمكننا الآن أن نتصور بسهولة إنه ليس الساعة المتحركة وحدها هى التى تغير توقيتها ، بل إن العصا المتحركة ستغير طولها أيضاً ، ما دامت قوانين

التفسير تتحقق في جميع المجموعات الإحداثية القاصرة .

وكنا ندوس حتى الآن احتمالات جديدة دون أن نعلم أى مبررات لفرضها . ولعلنا نذكر أن سرعة الضوء ثابتة في جميع المجموعات الإحداثية القاصرة وأن من المستحيل التوفيق بين هذه الحقيقة وبين التحويلات الكلاسيكية . والآن دعنا نتساءل عما إذا كان في الإمكان أن يؤدي الفرض بالتفسير في نظام توقيت الساعة المتحركة وفي طول القضيب المتحرك إلى الفرض بثبات سرعة الضوء ؟ إن ذلك ممكن حقاً ! وهذه هي الحالة الأولى التي تختلف فيها النظرية النسبية مع الطبيعة الكلاسيكية اختلافاً أساسياً . ويمكننا التعبير عن هذه الحقيقة بالطريقة المعكوسة التالية : إذا كانت سرعة الضوء ثابتة في جميع المجموعات الإحداثية فإن القضبان المتحركة تماثلياً تنبراً في أطوالها وكذلك يتغير نظام توقيت الساعات المتحركة ، ويمكننا استنتاج القوانين التي تحكم في هذه التغيرات .

وليس في ذلك أى غموض أو عدم تماس مع المنطق . فقد كان المفروض دائماً في الطبيعة الكلاسيكية أن نظام التوقيت واحد للساعات المتحركة والساكنة على حد سواء ، وأن للقضبان المتحركة والساكنة نفس الأطوال ! فإذا كانت سرعة الضوء ثابتة في جميع المجموعات الإحداثية ، أى إذا كانت نظرية النسبية صحيحة فإنه يجب علينا التضحية بهذا الفرض . ونعلم أنه من الصعب التخلص من العقائد والآراء التأسيسية في النفس ، ولكن ماذا نفعل وليس أمامنا طريق آخر ؟ ومن وجهة نظر النظرية النسبية تبدو الآراء القديمة اختيارية . فلماذا نعتقد — كما فعلنا سابقاً — في الزمن المطلق وبثبوت النسبة لجميع المشاهدين في كل المجموعات الإحداثية ؟ ولماذا نعتقد في ثبوت الأطوال وعدم قابليتها للتغير ؟ فالزمن يتمين باستخدام الساعات ، والأطوال بالقضبان ، ويمكن أن نتوقف نتائج قياساتها على خواص الساعات والقضبان أثناء حركتها ، وليس هناك ما يبرر الاعتقاد بأن هذه النتائج والعمليات ستسير على النمط الذي نوده ! وقد أرتنا المشاهدات — بطريق غير مباشر — خلال ظواهر المجال الكهرومغناطيسي أن الساعة المتحركة تغير معدل توقيتها وأن القضيب يغير طوله ، على حين أننا لم نتوقع حدوث ذلك على

أساس الظواهر الميكانيكية . ويجب أن نقبل فكرة الزمن النسبي في كل مجموعة إحدائية لأنها أفضل طريقة للتخلص من متاعبنا . وقد أظهر التقدم العلمى الناتج من نظرية النسبية ، أننا لا يجب أن ننظر إلى هذا التطور الجديد في المشتقات كضرورة لا بد منها حيث أن مميزات النظرية الجديدة قد أصبحت ظاهرة للعيان . وكنا نحاول فيما سبق إيضاح الدوافع التى أدت إلى الفروض الأساسية لنظرية النسبية ، وكيف أن النظرية قد اضطررتنا إلى مراجعة وتغيير التحويلات الكلاسيكية باعتبار الزمن والمكان على أسس جديدة . ولسنا نهدف إلا إلى إيضاح الآراء التى تكون أسس وجهة نظر طبيعية وفلسفية جديدة . وهذه الآراء بسيطة ، ولكنها — على الصورة التى صيغت فيها هنا — لا تكفى لكى نحصل منها على استنتاجات نوعية أو كمية . وهنا يجب علينا أن نستخدم الطريقة القديمة لشرح الآراء الأساسية فقط مكتفين بذكر بعض الآراء الأخرى دون أى برهنة .

ولإيضاح الفرق بين وجهة نظر عالم الطبيعة الكلاسيكية الذى سزمز إليه بالرمز « ح » وهو الذى يعتقد بصحة قوانين التحويل الكلاسيكى ، وبين وجهة نظر عالم الطبيعة الحديثة الذى سزمز إليه بالرمز « ح » وهو الذى يعتقد فى نظرية النسبية وستتصور الحديث التالى بينهما :

ح — أنا أومن بقاعدة جاليليو النسبية لأننى أعلم أن قوانين الميكانيكا تتحقق فى مجموعتين إحدائيتين متحركتين بانتظام بالنسبة لبعضهما أو بعبارة أخرى إن هذه القوانين تعتبر لازمة بالنسبة للتحويل الكلاسيكى .

ح — ولكن نظرية النسبية يجب أن تنطبق على جميع الإحداثيات فى عالمنا الخارجى ، إذ أن جميع القوانين الطبيعية — وليست فقط قوانين الميكانيكا — يجب أن تتحقق فى جميع المجموعات الإحدائية المتحركة بسرعة منتظمة بالنسبة لبعضها البعض .

ح — ولكن كيف يمكن أن تتحقق جميع القوانين الطبيعية فى جميع الإحداثيات المتحركة بالنسبة لبعضها ؟ فمادلات المجال — أى معادلات ماكسويل

— ليست لازمة (أى لا تتغير) بالنسبة للتحويلات الكلاسيكية ، ويظهر هذا بوضوح مع سرعة الضوء ، إذ أن التحويلات الكلاسيكية تنص على أنها يجب ألا تكون ثابتة في كلا المجموعتين المتحركتين بالنسبة لبعضهما .

ج — إن هذا يثبت أن التحويلات الكلاسيكية لا يمكن استخدامها وأن العلاقة بين المجموعتين الإحداثيتين يجب أن تكون مختلفة ، وأنه يحتمل ألا تربط بين الإحداثيات والسرع بنفس الطريقة المتبعة في التحويلات الكلاسيكية ، التي يجب أن نستبدلها بأخرى جديدة نستنتج من الفروض الأساسية لنظرية النسبية . ولنفرض أننا لا نهتم الآن بالقيم الرياضية لهذه التحويلات الجديدة وأنها تقع فقط بكونها مختلفة عن التحويلات الكلاسيكية ، وسنسمى هذه التحويلات الرياضية الجديدة بتحويلات لورنتر . ويمكننا إثبات أن معادلات ماكسويل — أى قوانين المجال — لازمة لا تتغير بالنسبة لتحويلات لورنتر ، تماماً كزوم قوانين الميكانيكا بالنسبة للتحويلات الكلاسيكية . ولندكر كيف كانت هذه التحويلات في الطبيعة الكلاسيكية ، فقد كانت لدينا قوانين تحويل للإحداثيات والسرع وكانت قوانين الميكانيكا لازمة بالنسبة إلى مجموعتين من الإحداثيات متحركة بانتظام بالنسبة لبعضها . وكانت لدينا تحويلات لأوضاع الأجسام فقط ، دون ذكر للزمن ، حيث إن الزمن كان واحداً في جميع المجموعات الأحداثية . أما في النظرية النسبية فالوضع جد مختلف فلدينا قوانين تحويل مختلفة عن القوانين الكلاسيكية وخاصة بالأوضاع والزمن والسرعة . ولكننا نكرر أن قوانين الطبيعة يجب أن تتحقق في جميع المجموعات الأحداثية المتحركة بانتظام بالنسبة لبعضها أى أن هذه القوانين يجب أن تكون لازمة — لا بالنسبة إلى التحويلات الكلاسيكية — بل بالنسبة لنوع جديد من التحويلات يسمى بتحويلات لورنتر . وتتحقق جميع القوانين الطبيعية في جميع المجموعات الاحداثية القاصرة ، وتتحول هذه القوانين من مجموعة إلى أخرى بواسطة تحويلات لورنتر .

د — أوافقك على ذلك ولكن يهمنى أن أدرك الفرق بين التحويلات الكلاسيكية وتحويلات لورنتر .

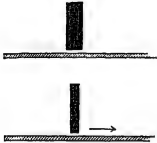
ج — أفضل طريقة للإجابة على سؤالك هي الآتية : أذكر لى أولاً بعضاً من الخواص المميزة للتحويلات الكلاسيكية وسأحاول أن أبين لك ما إذا كانت هذه ستظل صحيحة في حالة تحويلات لورنتز أم لا ، وفي الحالة الأخيرة سأشرح لك كيف تغيرت .

د — إذا وقع حدث معين عند لحظة معلومة في مجموعتي الإحداثية فإنه ينتج أن المشاهد في مجموعة إحداثية أخرى متحركة بانتظام بالنسبة لمجموعتي سيحدد رقماً مختلفاً للمكان الذي يقع فيه الحدث ولكن في نفس الوقت بالطبع ، إذ أننا نستخدم نفس الساعة في جميع مجموعتنا الإحداثية ولا يهمنا ما إذا كانت الساعة متحركة — منتقلة — أم لا . فهل هذا صحيح بالنسبة إليك ؟

ج — كلا — هذا ليس بصحيح ، فكل مجموعة إحداثية يجب أن تزود بساعاتها غير المتحركة ، حيث أن الحركة تنير نظام التوقيت . فبما هذان مثلاً في مجموعتين إحداثيتين مختلفتين سيحددان أرقاماً مختلفة لمكان حدث ما وكذلك رقبين مختلفين الزمن الذي يقع فيه ذلك الحدث .

د — هذا يعنى أن الزمن ليس لازماً . ففي التحويلات الكلاسيكية كان الزمن واحداً في جميع المجموعات الاحداثية ، أما في تحويلات لورنتز فإنه يتغير ويسلك مسلك الأحداث في التحويلات القديمة . ولا أدري ماذا يحدث للفاقة ؟ ففي الميكانيكا الكلاسيكية يحتفظ قضيب مادي متناسك بطوله في حالى الحركة والسكون . فهل هذا صحيح الآن أيضاً ؟

ج — كلا — ليس بصحيح . وفي الحقيقة أنه ينتج من تحويلات لورنتز أن العصا المتحركة تنقلص في اتجاه الحركة ، ويزداد التقلص بإزدياد السرعة . فكما تحركت العصا بسرعة كلما ظهرت أكثر قصراً . ولكن هذا يحدث فقط في اتجاه الحركة . فأنت ترى في الرسم قضيباً متحركاً ينقلص إلى نصف طوله عندما يتحرك



بسرعة تقترب من 0.90 من سرعة الضوء . هذا في حين أنه ليس هناك تقلص في الاتجاه العمودي على الحركة كما حاولت أن أبين في الرسم .

٥ — هذا يعني أن تقدير ساعة متحركة للوقت وكذلك طول عصا متحركة يتوقفان على السرعة ، فكيف يمكن ذلك ؟

ج — يكون هذا التغير واضحاً عندما تزداد السرعة وينتج من تحويلات لورنتز أن العصا تنقلص وينعدم طولها إذا بلغت سرعة الضوء . وبالمثل فإن تقدير ساعة متحركة للزمن يقل إذا قورنت بالساعات التي تمر عليها والمثبتة بالقضيب ، وتقف نهائياً عن الدوران إذا تحركت بسرعة الضوء .

٥ — يبدو لي أن هذا يتعارض مع التجربة ، فنحن نعلم أن السيارة لا تنقلص عندما تتحرك ونعلم أيضاً أن السائق يمكن أن يقارن ساعته بالساعات التي يمر بها . وقد وجدت أنها كلها تتفق مع بعضها خلافاً لما ذكرته لي !

ج — ما قلته صحيح لأرب فيه . ولكنك تلاحظ أن هذه السرع الميكانيكية صغيرة جداً بالنسبة لسرعة الضوء ، وبذا يصبح من التفاهة تطبيق نظرية النسبية على هذه الظواهر . ويمكن لكل سائق أن يستخدم الطبيعة الكلاسيكية باطمئنان حتى ولو ضاعف سرعته مائة ألف مرة . ويمكننا أن نتوقع الاختلاف بين التجربة وبين التحويلات الكلاسيكية فقط عند ما تقترب السرعة من سرعة الضوء . ففي حالة السرع الكبيرة جداً يمكننا اختبار صحة تحويلات لورنتز .

٥ — ولكن مع ذلك هناك صعوبة أخرى ، فبما لقواعد الميكانيكا يمكنني تصور أجسام متحركة بسرغ أكبر من سرعة الضوء . فالجسم الذي يتحرك بسرعة الضوء بالنسبة لسفينة متحركة . ستكون سرعته أكبر من سرعة الضوء بالنسبة إلى الشاطئ . فإذا يحدث إذن للعصا التي تقلصت إلى لا شيء عند ما

تحركت بسرعة الضوء ؟ فن الصعب تصور طولاً سالباً ، إذا ازدادت سرعة العصا عن سرعة الضوء .

ح — ليس هناك ما يدعو إلى مثل هذه السخرية ! فعلى أساس نظرية النسبية لا يمكن أن تزيد سرعة الجسم عن سرعة الضوء . فسرعة الضوء هي الحد الأقصى لسرع جميع الأجسام المادية . فإذا كانت سرعة جسم بالنسبة للسفينة هي سرعة الضوء فإنها ستكون لها نفس القيمة بالنسبة للشاطئ* . فقانون الجمع والطرح الميكانيكى البسيط لا يتحقق هنا أو على الأصح ينطبق بالتقريب على حالة السرع البسيطة ، ولكن ليس على السرع التى تقترب من سرعة الضوء . وتظهر القيمة العددية لسرعة الضوء بوضوح فى تحويلات لورنتز ، وتعلب دور حالة نهائية ، كالدور الذى تحتله السرعة اللانهائية فى الميكانيكا الكلاسيكية . ولا تعارض هذه النظرية العامة مع التحويلات الكلاسيكية والميكانيكا الكلاسيكية بل أنها على العكس تتفق مع المعتقدات الكلاسيكية فى الحالة النهائية عندما تكون السرع ذات قيم صغيرة . ويتضح لنا من وجهة نظر النظرية الجديدة ، متى تتحقق النظرية الكلاسيكية وأين يتضح قصورها . وإذن يكون تطبيق نظرية النسبية على حركة السيارات والقطارات مما يدعو حقاً إلى السخرية . تماماً كاستعمال الآلة الحاسبة فى عمليات ضرب بسيطة موجودة فى جدول الضرب .

نظرية النسبية والمبطلات :

إن الضرورة هى التى أدت إلى نشوء نظرية النسبية ، فضلاً عن التناقض الواضح الكامن فى النظرية القديمة والتى لم نستطع التخلص منه بكل الطرق الممكنة . وتعزى قوة النظرية الجديدة إلى البساطة والدقة التى حلت بهما هذه المشاكل مع استخدام فروض منطقية قليلة . فعلى الرغم من أن النظرية نشأت من مشكلة المجال فإن عليها أن تشمل أيضاً جميع القوانين الطبيعية . وهنا تبدولنا مشكلة جديدة ، فلقوانين المجال من ناحية وللقوانين الميكانيكية من ناحية أخرى طبيعتان مختلفتان ، فعدالات المجال الكهرومغناطيسى لا تتنبأ بالنسبة إلى تحويلات لورنتز

في حين أن المعادلات الميكانيكية لا تتغير بالنسبة إلى التحويلات الكلاسيكية . ولكن النظرية النسبية تدعى أن قوانين الطبيعة يجب أن تكون لازمة بالنسبة لتحويلات لورنتز . وليست بالنسبة للتحويلات الكلاسيكية . وليست هذه الأخيرة سوى حالة خاصة من تحويلات لورنتز عندما تكون السرعة النسبية للمجموعتين الاحداثيتين صغيرة جداً . فإذا كانت الحال كذلك فإن الميكانيكا الكلاسيكية يجب أن تتغير حتى تلائم شروط عدم التغير بالنسبة لتحويلات لورنتز . أو بعبارة أخرى أن الميكانيكا الكلاسيكية لا يمكن أن تظل حقيقية إذا اقتربت سرعة التحرك من سرعة الضوء . أى أنه لن تكون هناك سوى تحويلات واحدة من مجموعة احداثية إلى أخرى . هي تحويلات لورنتز .

وقد كان من السهل تغيير الميكانيكا الكلاسيكية بطريقة لا تتعارض مع النظرية النسبية من ناحية ، ولأمع مجموعة الحقائق التي حصلنا عليها بالتجربة ، وشرحت على أساس الميكانيكا الكلاسيكية . فالميكانيكا القديمة تتحقق في حالة السرعة الصغيرة وبذلك تكون هي الصورة النهائية للميكانيكا الجديدة .

ولعله من المفيد أن نذكر مثلاً للتغير في الميكانيكا الكلاسيكية الحادث بسبب النظرية النسبية ، ونحاول الحصول على بعض استنتاجات منها ، ثم نبحت فيما إذا كانت التجارب العملية تؤيد هذه الاستنتاجات أو تنكرها .

لنفرض أن لدينا جسماً ذا كتلة معينة يتحرك على خط مستقيم وتؤثر عليه قوة خارجية في اتجاه الحركة . فكما نعلم ستتناسب القوة المؤثرة عليه مع معدل التغير في السرعة وإذن لا يعنينا ما إذا ازدادت سرعة الجسم في الثانية من ١٠٠ إلى ١٠١ قدماً في الثانية أو من ١٠٠ ميل إلى ١٠٠ ميل وقدم واحد في الثانية أو من ١٨٠ ٠٠٠ ميل إلى ١٨٠ ٠٠٠ ميل وقدم واحد في الثانية . فالقوة التي تؤثر على جسم معين لا تتوقف إلا على معدل التغير في السرعة فقط .

فهل تتحقق هذه الظاهرة أيضاً في النظرية النسبية ؟ كلا ؟.. فهذا القانون لا ينطبق إلا على حالات السرعة الصغيرة فقط . ولكن ماهو القانون الذي وضعته نظرية النسبية في حالة السرعة الكبيرة التي تقترب من سرعة الضوء ؟ . إذا كانت

السرعة كبيرة فلا بد من وجود قوة كبيرة لزيادة مقدارها . فليست القوة التي تسبب زيادة قدم في الثانية للسرعة ١٠٠ قدم في الثانية هي نفسها التي تسبب نفس الزيادة في سرعة تقترب من سرعة الضوء . فكلما اقتربت السرعة من سرعة الضوء كلما أصبح من الصعب زيادة قدرها . وعندما تتساوى سرعة الجسم مع سرعة الضوء يصبح من المستحيل زيادتها عن ذلك . وإذن فالتنيريات التي أحدثتها نظرية النسبية ليست من الغرابة في شيء ؛ فسرعة الضوء هي كإفلقنا الحد الأقصى لجميع السرع ، وليست هناك أى قوة معينة - مهما زاد قدرها - يمكن أن تسبب أى ازدياد في السرعة عن هذا القدر . وهكذا ، بدلا من القانون الميكانيكي القديم الذى يربط القوة بالتنير في السرعة نحصل على قانون أكثر تعقيداً . ويخيل إلينا - من جهة نظرنا الخاصة - أن الميكانيكا الكلاسيكية بسيطة لأننا في جميع ملاحظتنا وتطبيقاتنا نستخدم سرعاً أقل بكثير من سرعة الضوء .

ويتميز الجسم الساكن بكتلة معينة تسمى بالكتلة الساكنة ، وفقدنا الميكانيكا بأن كل جسم يقاوم التنير في حركته ، فكلما زادت الكتلة ازدادت معها المقاومة وكلما قلت الكتلة قلت معها المقاومة . ولكن الوضع جد مختلف في النظرية النسبية فالجسم لا ترداد مقاومته للتنير كلما ازدادت كتلته فقط بل كلما ازدادت سرعته أيضاً ، فالأجسام ذات السرع القترية من سرعة الضوء تبذل مقاومة كبيرة جداً في وجه القوى الخارجية . وقد كانت مقاومة جسم معين للتنير في الميكانيكا الكلاسيكية شيئاً ثابتاً يتوقف على الكتلة وحدها ، أما في نظرية النسبية فهي تتوقف على كل من الكتلة والسرعة . وتبلغ القوة حداً لانهائياً من الكبر إذا اقتربت سرعة الجسم من سرعة الضوء .

ولدينا في الطبيعة قذائف تتحرك بمثل هذه السرع ، فذرات المواد الاشعاعية كالراديوم مثلاً ، تمثل دور المدفعية التي تقوم بإرسال قذائف بسرع متناهية في الكبر . سنذكر الآن باختصار أحد الآراء الحديثة في على الطبيعة والكيمياء : تتكون جميع المواد الموجودة في الكون من بضعة أنواع من الجسيمات الأولية . وهذا يشبه إلى حد كبير ما نعرفه من أن جميع الباني في مدينة ما - بما فيها من أكواخ

وناطحات سحب ذات حجوم مختلفة وأشكال متباينة - مكونة من أنواع قليلة مختلفة من اللبنة . وإذن تتكون جميع عناصر عالمنا المادى - التى تتراوح بين الايدروجين وهو أخفها وزنا واليورانيوم وهو أثقلها - من نفس النوع من اللبنة أى نفس الأنواع من الجسيمات الأولية . وأثقل هذه العناصر وزنا - أى تلك المعقدة التركيب - ليست مستقرة بل دائماً فى حالة تفكك وهو ما نعبّر عنه بقولنا أن لها نشاطاً إشعاعياً . وبعض هذه اللبنة أو الجسيمات الأولية التى تبني منها هذه الذرات ذات النشاط الإشعاعى ، تنقذف أحياناً خارج الذرات بسرعة كبيرة جداً تقترب من سرعة الضوء . والرأى السائد الآن المدعم بالتجارب هو أن ذرة عنصر مشع كالراديوم مثلاً تتميز بتركيب معقد ، وأن التفكك الناتج من النشاط الإشعاعى هو أحد الظواهر التى تتضح فيها حقيقة تركيب الذرات من لبنة أكثر بساطة ، أى من الجسيمات الأولية .

ويمكننا دراسة كيفية مقاومة هذه الجسيمات للنبعثة بسرعة كبيرة لتأثير القوة الخارجية بواسطة تجارب دقيقة ومعقدة . وقد أظهرت التجارب أن المقاومة الناتجة من هذه الجسيمات تتوقف على سرعتها بالطريقة التى تنبأت بها نظرية النسبية . وفى حالات كثيرة مختلفة ، عندما أمكن تعيين مدى توقف المقاومة على السرعة وجدنا اتفاقاً تاماً بين النظرية والتجربة . وهأنس الآن نرى مرة أخرى الظواهر الأساسية للأعمال المنتجة فى العلم أى : التنبؤ نظرياً ببعض حقائق ثم تحقيقها بالتجربة .

وتؤدى هذه النتيجة إلى تعميم ذى أهمية كبيرة . فللجسم الساكن كتلة معينة ولكن ليست له طاقة حركة ، أى طاقة ناتجة عن حركته . أما الجسم المتحرك فله كتلة وطاقة حركة ولذا فهو يقاوم التغير فى السرعة بقوة أكثر من الجسم الساكن ، ومن ذلك يظهر لنا أن طاقة حركة جسم متحرك تزيد فى مقاومته فإذا كان لدينا جسمان متساويان فى الكتلة وكان لأحدهما طاقة حركة أكبر من الآخر فإنه يقاوم فعل القوة الخارجية بقوة أكبر .

لنتخيل الآن صندوقاً ساكناً به عدد من الكرات الساكنة أيضاً بالنسبة لمجموعتنا الإحداثية . إذا أردنا تحريك الصندوق وما به ، أو ببساطة أخرى زيادة

سرعتها ، فسنحتاج إلى قوة معينة لإحداث ذلك . ولكن هل يمكن لنفس تلك القوة أن تزيد السرعة بنفس القدر في نفس الزمن إذا كانت الكرات متحركة في جميع الاتجاهات داخل الصندوق . كما تفعل جزيئات غاز ما - بسرعة تقترب من سرعة الضوء ؟ لا بد من وجود قوة أكبر قدرأ في هذه الحالة بسبب ازدياد طاقة حركة الكرات التي تزيد بدورها في قوة مقاومة الصندوق . فطاقة الحركة تقاوم التحرك تماما كما تفعل الكتلة . هل هذا صحيح أيضاً بالنسبة لأنواع الطاقة الأخرى ؟

تطينا الفروض الأساسية لنظرية النسبية إجابة واضحة حاسمة ذات طابع كمي وهي : تقاوم جميع الأنواع المختلفة للطاقة التغير في الحركة ؟ وتتميز الطاقة بخواص مماثلة تماماً لخواص المادة ؟ فكتلة من الحديد يزداد وزنها إذا ما أحميت لدرجة الاحمرار ، وكذلك تحمل الإشعاعات المنبعثة من الشمس ، والتي تعبر الفضاء ، طاقة كبيرة وبالتالي كتلة كذلك ، وإذن ينتج أن كتلة الشمس وجميع الكواكب تقل باستمرار . وتعتبر هذه النتيجة ذات الطابع العام نصراً كبيراً لنظرية النسبية ، وتتفق مع النتائج العملية الأخرى التي تؤيد النظرية النسبية .

وقد عرفت الطبيعة الكلاسيكية شيئين متميزين : المادة والطاقة ، فاللادة لها وزن والطاقة لا وزن لها . وقد ساءت لنا الطبيعة الكلاسيكية أيضاً قانوني بقاء ، أحدهما للمادة والآخر للطاقة . وقد سبق أن نساءلنا عما إذا كانت الطبيعة الحديثة ما تزال تعتقد في الوجود النفصل لهذين الشيئين ولقانوني بقائهما . والجواب بالسلب ، إذ أن النظرية النسبية تنص على عدم التفرقة بين الكتلة والطاقة ، فللطاقة كتلة وللكتلة طاقة . وسيصبح لدينا بدلاً من قانوني البقاء ، قانون واحد لبقاء الكتلة (المادة) والطاقة معاً على حد سواء . وقد نبحت وجهة النظر هذه نجاحاً كبيراً وكان لها أثر كبير في تطور علم الطبيعة .

ولكن كيف ظلت حقيقة وجود كتلة للطاقة وطاقة للكتلة مخفية زمناً طويلاً ؟ وهل تزداد كتلة قطعة من الحديد فعلاً بعد إحماها ؟ الإجابة على هذا

السؤال هي الآن بالإيجاب ، وقد كانت بالسلب (صفحة ٣٠) . ونستطيع التأكيد بأن عدد الصفحات بين هاتين الإجابتين لا تكفي لشرح هذا التناقض .

والموضوع الذي نحن بصدده الآن هو من النوع الذي رأيناه قبلاً . فتغير الكتلة الناتج من النظرية النسبية صغير لا يمكن قياسه بطريقة الوزن المباشر ولو باستخدام أدق الموازين . ويمكننا أن نثبت بطرق حاسمة ولكنهم غير مباشرة على أن الطاقة لها وزن مثل المادة تماماً .

وبرجع سبب عدم ظهور هذه الحقائق واضحة للعيان في أول الأمر إلى مسألة معدل التحويل بين المادة والطاقة . فيمكننا تشبيه نسبة الطاقة إلى الكتلة بنسبة عملة بخسة القيمة إلى عملة ذات سعر مرتفع . وبوضع لنا المثال التالي ذلك : كمية الحرارة اللازمة لتحويل ثلاثين ألف طن من الماء إلى بخار تزن حوالى جرام واحد ! ! ! ولهذا السبب ظل الاعتقاد « بأن الطاقة لا وزن لها » زمناً طويلاً ، لمسألة قدر كتلتها .

وبذلك يكون الوجود المستقل لكل من الطاقة والمادة ضخمة ثانية لنظرية النسبية ، وقد كانت الأولى هي الوسط الذي تنتشر فيه أمواج الضوء .

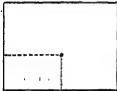
وقد تعدى تأثير النظرية النسبية المشكلة التي كانت سبباً مباشراً لظهورها . فهي تزيل مشاكل ومتناقضات نظرية المجال ، وتضع قوانين ميكانيكية أكثر تعميماً ، وتدمج قانونين مختلفين للبقاء في قانون واحد ثم تغير بعد ذلك فكرتنا الكلاسيكية عن الزمن . وليس تأثير النظرية النسبية محصوراً في ناحية واحدة من علم الطبيعة بل إنه يشمل جميع الظواهر الطبيعية .

متصل الزمان والمكان :

« بدأت الثورة الفرنسية في باريس في اليوم الرابع عشر من يوليو سنة ١٧٨٩ » في هذه العبارة ذكرنا مكان وزمن وقوع حدث معين . فإذا سمع هذه العبارة شخص لأول مرة وكان لا يعرف ما هي باريس ؛ فإنه يمكننا إخباره أن باريس هي

مدينة على سطح الأرض تقع على خط طول 2° شرقاً وخط عرض 49° شمالاً .
 أي أن هذين الرقنين يميزان السكان ، في حين أن « الرابع عشر من يوليو سنة ١٧٨٩ »
 يحدد الزمن الذي وقعت فيه الحادثة . وبهنا في علم الطبيعة تحديد مكان وزمن
 حدث ما على وجه الدقة ، أكثر من أهميتهما في التاريخ ، لأن هذه الأرقام المحددة
 أساس للوصف السكي .

وقد درسنا فيما مضى — بقصد السهولة — الحركة في خط مستقيم ، فكانت
 مجموعتنا الاحداثية قضيباً متساكلاً نقطة أصل وليست له نهاية . فلتذكر هذا
 جيداً ولنعتبر نقطة مختلفة على القضيب ، يمكن تعيين أماكنها بأرقام وحيدة هي
 أحداتيات تلك النقط . فإذا قلنا أن أحداتي نقطة ما هو $٧,٥٨٦$ قديماً فإننا نقصد
 أن بعدها عن مركز القضيب هو $٧,٥٨٦$ قديماً . وعلى العكس إذا أعطاني شخص ما
 أي عدد ، ووحدة معينة فإنه يمكنني دائماً إيجاد نقطة على القضيب تناسب هذا
 الرقم . ويمكننا أن نقول إن كل نقطة معينة على القضيب تشير إلى رقم خاص ،
 وأن أي عدد معين يشير إلى نقطة خاصة على القضيب . ويعبر الرياضيون عن هذه
 الحقيقة بالعبارة التالية : تُكوّن جميع نقط القضيب متصلاً ذا بعد واحد . ووجود
 قرب كل نقطة معينة نقطة أخرى اختيارية . ويمكننا أن نصل نقطة على القضيب
 بأخرى عليه بواسطة خطوات يمكننا تصغيرها كما نهوى . وهذه الحرية في اختيار
 صغر الخطوات التي تصل بين نقطتين بميدتين تميز التصل الذي ندرسه .

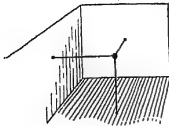


لنعتبر الآن مثلاً آخر : لنفرض أن لدينا
 مستوى معيناً أو سطح مائدة مستطيلة ، إذا فضلنا
 الأمثلة المادية . يمكننا تعيين موضع نقطة ما على
 هذه المائدة بواسطة رقنين لارقم واحد ، كما كانت
 الحال في المثال السابق ، وهذان الرقنان هما بعدا

هذه النقطة عن حافتين متعامدتين من سطح المائدة . وإن رقان — لارقم واحد —
 هما اللذان يحددان مكان نقطة ما على المستوى ، وكذلك تشير كل نقطة من نقط
 المائدة إلى رقنين عديدين . أو بعبارة أخرى المستوى هو متصل ذو بعدين . ويمكن

لنقطتين بعيدتين في هذا المستوى أن ترتبطا بمنحن يمكن تقسيمه إلى خطوات نصرها كيفما نشاء . وإذا كان يكون التحكم في صغر الخطوات التي تصل بين النقطتين البعيدتين ، التي يمثل كل منهما رقان ، من مميزات المتصل ذي البعدين .

ولنتعبر مثلاً آخر : لنفرض أننا أردنا الآن اختيار حجرة ما كجموعة أحداثياتنا ، أي أننا نريد أن نصف الأمكنة بالنسبة لجدران الحجرة الصلبة . فوضع نهاية المصباح الكهربائي مثلاً — إذا كان ساكناً — يمكن وصفه بثلاثة أرقام معينة : يعين اثنان منهما البعدين عن جدارين متعامدين بينما يحدد الثالث البعد عن الأرض أو السقف . وإذا تحدد ثلاثة أرقام معينة كل نقطة من نقط الفراغ ، وكذلك تتميز كل قطعة من نقط الفراغ بثلاثة أرقام محددة لها . ونعبر عن هذا بقولنا إن فضاءنا هو متصل ذو ثلاثة أبعاد . وبالمثل يكون التحكم في صغر الخطوات التي يمكننا بواسطتها الربط بين نقطتين بعيدتين في الفراغ — كل منهما محددة بثلاثة أرقام — من مميزات المتصل ذي الثلاثة الأبعاد .



ولكن هذا كله ليس من علم الطبيعة في شيء . ولكي نعود إلى دراستنا الطبيعية يجب أن نعتبر حركة الجسيمات المادية . ولكي ندرس ونتنبأ بوقوع أحداث في الطبيعة يجب أن نعتبر أزمنة هذه الأحداث فضلاً عن

أمكنة وقوعها . وسنسوق الآن إلى القاريء مثلاً آخر غاية في البساطة :

هب أن حجراً صغيراً (لدرجة تمكننا من اعتباره كجسيم) ألقى من قمة برج ارتفاعه ٢٥٦ قدماً . فنجد عصر جاليليو أصبح في إمكاننا أن نعين عند أي لحظة ما يحدث (أي بُعد) الحجر بعد إسقاطه من قمة البرج . وهالك جدولاً يبين أوضاع الحجر بعد ١٠، ٢٠، ٣٠، ٤٠ ثوان على التوالي :

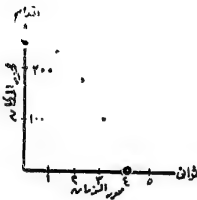
الارتفاع عن سطح الأرض مقدراً بالأقدام	الزمن مقدراً بالتوائى
٢٥٦	صفر
٢٤٠	١
١٩٢	٢
١١٢	٣
صفر	٤

نرى فى هذا الجدول خمسة أحداث ، يتحدد كل منها بواسطة رقمين ، أى الإحداثيين الزمنى والمكانى . لكل حدث . فالحدث الأول هو إسقاط الحجر من ارتفاع ٢٥٦ قدماً فوق سطح الأرض عند الزمن « صفر » . والحدث الثانى هو انطباق الحجر مع مقياسنا التماسك (البرج) عند ارتفاع ٢٤٠ قدماً فوق سطح الأرض . وقد حدث ذلك بعد الثانية الأولى . والحدث الأخير هو انطباق الحجر على سطح الأرض .

ويمكننا تمثيل المعلومات المذكورة فى هذا الجدول الزمنى بطريقة أخرى ؛ فنمثل الأزواج الخمسة من الأرقام ، المذكورة فى الجدول ، كنمى نقط على سطح . ولنتفق أولاً على مقاييس لاتباعها فى تمثيل المسافة والزمن ، ولنفرض أننا سنستخدم المقياس التالى :

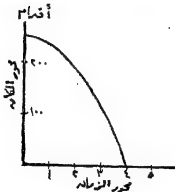
١٠٠ قدم ١ ثانية

سنرسم بعد ذلك خطين متعامدين ، ونسمى الخط الأفقى بمحور الزمن مثلاً ، والخط الرأسى بمحور المكان . سنرى على الفور أننا يمكننا تمثيل جدولنا الزمنى المكانى بخمس نقط فى المستوى الذى أتبعناه لتمثيل الزمان والمكان .



وسنمثل أبعاد النقط عن
محور المكان الإحداثيات
الزمنية كما هي مسجلة في العمود
الأول لجدولنا الزمني ، وكذلك
تمثل الأبعاد عن المحور الزمني
الإحداثيات المكانية . وبذلك
نكون قد عبرنا عن نفس الشيء
بالضبط بواسطة طريقتين مختلفتين
تماماً : الجدول الزمني ؛ ونقط

المستوى ، ويمكننا استنتاج كل من هاتين الطريقتين من الأخرى . ومسألة المفاضلة
بين طريقتي التمثيل هي مسألة ذوق لا أكثر ، حيث أنهما متكافئتان تماماً .
لنخطو الآن خطوة أبعد من ذلك ونصور جدولاً زمنياً أدق من الجدول
السابق يعطينا أوضاع الحجر الساقط ، لا لكل ثانية فقط بل لكل $\frac{1}{100}$ أو $\frac{1}{1000}$
من الثانية ، وبهذا سيكون لدينا عدد كبير جداً من النقط في مستوانا الزماني -
المكاني . وإذا عرفنا الأوضاع في كل لحظة أو إذا كانت الإحداثيات المكانية
معلومة بدلالة الزمن كما يقول الرياضيون فإن مجموعة النقط التي لدينا تكون خطاً متصلاً .



وبذلك يكون الرسم التالي ممثلاً
للمعلومات الكاملة عن الحركة
وليس لجزء فقط من هذه المعلومات .
وتمثل هنا الحركة على امتداد
القضيب الصلب (البرج) - أي
الحركة في فضاء ذي بعد واحد -
بمنحنى في متصل زمان ومكان
ذو بعدين اثنين . ولكل نقطة من نقاط
متصلنا الزماني والمكاني عددان

ميزان ، يرمز أحدهما لإحداثى الزمان والاخر لإحداثى السكان وبالعكس تشير أى نقطة فى مستوى الزمان والسكان إلى عديدين محددين حدثاً ما . وتمثل نقطتان متجاورتان حدثين عند مكانين وزمانين مختلفين قليلا عن بعضهما .

ولعلك تترض على طريقة التمثيل هذه بقولك أنه لا معنى لتمثيل وحدة الزمن بخط صغير فى الرسم البيانى ، ثم الربط بين الزمن والسكان فى شكل متصل ذى بعدين من المتصلين الأحادى البعد . ولكن يجب عليك فى نفس الوقت أن تعترض بنفس الشدة ضد جميع المنحنيات التى تمثل تغير درجة الحرارة فى مدينة نيويورك أثناء الصيف الماضى مثلاً أو ضد جميع المنحنيات التى تمثل التغير فى مستوى المعيشة خلال السنوات القليلة الماضية ، حيث أن نفس طريقة التمثيل البيانى متبعة فى كل من هذه الأمثلة . ففى منحنيات درجة الحرارة نجمع بين متصل درجة الحرارة الأحادى البعد ومتصل الزمن الأحادى البعد ، مكونين متصلاً ثنائى الأبعاد لدرجة الحرارة والزمن .

ولزجج الان إلى مثال الجسم الماسقط من قمة البرج البالغ من الارتفاع ٢٥٦ قدماً . فصورة الحركة البينانية هى طريقة ذات فائدة عظيمة لأنها تمكننا من تعيين مكان الجسم عند أية لحظة . ونود الآن تمثيل حركة الجسم مرة أخرى إذا عرفنا كيف يتحرك ، ويمكننا عمل ذلك بطريقتين مختلفتين .

لعلنا نذكر صورة الجسم التى يغير مكانه بمرور الزمن فى القضاء ذى البعد الواحد . ولم نخلط فى تلك الصورة بين الزمن والسكان بل استخدمنا صورة ديناميكية تتغير فيها الاوضاع مع الزمن .

ولكن يمكننا تصوير نفس الحركة بطريقة أخرى استاتيكية نعتبر فيها منحنيًا فى متصل المكان والزمان ذى البعدين . وفى هذه الحالة تمثل الحركة كشيء موجود فى متصل الزمن والمكان ذى البعدين ، وليس كشيء يتغير فى المتصل المكائى ذى البعد الواحد .

وتشكافاً هاتان الصورتان تماماً مع بعضهما ، وليس تفضيل طريقة على أخرى

سوى مسألة ذوق ، وليست هناك أية علاقة بين كل ما قلناه الآن وبين نظرية النسبية . يمكننا استخدام أى من الصورتين دون تفرقة على الرغم من أن الطبيعة الكلاسيكية قد فضلت الصورة الديناميكية التي تصف الحركة كحوادث واقعة في المكان وكأنه ليست لها وجود في متصل المكان والزمان . ولكن النظرية النسبية غيرت وجهة النظر هذه ، إذ كانت إلى حد كبير في جانب الصورة الاستاتيكية ، ووجدت في كيفية تمثيل الحركة كشيء موجود في الزمان والمكان صورة أكثر ملاءمة وقرباً من الحقيقة . وما زال علينا أن نجيب على هذا السؤال : لماذا لا تتكافأ صورتا تمثيل الحركة من وجهة نظر النظرية النسبية على الرغم من تكافؤهما من وجهة نظر الطبيعة الكلاسيكية ؟

وسندرك الإجابة على هذا السؤال إذا اعتبرنا حركة مجموعتين إحداثيتين متحركتين بانتظام بالنسبة لبعضهما . فطبقاً لقواعد الطبيعة الكلاسيكية يحدد الشاهدان القيان في هاتين المجموعتين إحداثيات مكانية مختلفة وزمن واحد لحدث ما وإذن في حالة مثالنا السابق يتنيز انطباق الجسم على سطح الأرض في مجموعتنا الإحداثية المختارة بالإحداثى الزمنى « ٤ » وبالإحداثى المكاني صفر وسيظل الحجر طبقاً للميكانيكا الكلاسيكية يأخذ أربع ثوان لكي يصل إلى سطح الأرض في نظر مشاهد يتحرك بانتظام بالنسبة للمجموعة الإحداثية المختارة . ولكن هذا المشاهد سيقيس المسافة في مجموعته الإحداثية وسيربط بين هذه الإحداثيات المكانية وحدث التصادم على الرغم من أن الإحداثى الزمنى سيكون واحداً في نظره وفي نظر جميع المشاهدين الآخرين المتحركين بانتظام بالنسبة لبعضهم . فالطبيعة الكلاسيكية لا تعرف سوى زمناً واحداً مطلقاً بالنسبة لجميع المشاهدين ، وفي هذه الحالة يمكننا شطر المتصل ذى البعدين لكل مجموعة إحداثية إلى متصلين كل منهما ذو بعد واحد : الزمان والمكان . وبسبب الصفة المطلقة للزمن فإن الانتقال من الصورة الاستاتيكية إلى الصورة الديناميكية له معنى نظري في الطبيعة الكلاسيكية . ولكننا سبق أن اقتنعنا بأن التحويلات الكلاسيكية يجب ألا تستخدم في علم

الطبيعة بصفة عامة . ومن الناحية العملية تتحقق هذه التحويلات فقط في حالة السرعة الصغيرة .

وطبقاً لنظرية النسبية لن يكون زمن ارتطام الحجر مع سطح الأرض واحداً في نظر جميع الشاهدين ، إذ سيختلف الاحداثى الزمنى والاحداثى المكافى في المجموعتين الاحداثيتين ، وسيكون التغير في الاحداثى الزمنى ملحوظاً جداً إذا اقتربت السرعة النسبية من سرعة الضوء . ولا يمكننا شطر المتصل ذى البعدين إلى متصلين أحادي البعد ، كما هو الحال في الطبيعة الكلاسيكية . ويجب ألا نعتبر المكان والزمان على حدة في تعيين الاحداثيات المكانية والزمنية في مجموعة احداثية أخرى . ويظهر أن شطر المتصل ذى البعدين إلى المتصلين الاحداثى البعد عملية اختيارية ليس لها أى معنى من وجهة النظر النسبية .

ومن السهل تعميم ماسبق قوله في حالة الحركة العامة التى ليست في خط مستقيم . وفى الحقيقة أنه يلزمنا أربعة أرقام - لارفين اثنين - لوصف الأحداث في الطبيعة . وفناء علم الطبيعة كما تتصوره خلال الأجسام وحركتها له ثلاثة أبعاد ، وتعيين حركة هذه الأجسام بواسطة ثلاثة أرقام . وتكون اللحظة التى وقع فيها الحدث الرقم الرابع . وبذلك تشير أى أربعة أرقام معينة إلى حدث ما ، كما أن أى حدث يتحدد بواسطة مثل هذه الأرقام الأربعة . وإذن يكون عالم الأحداث متصلاً ذا أربعة أبعاد . وليس في هذا شيء من الغرابة . وتتحقق العبارة الأخيرة في حالتى الطبيعة الكلاسيكية ونظرية النسبية على السواء . ومرة ثانية نكتشف وجود فرق عند ما نعتبر حالة مجموعتين احداثيتين متحركتين بالنسبة لبعضهما . لنفرض أن لدينا حجرة متحركة ، وقد أخذ الشاهد القيم داخلها وذلك القيم خارجها في تعيين الاحداثيات المكانية الزمانية لحدث ما . سيحاول عالم الطبيعة الكلاسيكية شطر المتصل ذى الأربعة أبعاد إلى فضاء ذى ثلاثة أبعاد ومتصل زماني ذى بعد واحد . سيهتم عالم الطبيعة القديمة فقط بالتحويلات المكانية حيث أن الزمن شيء مطلق بالنسبة له ، وسيجد أن شطر المتصل الرباعى الأبعاد إلى متصل المكان ومتصل الزمان شيئاً طبيعياً وملائماً . ولكن من وجهة نظر النسبية يتغير الزمن والمكان

عند الانتقال من مجموعة احداثية إلى أخرى ، وتحدد لنا تحويلات لورنتر خواص تحويلات متصل الزمان والمكان ذى الأربعة أبعاد لعالم الأحداث الطبيعية ذى الأبعاد الأربعة .

ويمكننا وصف عالم الأحداث ديناميكياً بصورة تنغير مع الزمن وممثلة في الفضاء ذى الثلاثة أبعاد . ولكن يمكن تمثيلها أيضاً بصورة استاتيكية في المتصل الزماني المكاني ذى الأربعة الأبعاد . ومن وجهة نظر الطبيعة الكلاسيكية تتكافأ الصورتان الاستاتيكية والديناميكية ، في حين أنه من وجهة النظر النسبية تعتبر الصورة الاستاتيكية أكثر ملاءمة وقرباً إلى الحقيقة .

ويمكننا استخدام الصورة الديناميكية حتى في نظرية النسبية إذا فضلنا ذلك ولكن يجب أن نتذكر أن هذا الانقسام إلى زمان ومكان ليس له أى معنى حقيقى حيث أن الزمن ليست له صفة الاطلاق . وسنستمر في استخدام اللغة الديناميكية لا الاستاتيكية في الصفحات المقبلة متذكّرين جيداً مواطن قصورها .

النسبية العامة :

ما زالت لدينا نقطة في حاجة إلى استجلاء ، إذ أننا لم نجيب بعد على أحد الأسئلة الأساسية وهو : هل هناك مجموعة لإحداثية قاصرة ؟ قد عرفنا بعض الشيء عن قوانين الطبيعة وعدم تغيرها بالنسبة لتحويلات لورنتر وانطباقها على جميع المجموعات القاصرة المتحركة بانتظام بالنسبية لبعضها . فلدينا القوانين ولكننا لانعرف الاحداثيات التى تنسب إليها هذه القوانين . ولكي نزداد إلماماً بهذه المشكلة ، دعنا نناقش عالم الطبيعة الكلاسيكية ونسأله بعض أسئلة بسيطة :

« ماهى المجموعة القاصرة ؟ »

« هى مجموعة لإحداثية تتحقق فيها قوانين الميكانيكا ، فالجسم الذى لا تؤثر عليه قوى خارجية يتحرك بانتظام في هذه المجموعة . وإذا نحن يمكننا بفضل هذه الخاصية التمييز بين المجموعة الإحداثية القاصرة وبين أى مجموعة أخرى » .

« ولكن ماهو معنى القول بعدم وجود قوى تؤثر على الجسم ؟ »

« معناه ببساطة أن الجسم يتحرك بانتظام في مجموعة إحداثية قاصرة . »

وهنا يمكننا أن نضع مرة ثانية السؤال « ماهي المجموعة الإحداثية القاصرة ؟ »

ولكن بما أنه ليس هناك أمل كبير في الحصول على إجابة تختلف عن الإجابة السابقة . فلنحاول أن نحصل على بعض معلومات بتغيير السؤال .

« هل تُعتبر المجموعة الإحداثية المثبتة في سطح الأرض مجموعة قاصرة ؟ »

« كلا ، لأن القوانين الميكانيكا لا تنطبق تماما على سطح الأرض بسبب حركتها

الدورانية ولكن يمكننا اعتبار مجموعة إحداثية مثبتة في الشمس مجموعة إحداثية قاصرة في كثير من المسائل ، ولكن عندما نتكلم عن حركة الشمس الدورانية فإننا نفهم ضمناً أن مجموعة إحداثية مثبتة فيها لا يمكن اعتبارها قاصرة تماما »

« وإذن ماهي مجموعتك الإحداثية القاصرة وكيف تختار حركتها ؟ »

« المجموعة الإحداثية القاصرة هي مجرد فكرة خيالية فقط وليست لدى أية

فكرة عن إمكان تحقيقها فإذا أمكنني أن أجهد عن جميع الأجسام المادية وأحرر نفسي من جميع التأثيرات الخارجية فلإن مجموعتي الإحداثية تكون حينئذ قاصرة . »

« ولكن ماذا تعني بمجموعة إحداثية محرة من التأثيرات الخارجية ؟ »

« أعني أن المجموعة الإحداثية تكون قاصرة . »

أي أننا قد رجعنا مرة أخرى إلى حيث بدأنا ! !

وهكذا كشف لنا هذا الحوار عن صعوبة خطيرة في علم الطبيعة الكلاسيكي .

فلدينا قوانين ولكننا لا ندرى إلى أي مجموعة إحداثية ننسبها إليها ! وهكذا يبدو لنا أن عالمنا الطبيعي كله مبني على أساس من الرمال .

ويمكننا مواجهة هذه المعضلة من جانب آخر . لنفترض أن الكون بأكمله

لا يحتوي سوى جسما ماديا واحداً سنأخذهُ ممثلاً لمجموعتنا الإحداثية . ولنفرض أن هذا الجسم بدأ يدور حول نفسه . فطبقاً للميكانيكا الكلاسيكية ستكون القوانين

الطبيعية للجسم الدائر مختلفة عن تلك المناظرة لها في الجسم الساكن . فإذا كانت قاعدة القصور الذاتي صحيحة في حالة من هاتين الحالتين فإنها لن تصح في الأخرى ، ولكن هذا القول غير سليم ، إذ هل يصح لنا أن نعتبر حركة جسم واحد فقط في السكون بأجمعهم ؟ مع أننا نمي دائماً بحركة الجسم « هذا التغير في موضعه بالنسبة لجسم آخر . وإذن يكون من غير الطبيعي أن نتكلم عن حركة جسم واحد فقط ، وهكذا تتعارض الميكانيكا الكلاسيكية مع الطبيعة حول هذه النقطة . وللخروج من هذا المأزق فرض نيوتن أنه إذا كانت قاعدة القصور الذاتي صحيحة فإن المجموعة الاحداثية تكون إما ساكنة أو متحركة بحركة منتظمة . وإذا كانت قاعدة القصور غير صحيحة فإن الجسم يتحرك حركة غير منتظمة ، وإذن يتوقف قولنا بالحركة أو السكون على ما إذا كانت جميع القوانين الطبيعية تنطبق أو لا تنطبق على مجموعة إحداثية معينة .

لنعتبر جسمين كالشمس والأرض مثلاً . فلحركة التي نلاحظها هي حركة نسبية ، يمكن وصفها بتثبيت المجموعة الاحداثية بالأرض أو الشمس . ومن جهة النظر هذه يظهر لنا أن اكتشافات كوبرنيكوس العظيمة ليست سوى نقل المجموعة الاحداثية من الأرض إلى الشمس . ولكن بما أن الحركة نسبية ويمكننا استخدام أى مجموعة إحداثية فلن يكون لدينا أى سبب لتفعيل مجموعة إحداثية على أخرى .

وهنا يتدخل علم الطبيعة مرة أخرى لغير وجهة نظرنا . فالمجموعة الإحداثية المتصلة بالشمس تشبه مجموعة قاصرة أكثر من تلك المتصلة بالأرض ، ويجب أن تنطبق قوانين علم الطبيعة على مجموعة كوبرنيكوس الإحداثية أكثر من انطباقها على مجموعة بطليموس . ويمكن تقدير أهمية اكتشاف كوبرنيكوس فقط من وجهة نظر علم الطبيعة ، فهي ترينا الأهمية الفائقة لاستخدام مجموعة إحداثية مثبتة تماماً في الشمس لوصف حركة النجوم .

ولا توجد حركة منتظمة مطلقة في علم الطبيعة الكلاسيكي . فإذا تحركت مجموعتان إحداثيتان بانتظام بالنسبة لبعضهما فليس هناك معنى للقول بأن « هذه المجموعة الإحداثية ساكنة والأخرى متحركة » . ولكن إذا كانت المجموعتان

الاحداثيتان متحركتين بدون انتظام بالنسبة لبعضهما فهناك ما يدفعا للقول « هذا الجسم يتحرك والآخر ساكن (أو يتحرك بانتظام) ». فالحركة المطلقة لها هنا معنى محدد تماما . وتوجد هنا هوة سحيقة تفصل بين المنطق من جانب والطبيعة الكلاسيكية من جانب آخر . وترتبط الصعوبات المذكورة والتعلقة بالمجموعة القاصرة وبالحركة المطلقة ببعضها ، ويمكن أن تحدث الحركة المطلقة فقط على أساس المجموعة القاصرة التي تتحقق فيها قوانين الطبيعة .

ولعله يبدو أنه ليس هناك مخرج من هذه الصعوبات وأنه ليست هناك نظرية يمكن أن تكون بمنجى عنها . ويرجع ذلك إلى حقيقة كون قوانين الطبيعة تتحقق فقط في مجموعة خاصة من المجموعات الإحداثية أى المجموعة القاصرة . ويتوقف حل هذه المصائب على الإجابة على السؤال التالى : هل يمكننا صياغة قوانين الطبيعة بحيث تتحقق فى جميع المجموعات الإحداثية : ليس فقط فى تلك التى تتحرك بانتظام ، بل أيضاً فى تلك التى تتحرك أية حركة اختيارية بالنسبة لبعضها البعض ؟ إذا كان هذا فى استطاعتنا فإننا سنتغلب على مصاعبنا وسنكون حينئذ قادرين على تطبيق قوانين الطبيعة فى أية مجموعة إحداثية . ولن يكون هناك حينئذ أى معنى للتناحر بين آراء بطليموس وكوبرنيكوس الذى ازداد حدة فى الأيام الأولى من تاريخ العلم . إذ يمكن استخدام أى مجموعة إحداثية دون تفضيل ، وسيكون للجملتين « الشمس ساكنة والأرض متحركة » و « الشمس متحركة والأرض ساكنة » معنيان مختلفان خاصان بمجموعتين إحداثيتين مختلفتين .

هل نستطيع حقاً أن نبني علم طبيعة نسبي ، يتحقق فى جميع المجموعات الاحداثية ؟ علم طبيعة ليس به مكان لما يسمى بالمطلق ولكن فقط للحركة النسبية ؟ حقاً إن هذا ممكن !!

ولدينا على الأقل دليل — رغماً من عدم قوته — يرشدنا إلى طريقة بناء علم الطبيعة الحديث . يجب أن ينطبق علم الطبيعة الحديث على جميع المجموعات الاحداثية وإذن ينطبق كذلك على الحالة الخاصة للمجموعة الإحداثية القاصرة . ونحن نعلم الآن قوانين المجموعة الاحداثية القاصرة . ويجب أن تتحول القوانين العامة الجديدة

المتحققة في جميع المجموعات الإحداثية - في الحالة الخاصة للمجموعة القاصرة إلى القوانين القديمة المعروفة .

وقد حلت معضلة صياغة قوانين علم الطبيعة لكل مجموعة إحداثية ، بما يسمى بنظرية النسبية العامة ، والنظرية السابقة التي تنطبق فقط على المجموعات القاصرة تسمى بنظرية النسبية الخاصة . ولا يمكن للنظريتين طبعاً أن يتعارضا مع بعضهما ، حيث أننا يجب دائماً أن نجعل القوانين العامة للمجموعة القاصرة تشمل القوانين القديمة لنظرية النسبية الخاصة . وكما كانت المجموعة الاحداثية القاصرة فيما مضى المجموعة الوحيدة التي صيغت فيها قوانين علم الطبيعة ، فإنها الآن ستكون هي الحالة النهائية الخاصة ، حيث أنه قد أصبح من الممكن لجميع المجموعات الاحداثية أن تتحرك أية حركة إختيارية بالنسبة لبعضهما البعض .

وهذا هو برنامج نظرية النسبية العامة . ولكننا يجب أن نكون أكثر غموضاً عن ذي قبل أثناء وصفنا للطريق الذي أدى إلى هذه النظرية . فالصعوبات الجديدة الناشئة من التطور العلمي تدفع نظريتنا لكي تكون أكثر إيهاماً . وما زالت أماننا مفاجآت غير متوقعة . ولكننا نهدف دائماً إلى التوصل إلى فهم أعمق للحقائق ، وقد أضيفت حلقات إلى سلسلة المنطق التي تربط بين النظرية والتجربة . ولكي نزيل من الطريق المؤدى من النظرية إلى التجربة (المشاهدة) الافتراضات المفتعلة غير الضرورية ، يجب علينا أن تزيد في طول السلسلة كثيراً ، وكلما كانت فروضنا أساسية وأكثر سهولة كلما ازدادت وسائلنا الرياضية تعقداً ، وأصبح الطريق من النظرية إلى التجربة أطول وأكثر غموضاً وتعقيداً . ويمكننا القول - رغماً عما يبدو في ذلك من تناقض - بأن علم الطبيعة الحديث أسهل من علم الطبيعة القديم وإذن فهو يبدو أكثر صعوبة وتعقيداً . وكلما كانت صورتنا للعالم الخارجي أكثر سهولة وازدادت الحقائق التي تتضمنها ، كلما ازدادت معها قوة إيماننا بتناسق الكون ونظامه الدقيق .

وفكرتنا الجديدة بسيطة ! أن نبنى علم طبيعة يتحقق في جميع المجموعات الإحداثية . ويؤدي تحقيق ذلك إلى صعوبات همة ويدفعنا إلى استخدام وسائل

ورابنية تختلف عن تلك التي استخدمناها حتى الآن في علم الطبيعة . وسنشرح هنا فقط العلاقة بين تحقيق هذا البرنامج وبين مشكلتين أساسيتين وهما الجاذبية والهندسة .

فأرجع ورائل المصدر .

يعتبر قانون القصور الثاني أول تقدم كبير في علم الطبيعة ، بل جرى بنا أن ننتبه البداية الحقيقية لهذا العلم . وقد نشأ هذا القانون من التأمل في تجربة مثالية أى في حالة جسم يتحرك باستمرار دون أية مقاومة ودون أى تأثير لقوى خارجية . ومن هذا المثال وأمثلة أخرى كثيرة بعد ذلك أدركنا أهمية التجربة المثالية في دراستنا . وسندرس هنا أيضاً تجارب أخرى مثالية ، وعلى الرغم من أن هذه التجارب ستبدو خيالية فإنها مع ذلك ستساعدنا على فهم كل ما نستطيع فهمه من نظرية النسبية باستخدام وسائلنا البسيطة .

وقد كان لدينا فيما سبق التجارب المثالية التي نقتن بها مستخدمين الحجرة المتحركة ، وسنستخدم الآن على سبيل التنوير مصعداً هابطاً إلى سطح الأرض . لنفرض مصعداً ساكناً عند قمة ناطحة سحاب ، أعلا بكثير من جميع الناطحات الحقيقية ، ولنفرض أن الأسلاك الحاملة للمصعد انقطعت فجأة وأن المصعد قد أخذ في الهبوط نحو سطح الأرض . لنفرض أن الشاهدين داخل المصعد أخذوا في القيام ببعض تجارب أثناء الهبوط ، ولن ندخل في اعتبارنا وجود مقاومة الهواء أو الاحتكاك في هذه التجربة المثالية . لنفرض أن أحد الشاهدين قد أخرج من أحد جيبه منديلاً وساعة ، ثم تركها يسقطان ، فإذا يحدث لهذين الجسمين ؟ . من وجهة نظر المشاهد الخارجي الذي يشاهد ما يحدث خلال نافذة المصدر سيري أن المندبل والساعة سوف يسقطان نحو الأرض بنفس الطريقة وبنفس العجلة . ونحن نذكر أن عجلة جسم ساقط لا تتوقف أبداً على كتلته ؟ وأن هذه الحقيقة هي التي أظهرت تساوى الكتلة الجاذبية والكتلة القاصرة (صفحة ٢٦) . ونحن نذكر أيضاً أن تساوى هاتين الكتلتين كان مجرد صدفة فقط من وجهة نظر الميكانيكا

الكلاسيكية ولم يكن له أى أثر فى تكوين هذه الميكانيكا . ومع ذلك فإننا نرى هنا أيضاً أن هذا التساوى — الذى ظهر أثره فى تساوى المعادلة لجميع الأجسام الساقطة ذو أهمية كبيرة وأساسى جداً لدراستنا كلها .

لنعود مرة أخرى إلى موضوع التنديل والساعة الساقطين ؛ فن وجهه نظر المشاهد الخارجى يسقط كلا الجسمين بنفس المعادلة . ولكن المصد بجدرانه وأسقفه سيسقط بنفس المعادلة ، وإذن سيظل بعدا الجسمين المذكورين عن قاع المصد ثابتين لا يتغيرا . أما من وجهة نظر المشاهد الداخلى فإن الجسمين سيطلان دائماً فى مكانيهما ، تماماً كما تركهما المشاهد . وسيتجاهل المشاهد الداخلى مجال الجاذبية حيث أن مصدره يقع خارج مجموعته الإحداثية . وسيجد أنه ليست هناك أية قوى داخل المصد تؤثر على الجسمين ولذا فهما فى حالة سكون ، تماماً كما لو كانا فى مجموعة إحداثية قاصرة . وسنرى أن أموراً غريبة تحدث داخل المصد ! فإذا دفع المشاهد جسماً فى أى اتجاه ، إلى أسفل أو إلى أعلا مثلاً ، فإن هذا الجسم سيظل دائماً يتحرك حركة منتظمة ، ما دام لا يرتطم بسقف المصد أو قاعدته . وباختصار فإن قوانين الميكانيكا الكلاسيكية تتحقق داخل المصد فى نظر المشاهد الداخلى . وستتحرك جميع الأجسام طبقاً لقانون القصور الذاتى . وستختلف مجموعتنا الإحداثية الجديدة الثابتة فى المصد الساقط عن المجموعة الأحداثية القاصرة فى نقطة واحدة . يتحرك الجسم الذى لا تؤثر عليه أى قوة بانتظام إلى الأبد فى المجموعة الأحداثية القاصرة . ولا تنقيد المجموعة الإحداثية القاصرة — كما فرضت فى علم الطبيعة الكلاسيكى — بمكان أو زمان . وحالة المشاهد فى مصدنا مختلفة إذ أن خاصية القصور الذاتى فى مجموعته الإحداثية مقصورة على المكان والزمان . وسيأتى الوقت الذى يصطدم فيه الجسم المتحرك مع جدران المصد فتتغير حركته المنتظمة . وسيأتى أيضاً الوقت الذى يصطدم فيه المصد مع سطح الأرض فيبقى على المشاهدين وعلى تجاربهم أجمعين . فليست المجموعة الإحداثية سوى صورة مصغرة لمجموعة إحداثية قاصرة حقيقية .

والطابع المحلى للمجموعة الإحداثية جد أساسى . وإذا كان طول قاعدة

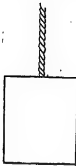
مصعدنا المأبوط يمتد من القطب الشمالى إلى خط الاستواء ، ووضعنا المندبل فوق القطب الشمالى والساعة فوق خط الاستواء فإن المشاهد الخارجى سيحكم بأن هذين الجسمين لن تكون لهما نفس العجلة وإذن لن يكونا ساكنين بالنسبة لبعضهما . وبهذا نقبل استنتاجاتنا !! وإذن يجب أن يكون المصعد ذو أبعاد محدودة بحيث تكون عجلة جميع الأجسام ثابتة بالنسبة للمشاهد الخارجى . وعلى هذا الأساس ، يكون للمجموعة الإحداثية صفة القصور الذاتى بالنسبة للمشاهد الداخلى . ويمكننا دائماً إيجاد مجموعة إحداثية تتحقق فيها جميع القوانين الطبيعية على الرغم من كونها محدودة فى المكان والزمان . فإذا تخيلنا مجموعة إحداثية أخرى ، كمصعد آخر يتحرك بانتظام بالنسبة للمصعد الآخر الساقط تحت تأثير الجاذبية وحدها فإن كلا من هاتين المجموعتين الإحداثيتين ستكون قاصرة علياً . وستكون القوانين نفسها متحققة فى كلا المجموعتين ، ويمكننا الانتقال من مجموعة إلى أخرى باستخدام تحويلات لورنتز . ولنستمع الآن إلى وصف كل من المشاهدين الخارجى والداخلى لما يحدث داخل المصعد .

سيلاحظ المشاهد الخارجى حركة المصعد وجميع الأجسام الكائنة داخله وسيجدها متفقة مع قانون نيوتن للجاذبية . وبالنسبة له لن تكون الحركة منتظمة بل ذات عجلة بسبب فعل مجال الجاذبية الأرضية . ولكن إذا افترضنا وجود جيل من علماء الطبيعة ، ولدوا ونشأوا فى المصعد فإن آراؤهم بصدد ما يحدث فى المصعد ستكون جد مختلفة ، إذ سيعتقدون فى وجود مجموعة قاصرة وسينسبون جميع قوانين الطبيعة إلى مصعدهم ، لأنهم يعتقدون — بحق — أن القوانين تأخذ صورة بسيطة فى مجموعتهم الإحداثية . وسيكون من الطبيعى فى رأيهم الفرض بأن مصعدهم ساكن لا يتحرك وأن مجموعتهم الإحداثية قاصرة .

ومن المستحيل فض الخلاف فى رأى بين المشاهدين الخارجى والداخلى ، فكل منهما يعتقد أن الصواب هو فى نسبة جميع الإحداثيات إلى مجموعته الإحداثية ويمكن وضع كل من الرأيتين فى وصف الظواهر الطبيعية فى صيغة مقبولة . وزى من هذا المثال أنه يمكن وضع نظريتين مقبولتين لوصف الظواهر

الطبيعية في مجموعتين إحدائيتين ، حتى ولو لم يكونا متحركين بانتظام بالنسبة لبعضهما . وفي مثل هذه النظريات يجب أن نعتبر « الجاذبية » فتكون بذلك « قنطرة » عكسنا من الانتقال من مجموعة إحدائية إلى أخرى . سيشرح المشاهد الخارجي بوجود مجال الجاذبية في حين أن المشاهد الداخلي لن يترف بوجوده . سيرى المشاهد الخارجي أن المصعد يتحرك بمجلة في مجال الجاذبية الأرضية ، في حين أن المشاهد الداخلي سوف يجزم بعدم وجود أى مجال للجاذبية في مجموعته ، ولكن « القنطرة » — أى مجال الجاذبية — التى سببت إمكان صياغة القوانين في صورة مقبولة في كلا المجموعتين ، تتصل اتصالاً وثيقاً بالتكافؤ بين كتلة الجاذبية والكتلة القاصرة . وبدون هذا الدليل — الذى لم تنبه إليه الميكانيكا الكلاسيكية — لن يكون هناك أى أساس لدراستنا الحالية .

لنعتبر الآن تجربة أخرى مثالية . لنفرض أن هناك مجموعة إحدائية قاصرة يتحقق فيها قانون القصور الذاتى . وقد سبق أن وصفنا ما يحدث في مصعد ساكن في مثل هذه المجموعة الإحدائية القاصرة . ولكننا سنغير تلك الصورة الآن . لنفرض أن حبلًا قد ثبت في المصعد وأن قوة ما ثابته أخذت في شد المصعد إلى أعلا في الاتجاه البين في الرسم . ولن يهمننا كيفية عمل ذلك . وحيث أن قوانين الميكانيكا تتحقق في هذه المجموعة الإحدائية فإن المصعد كله سيتحرك بمجلة ثابتة في اتجاه الحركة . لنستمع الآن مرة أخرى إلى ما يقوله كل من المشاهدين الخارجى والداخلى في وصف الظواهر التى تحدث في المصعد .



المشاهد الخارجى : : مجموعتى الإحدائية قاصرة . لى أشاهد المصعد يتحرك بمجلة ثانية ، لأن هناك قوة ثابتة تؤثر عليه ، وسيكون المشاهدون داخل المصعد في حركة مطلقة ولذا لن تتحقق قوانين الميكانيكا بالنسبة لهم . ولن يجدوا مثلاً أن الأجسام التى لا تؤثر عليها أنه قوى تظل ساكنة . وإذا ترك جسم في هواء المصعد فإنه سرعان ما يصطدم بقاعدة المصعد ، لأن تلك القاعدة تتحرك إلى أعلا

مقتربة من الجسم الساقط . ويحدث مثل هذا تماماً للساعة وللعنديل . ويدو من غير المؤلف في نظري أن يظل المشاهد الداخلي ملازماً لقاعدة المصعد ، لأنه إذا قفز إلى أعلا فسرعاين ما تلحق قاعدة المصعد .

المشاهد الداخلي : إنني لا أرى ما يجعلني أعتقد أن المصعد في حركة مطلقة . وأعتقد أن مجموعتي الإحداثية المثبتة في المصعد ليست حقيقة مجموعة قاصرة ولكنني لا أرى أن هذا له علاقة بالحركة المطلقة . فساعتى ومنديلى وجميع الأجسام تسقط نحو القاعدة لأن المصعد كله وقع تحت تأثير مجال الجاذبية . وأشاهد نفس أنواع الحركة كما يشاهدها المقيم على سطح الأرض بالضغط . وهو يشرحها بمنتهى البساطة على أساس الفرض بوجود مجال الجاذبية . وينطبق هذا الوصف تماماً على الحالة التى أنا بها .

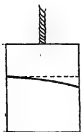
وهذا الوصف للظواهر الطبيعية من وجهتى نظر المشاهدين الخارجى والداخلى مقبول في حد ذاته ولا يمكننا أن نقرر أيهما هو الصواب . ويمكننا اتباع أيّا منهما لوصف الظواهر التى تحدث في المصعد ؛ إما الحركة غير المنتظمة وعدم وجود مجال الجاذبية في رأى المشاهد الخارجى ، أو الكون ووجود مجال الجاذبية بالنسبة للمشاهد الداخلى .

ويمكن للمشاهد الخارجى أن يفرض أن المصعد في حركة مطلقة غير منتظمة ولكن الحركة تحت تأثير مجال الجاذبية لا يمكن تسميتها حركة مطلقة .

ولعل هناك طريقاً للخلاص من التردد بين هاتين الطريقتين في وصف أحداث الطبيعة ، ولعلنا نستطيع التوصل إلى رأى خاص باتباع إحدى هاتين الطريقتين . لنفرض أن شعاعاً من الضوء مر خلال المصعد في اتجاه أفقى خلال نافذة جانبية ووصل إلى الجانب الآخر في برهة قصيرة . لنستمع مرة أخرى إلى رأى المشاهدين السابقين في مسار الضوء .

سيصف المشاهد الخارجى — الذى يمتد في أن المصعد يتحرك بهجلة — هذه الظاهرة لنا بقوله : يدخل الشعاع الضوئى من نافذة المصعد ويتحرك أفقياً

في خط مستقيم بسرعة ثابتة في اتجاه جدار المصعد المقابل للنافذة . ولكن المصعد يتحرك إلى أعلا ، ولذا فإن الضوء عند وصوله إلى الجدار المقابل ، يكون المصعد قد ارتفع عن مكانه قليلا ، وإذن سيقع الشعاع الضوئي على الجدار في نقطة أسفل من تلك التي تقابل نقطة دخول الشعاع الضوئي . وسيكون الفرق طفيفاً جداً ولكن وجوده حقيقة لا شك فيها ، وسيرى من بالمصعد أن الضوء لا يتحرك في خطوط مستقيمة بل في خطوط منحنية . وينجم هذا الفرق عن المسافة التي ارتفعها المصعد في نفس الزمن الذي يمر فيه الضوء خلاله .



سيقول المشاهد الداخلي — الذي يعتقد بوجود مجال الجاذبية الذي يؤثر على جميع الأجسام الموجودة بالمصعد — ليست هناك أية حركة ذات محلة بالمصعد ولكنني أشعر فقط بوجود مجال جاذبية . والشعاع الضوئي لا وزن له وإذن لن يتأثر بفعل الجاذبية . فإذا أرسل شعاع في اتجاه أفقي فإنه سيقابل الحائط في نقطة تقابل تماماً تلك التي أرسل منها .

ويسد من هذا أن هناك احتمالاً للحكم في جانب إحدى هاتين النظريتين المختلفتين ، لأن الظاهرة الأخيرة ستكون مختلفة في نظر كل من المشاهدين . وإذا كان هناك شيء غير منطقي في إحدى هاتين النظريتين فإن أسس دراستنا كلها تنهار ، ولا يمكننا أن نصف كل الظواهر بطريقتين مقبولتين على أساس فرض وجود مجال للجاذبية أو عدم وجوده .

ومن حسن الحظ أن هناك خطأ كبيراً في تحليل المشاهد الداخلي ، إذ يقوله إن شعاع الضوء لا وزن له وبذلك لن يتأثر بفعل الجاذبية ، لأن ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً ! فالشعاع الضوئي يحمل طاقة ولطاقة كتلة . وتتأثر كل كتلة قاصرة بمجال الجاذبية لأن الكتلة القاصرة وكتلة الجاذبية متكافئتان . وإذن ينحني الشعاع الضوئي في مجال الجاذبية تماماً كما يحدث لجسم قذف بسرعة الضوء في اتجاه أفقي .

ولو أبدى الشاهد الداخلى أسباباً صحيحة واعتبر انحناء الأشعة الضوئية في مجال الجاذبية لا تفقت نتائجه مع ما يراه الشاهد الخارجى .

وطبىبى أن مجال الجاذبية الأرضية ضعيف جداً لدرجة أننا لا نستطيع قياس انحناء الأشعة الضوئية بعملياً . ولكن التجارب الشهيرة التى أجريت أثناء خسوف الشمس قد أظهرت بشكل قاطع — وإن يكن غير مباشر — تأثير مجال الجاذبية على مسار شعاع ضوئى .

ويشج من هذه الأمثلة أن هناك أملاً قوياً فى بناء علم الطبيعة على أساس النظرية النسبية . ولكن يجب أولاً أن ندرس موضوع الجاذبية .

وقد رأينا من مثال المصعد الصورتين المقيولتين لوصف أحداث الطبيعة . فقد نفرض وجود حركة غير منتظمة وقد لا نفرضها . ويمكننا حذف الحركة « المطلقة » من أمثلتنا بفرض وجود مجال للجاذبية . أى أن الحركة غير المنتظمة ليس فيها شئ من صفة الإطلاق ، إذ أن مجال الجاذبية يقضى عليها قضاء مبرماً .

ويمكننا طرد أشباح الحركة المطلقة والمجموعة الأحداثية القاصرة من علم الطبيعة وبناء علم طبيعة نسبي . وترينا تجاربنا التالية كيف يرتبط موضوع نظرية النسبية العامة ارتباطاً وثيقاً مع موضوع الجاذبية ولذا ينشر تكافؤ الكتلة القاصرة مع كتلة الجاذبية ذا أهمية بالغة فى هذا الارتباط . ومن الواضح أن حل موضوع الجاذبية فى النظرية العامة للنسبية يجب أن يختلف عن الحل المبني على أساس نظرية نيوتن . يجب أن تصاغ قوانين الجاذبية — ككل القوانين الطبيعية — لجميع المجموعات الإحداثية الممكنة ، فى حين أن قوانين الميكانيكا الكلاسيكية كما صاغها نيوتن تتحقق فقط فى المجموعات الإحداثية القاصرة .

الهندسة والتجربة :

لعل مثالنا التالى يكون أكثر إمعاناً فى الخيال من مثال المصعد الساقط . وعلينا الآن أن ندرس موضوعاً جديداً وهو الصلة الموجودة بين نظرية النسبية العامة وبين الهندسة ولنبدأ بوصف عالم تعيش فيه مخلوقات ذات بعدين فقط .

وليس ذات أبعاد ثلاثة مثلنا ، وقد عودتنا السينا على المخلوقات ذات البعدين التي تمثل وتعيش على الشاشة ذات البعدين أيضاً . لتتصور أن هذه الأشكال الخيالية — أى المثاليين على الشاشة — لها وجود حقيقى وتتميز بالقدرة على التفكير والقيام بدراسات علمية وأن الشاشة ذات البعدين تمثل الفضاء الهندسى لهذه المخلوقات وستكون هذه المخلوقات عاجزة عن تخيل وجود فضاء ذى ثلاثة أبعاد ، تماماً كما أننا نعجز عن تخيل عالم ذى أربعة أبعاد . وستعرف هذه المخلوقات الخطوط المستقيمة والمنحنية والدوائر ولكنها ستعجز عن بناء كرة لأن هذا يتطلب منها الابتعاد عن الشاشة ذات البعدين . ونحن فى موقف مماثل إذ نستطيع ثنى الخطوط المستقيمة والسطوح ولكن يشق علينا تصور انحناء فضاء ذى ثلاثة أبعاد .

وتستطيع الأشباح الثنائية الأبعاد الإلمام بأصول هندسة إقليدس ذات البعدين بواسطة المعيشة والتفكير والتجارب . فيمكنها مثلاً اثبات أن مجموع زوايا المثلث تساوى ١٨٠ درجة ويمكنها كذلك رسم دائرتين متحدتين فى المركز ، إحداها صغيرة والأخرى كبيرة . وستجد أن نسبة محيطى هاتين الدائرتين إلى بعضهما تساوى نسبة نصف القطرين ، وهى نتيجة مميزة لهندسة إقليدس . فإذا كانت الشاشة لانهائية فى الكبر فإن هذه المخلوقات ستجد أنها إذا حاولت القيام برحلة فى خط مستقيم فإنها لن ترجع أبداً إلى النقطة التى بدأت منها رحلتها .

لنتصور أن هذه المخلوقات الثنائية الأبعاد تعيش فى ظروف مختلفة . لتتصور مثلاً أن شخصاً من العالم ذى الثلاثة أبعاد قد حمل هذه المخلوقات ونقلها من الشاشة إلى سطح كرة ذات نصف قطر كبير جداً . فإذا كانت هذه الأشباح صغيرة جداً بالنسبة للسطح كله وإذا لم تكن لديهم وسائل للمواصلات البعيدة ولا يمكنهم التحرك طويلاً فإنهم لن يدركوا أى تغير ، فمجموع الزوايا فى المثلثات الصغيرة ستساوى ١٨٠ درجة ، وستظل نسبة نصقى قطرى دائرتين صغيرتين متحدتين فى المركز كنسبة محيطيهما . وستكون الرحلة فى خط مستقيم غير مؤدية إلى نقطة الابتداء فى رأيهم .

ولكن لنفرض أن هذه الأشباح قد أخذت بمرور الوقت فى تنمية معلوماتها

الفنية والعلمية فاكشفوا وسائل للمواصلات تمكنهم من قطع المسافات الطويلة بسرعة . فسرعان ماوجدوا حيثئذ أنه عند بدء رحلة في خط مستقيم سيرجعون في النهاية إلى حيث بدأوا . ويسمى الخط المستقيم الدائرة الكبيرة للسكرة . وستجد هذه الأشباح أيضاً أن نسبة محيطي الدائرتين المتحدتين في المركز ليست مساوية لنسبة نصفي القطرين ، إذا كان أحد نصف القطرين صغيراً والآخر كبيراً .

فإذا كانت مخلوقاتنا ذات البعدين عاقضة وكانت قد تعلمت الهندسة الاقليدية منذ أجيال ماضية عندئذ يمكن في استطاعتها السفر بعيداً وعندما كانت هذه الهندسة منطبقة على الحقائق العلمية ، فانهم سيحاولون جاهدين التمسك بها رغم نتائج قياساتهم . سيحاولون نسبة تلك الاختلافات إلى أسباب طبيعية كتغيرات في درجة الحرارة تؤدي إلى تغير اشكال الخطوط المستقيمة وتسبب خرق قواعد هندسة إقليدس . ولكنهم سيجدون إن آجلاً أو عاجلاً أن هناك طريقاً أقرب إلى المنطق لوصف تلك الحوادث . سوف يدركون أن عالمهم محدود ذو قواعد هندسية تختلف عن تلك التي تعلموها . سيفهمون أنه على الرغم من معجزهم عن تخيل ذلك فإن عالمهم هو سطح كرة ثنائي الأبعاد . وسرعان ما سيتعلمون قواعد هندسية جديدة ستكون - على الرغم من اختلافها عن هندسة إقليدس - مصافحة في قالب منطق مقبول ، تنطبق على عالمهم ذي البعدين . وفي رأى جيل جديد ، درج على معرفة هندسة الكرة ستظهر هندسة إقليدس القديمة أكثر تعقيداً وغير طبيعية لأنها لا تتفق مع الحقائق العلمية .

لنرجع الآن إلى مخلوقات عالمنا ذات الأبعاد الثلاثة .

ماذا نغني بقولنا إن العالم ذا الأبعاد الثلاثة له طابع إقليدي ؟ معنى ذلك أننا نستطيع بالتجربة المباشرة إثبات جميع نظريات هندسة إقليدس المنطقية . ويمكننا بفضل استخدام الأجسام المتناسكة أو الأشعة الضوئية تكوين أو بناء أجسام تشبه الأجسام المثالية في هندسة إقليدس . غافة المسطرة أو الشعاع الضوئي تشبه الخط المستقيم ، وجميع زوايا المثلث المكون من قضبان متناسكة يساوي ١٨٠ درجة ، ونسبة نصفي أقطار دائرتين متحدتين في المركز ومصنوعتين من سلك دقيق تساوي

النسبة بين طولى المحيطين . فهذه الطريقة تصبح هندسة إقليدس فصلا من علم الطبيعة . ولكننا نستطيع تخيل إكتشاف انحرافات ، فمثلا مجموع زوايا مثلث كبير مصنوع من قضبان صلبة متماسكة يختلف عن ١٨٠° . ولكي نقذف هندسة إقليدس يجب أن نفرض أن الأجسام ليست صلبة تماما وبأنها لاتصلح لكي نستخدمها في تمثيل هندسة إقليدس . وسنحاول أن نوجد للأجسام تمثيلا أفضل يتفق مع مبادئ هندسة إقليدس . فإذا لم ننجح في الربط بين هندسة إقليدس وعلم الطبيعة في صورة بسيطة مقبولة فإن علينا أن ننبذ فكرة كون فضاءنا إقليديا ، ونبحث عن صورة أكثر تناسقا في تمثيل الحقيقة وتحتوى على افتراضات عامة . متعلقة بالخواص الهندسية لفضاء عالمنا .

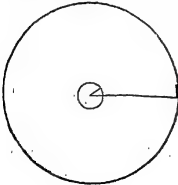
ويمكننا التذليل على ضرورة ذلك بتجربة مثالية تثبت لنا ، أنه لكي يكون لعلم الطبيعة خواص نسبية حقيقية يجب ألا ننبئ على أساس الخواص الإقليدية . وستتطلب دراستنا نتائج معروفة خاصة بالمجموعات الإحداثائية القاصرة ونظرية النسبية الخاصة .

لنتصور قرصاً كبيراً مرسوما عليه دائرتان متحدتان المركز ، إحداها صغيرة والأخرى كبيرة جداً ، ولنفرض أن القرص أخذ يدور بسرعة كبيرة بالنسبة لمشاهد خارجي في حين أن هناك مشاهداً آخر مستقراً فوق هذا القرص . سنفرض أيضاً أن مجموعة المشاهد الخارجى الإحداثائية مجموعة قاصرة وأنه رسم في مجموعته الإحداثائية نفس الدائرتين الصغرى والكبرى . وحيث أن الهندسة الإقليدية تتحقق في مجموعته ، فإنه سيوجد أن نسبة المحيطين ستساوى نسبة نصف القطرين . أما بخصوص المشاهد المستقر فوق القرص فإن علم الطبيعة الكلاسيكى وكذلك النظرية النسبية الخاصة لاتسمح لنا باتباع مثل هذه المجموعات الاحداثائية ، ولكن إذا رغبنا في البحث عن صيغ جديدة للقوانين الطبيعية تتحقق في أية مجموعة احداثائية فإننا يجب أن نهتم بدراسة وجهات نظر المشاهدين الداخلى والخارجى على حد سواء . ونحن هنا في الخارج نرغب المشاهد الداخلى في محاولته لقياس طول محيط ونصف قطر كل من الدائرتين على القرص الدائر ، باستخدام نفس قضيب القياس الصغير الذى يستخدمه المشاهد الخارجى . وكلمة «نفس» هنا تعنى إما حقيقة نفس

المقياس بأن يتسلط المشاهد الداخلي من الخارجى أو بأنه كان أحد مقياسين لها نفس الطول فى مجموعة لإحداثية ساكنة .

سيبدأ المشاهد الداخلي من فوق القرص بقياس نصف القطر والمحيط للدائرة الصغيرة ويجب أن تتفق نتيجته مع نتيجة المشاهد الخارجى . وحيث أن محور دوران القرص يمر خلال مركز القرص فإن أجزاء القرص القريبة من المركز ستكون ذات سرعة بسيطة جداً . فإذا كانت الدائرة الصغيرة ذات نصف قطر صغير جداً فإننا يمكننا تجاهل النظرية النسبية الخاصة واستخدام الميكانيكا الكلاسيكية، وينتج من ذلك أن قضيب المقياس سيكون له نفس الطول بالنسبة للمشاهدين الداخلي والخارجى وأن نتيجة المقياس ستكون واحدة بالنسبة لكليهما . لنفرض الآن أن المشاهد الداخلي قد بدأ فى قياس نصف قطر الدائرة الكبيرة ووضع المقياس فعلا على نصف القطر مستمراً فى عملية . سيرى المشاهد الخارجى أن قضيب المقياس يتحرك فى اتجاه عمودى على طوله وبذا لن يمانى انكماشاً فى الطول وسيظل كالمو، أى ثابتاً بالنسبة لجميع المشاهدين أى أن ثلاثاً من الأربعة كميات التى نريد قياس أطوالها لن تتأثر بحركة دوران القرص وهى نصف القطرين ومحيط الدائرة الصغيرة . ولكن الحالة ليست كذلك بالنسبة للكمية الرابعة ! فسيكون طول محيط الدائرة الكبيرة مختلفاً بالنسبة للمشاهدين . فعند وضع قضيب المقياس على المحيط فى اتجاه الحركة سينكش طوله بالنسبة للمشاهد الخارجى — أى بالنسبة إلى قضيب مقياسه — فى مجموعته الساكنة . وحيث أن السرعة كبيرة جداً بالنسبة لحالة الدائرة الصغيرة

فإننا لا يمكننا التناضى عن هذا الانكماش . فإذا استخدمنا نتائج نظرية النسبية الخاصة فإن استنتاجنا سيكون : إن نتائج قياس محيط الدائرة الكبيرة ستكون مختلفة بالنسبة للمشاهدين الداخلي والخارجى . وحيث أن إحدى الأطوال الأربعة المراد



قياسها ، فقط قد اختلفت ، فإن نسبة نصف القطرين لا يمكن أن تساوى نسبة محيطي الدائرتين بالنسبة لكل من المشاهدين الداخلى والخارجى . ومن هذا ينتج أن هندسة إقليدس لا يمكن أن تنطبق على حالة القرص الدائر .

وعند الوصول إلى هذه النتيجة يمكن للمشاهد المستقر فوق القرص أن يترض بقوله أنه يود اعتبار المجموعة الإحداثية التى لا تتحقق فيها هندسة إقليدس . وينسب عدم انطباق هندسة إقليدس إلى الحركة الدورانية المطلقة ؛ إلى حقيقة كون مجموعته الإحداثية مجموعة غير مقبولة وغير مسموح لنا استخدامها . ولكن الاعتراض بهذه الطريقة ينطوى على رفض المشاهد الداخلى قبول الفكرة الأساسية للنظرية العامة للنسبية . ومع ذلك فإذا رغبتنا فى نيل الحركة المطلقة واتباع آراء النظرية العامة للنسبية فإن علم الطبيعة يجب أن يبنى على أساس نوع من الهندسة يكون أكثر تعميماً من هندسة إقليدس . وليست هناك طريقة ما لتخلص من هذه النتيجة مادام من المسموح به استخدام جميع المجموعات الإحداثية .

والتغيرات التى استحدثتها نظرية النسبية العامة لانتحصر فى المكان وحده . وقد كان لدينا فى النظرية النسبية الخاصة ساعات متشابهة تماماً وتدور بكيفية واحدة وكانت مثبتة فى كل مجموعة إحداثية . ولعلنا نتساءل الآن عما يحدث لساعة تابعة لمجموعة إحداثية غير قاصرة : سترجع ثانية إلى مثال القرص الدائر ونحاول استخلاص الإجابة . سيكون فى حوزة المشاهد الخارجى مجموعة من الساعات المضبوطة والموحدة التقدير ، مثبتة فى مجموعته القاصرة . سيأخذ المشاهد الداخلى ساعتين من نفس النوع وسيضع إحداها على الدائرة الداخلية الصغيرة والأخرى على الدائرة الخارجية الكبيرة . سيكون للساعة المثبتة فى الدائرة الصغيرة سرعة صغيرة جداً بالنسبة للمشاهد الخارجى ويمكننا إذن أن نقول بأن نظام توقيتها سيكون مشابهاً لتوقيت ساعة المشاهد الخارجى . ولكن سرعة الساعة المثبتة فى الدائرة الكبيرة سرعة كبيرة جداً ، ولذا فإن نظام توقيتها سيختلف كثيراً عن توقيت ساعات المشاهد الخارجى ، وإذن ستختلف أيضاً عن توقيت الساعة الموضوعة على الدائرة الصغيرة . وإذن سيكون نظام توقيت الساعتين الدائرتين مختلفاً ،

وبتطبيق نتائج نظرية النسبية الخاصة نرى أنه في مجموعتنا الإحداثية ذات الحركة الدورانية لا يمكننا عمل ترتيبات مشابهة لتلك الموجودة في مجموعة إحداثية قاصرة . ولايضاح الاستنتاجات التي يمكننا الحصول عليها من هذه التجربة ومن مثيلاتها السابقة سنذكر جانباً من الحديث الذي سبق ذكر بعضه بين العالم الطبيعي القديم « ح » الذي يؤمن بالطبيعة الكلاسيكية وبين العالم الطبيعي الحديث « ع » الذي يعرف نظرية النسبية العامة . و « ح » هو المشاهد الخارجي في المجموعة الإحداثية القاصرة بينما « ع » هو المشاهد المقيم فوق القرص الدائر .

« ح » : لا تتحقق الهندسة الإقليدية في مجموعتك الإحداثية . لقد شاهدت قياساتك وأوافقك على أن نسبة طولى المحيطين في مجموعتك الإحداثية ليست مساوية للنسبة بين نصفي القطرين . ولكن هذا يثبت أن مجموعتك الإحداثية مجموعة غير مسموح بها . أما مجموعتي فتتميز بطابع القصور الذاتي . ويمكنني استخدام هندسة جاليليو دون أى تفكير . والقرص الذي يدور بك ذو حركة مطلقة . وإنه فهو يمثل مجموعة إحداثية غير مقبولة من وجهة النظر الكلاسيكية ، لا تتحقق فيها قوانين الميكانيكا .

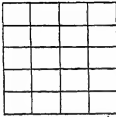
« ع » : لا أود سماع أى شيء يتعلق بالحركة المطلقة ، وتستوى مجموعتي الإحداثية مع مجموعتك سواء بسواء ، لا فرق بينهما . وقد نشأ ملاحظته عن حركة قرصك الدورانية بالنسبة للقرص الذي أقيم عليه . وليس هناك ما يمنع من أن أنسب كل الحركات إلى القرص الذي أعيش فوقه .

« ح » : ولكن ألا تشعر بقوة غريبة تحاول دفعك بعيداً عن مركز القرص ؟ فلوم يكن قرصك داراً بسرعة كبيرة فإن ملاحظته ما كان ليحدث أبداً . فإنك ما كنت تشعر بالقوة التي تدفعك إلى الخارج كما أنك ما كنت لتلاحظ أن هندسة إقليدس لا تنطبق في مجموعتك الإحداثية ، أما تعتقد أن في هذه الحقائق ما يكفي لإقناعك بأن مجموعتك الإحداثية في حركة مطلقة ؟

« ع » : كلا . كلا ! إنى حقاً قد لاحظت الظاهرتين اللتين أشرت إليهما

ولكننى أعتقد أن هناك مجالا غريباً للجاذبية يؤثر على القرص ويعتبر مسئولاً عن ظهور هاتين الظاهرتين ، ويسبب اتجاه مجال الجاذبية إلى خارج القرص تهرباً في شكل القضبان المتأسكة ويؤثر على نظام توقيت الساعات التى أستخدمها . وإنى أعتقد أن مجال الجاذبية والهندسة غير الأفليدية والساعات ذات التوقيت المختلف كلها مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً . ولكى تصبح مجموعتى الإحداثيه مقبولة يجب علىّ فى نفس الوقت أن أفرض وجود مجال مناسب للجاذبية ذى تأثير على القضبان المتأسكة والساعات .

« ب » : ولكن هل أنت متنبه إلى الصعوبات المتسببة عن نظريتك العامة للنسبية ؟ ولكى أوضح ما أرى إليه سأسوق مثالا لا يمت بصلة إلى علم الطبيعة . لتتصور مدينة أمريكية مثالية تتكون من شوارع متوازية وأخرى عمودية عليها ، مع فرض أن المسافة بين كل شارعين واحدة فى جميع الحالات . وإنّ تكون مجموعات الباني متماثلة دائماً فى الشكل . وبهذه الطريقة يمكننى بسهولة تمييز موقع أى مجموعة من مجموعات الباني ، ولكن مثل هذا النظام سيكون مستحيلا بدون هندسة إقليدس . فمثلا لا يمكننى تقسيم سطح الأرض كله بنفس الطريقة التى قسمنا بها مساحة المدينة الأمريكية . ونظرة واحدة إلى خريطة العالم تقنعنا بهذا . وكذلك لا يمكننا تقسيم القرص الذى نعيش عليه بنفس الطريقة . وأنت تدعى أن مجال الجاذبية يؤثر على أبعاد قضبانك ، ولا شك أن هجرك عن إثبات نظرية إقليدس الخاصة بتساوى نسبة أنصاف الأقطار ومحيطات الدوائر ليثبت لك بوضوح أنك إذا قت بمثل هذا التقسيم للشوارع فإنك ستقابل إن أجلا أو عاجلا مصاباً كثيرة وستجد أن مثل هذا العمل لا يمكن القيام به على سطح القرص . والهندسة التى تتبعها على قرصك الدائر تشبه هندسة السطح المنحنى حيث لا يمكننا إقامة مثل هذا النظام على بقعة كبيرة من السطح . ولذكر مثال ذى صلة بعلم الطبيعة سنعتبر مستوى يسخن بغير انتظام فى نقط مختلفة من سطحه . فهل يمكنك بواسطة استخدام قضبان حديدية صغيرة ممتدة فى الطول بتأثير الحرارة ، لإتمام عملية تقسيم المستوى إلى شوارع متوازية وأخرى متعامدة كالرسم فى الشكل

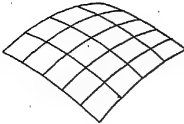


الرفق ؟ بالطبع لا ! إن مجال الجاذبية الذى تفرضه يؤثر على قضبانك كتأثير التنير فى درجة الحرارة على القضبان الحديدية الصغيرة .

« ح » : كل هذا لا يروعى . إن الفرض

من نظام الشوارع المتوازية والمتعامدة كان لتعين

أماكن النقط ، وتستخدم الساعة لتنظيم وقوع الأحداث ولا يلزم أن تكون المدينة أمريكية ، بل قد تكون مدينة أوروبية قديمة . لنفرض أن مدينتنا المثالية قد صنعت من الصلصال ثم غيرت أشكالها بعد ذلك . سأستطيع مع ذلك أن أذكر مجموعات المنازل والشوارع المتوازية والأخرى المتعامدة على الرغم من أنها لم تعد متوازية وعلى أبعاد متساوية من بعضها . وبالمثل ترمز خطوط الطول والعرض على سطح أرضنا إلى أوضاع النقط رغمًا عن عدم وجود « نظام تقسيم المدينة الأمريكية » .



« د » : ما زالت هناك

صعوبة . فأنت مضطر دائماً إلى

إلى استخدام « نظام المدينة

الأوروبية » ، وأنا أوافقك على

أنه يمكنك تنظيم النقط أو

الأحداث ، ولكن هذا التنظيم

سيحدث اضطراباً فى جميع قياسات المسافات ، ولن يعطيك الخواص القياسية للعالم كما هى الحالة فى التنظيم الذى سبق أن ذكرته . فمثلاً فى مدينتى الأمريكية ، لكى تقطع مسافة متكافئة لمشرة مجموعات بنائية ، يجب أن تسير ضعف مسافة خمسة مجموعات . وحيث أننى أعلم أن جميع المجموعات متساوية فمأستطيع تعيين المسافات على الفور .

« ح » : هذا صحيح ؛ فى « نظام مدينتى الأوروبية » لا أستطيع قياس

المسافات فوراً بعدد المجموعات ذات الأشكال المتغيرة . ويجب أن أعرف شيئاً

أكثر ، يجب أن أعرف الخواص الهندسية للسطح . فكما نعرف أن المسافة عند خط الاستواء بين خطي الطول 0° ، 10° لا تساوي المسافة بين 0° ، 10° عند القطب الشمالي ، فإنه في استطاعة كل بحار أن يعرف المسافة بين مثل هاتين النقطتين على سطح الأرض لأنه يعرف خواصها الهندسية . ويمكنه عمل ذلك إما بطريق الحساب المبنى على أساس معرفته لحساب الثلاثات السكرو أو عملياً بقياس المسافة بواسطة تحريك سفينته بسرعة ثابتة في كلا المسافتين . أما في حالتك فالسؤال جدي بسيط ، لأن كل الشوارع تبعد عن بعضها بنفس المسافة . والأمور أكثر تعقيداً على سطح الأرض لأن خطي الزوال 0° ، 10° يتقابلان عند قطب الأرض الشمالي ، وتبلغ المسافة بينهما نهايتها العظمى عند خط الاستواء . وبالمثل في حالة « نظام مدينتي الأوروبية » يجب أن أعرف شيئاً أكثر مما نعرفه في حالة مدينتك الأمريكية « لكي أقدر المسافات . ويمكنني معرفة هذه المعلومات الإضافية بدراسة الخواص الهندسية لعالمى في كل حالة خاصة .

« ب » : ولكن هذا كله يهدف إلى إظهار الصعوبات والتعقيدات التي تنشأ عند نبذ النظام البسيط الناتج عن هندسة إقليدس ، واتباع نظام السقالة المعقد الذي لا بد لك من استخدامه . فهل هناك ضرورة لذلك ؟

« ح » : نعم لا مفر من ذلك ، إذا أردنا تطبيق علم الطبيعة على أية مجموعة إحدائية ، دون الإشارة إلى المجموعة الإحدائية القاصرة المهمة . وأنا أوافقك على أن وسائل الرياضيات أكثر تعقيداً من وسائلك ، ولكن فروض الطبيعة أكثر بساطة وأقرب إلى الطبيعة من فروضك .

وقد انحصرت دراستنا حتى الآن في العالم ذي البعدين . وبتتركز اهتمام النظرية العامة للنسبية في عالم أكثر تعقيداً ، هو عالم الزمان والمكان ذو الأربعة الأبعاد . ولكن الآراء والمعتقدات هي نفسها التي ذكرناها في حالة البعدين . ولا يمكننا استخدام « السقالة الميكانيكية » ذات القضبان المتوازية والتعامدة والساكنات المضبوطة في نظرية النسبية العامة ، كما في نظرية النسبية الخاصة . وفي أية مجموعة إحدائية لا يمكننا تعيين النقطة والحظة اللتين يقع عندهما الحدث ، باستخدام

قضبان متساكة وساعات مضبوطة ذات نظام توقيت موحد، كما هي الحال في المجموعة الإحداثية القاصرة المفروضة في نظرية النسبية الخاصة. ولكن يمكننا تنظيم الأحداث بواسطة قضباننا غير الإقليدية وساعاتنا ذات التوقيت المختلف. ولكن القياسات الفعلية التي تحتاج إلى قضبان متساكة وساعات مضبوطة ذات نظام توقيت موحد، يمكن عملها فقط في المجموعات الإحداثية القاصرة المحلية. وتتحقق نظرية النسبية الخاصة في هذه المجموعات الأخيرة، ولكن مجموعتنا الإحداثية الصحيحة محلية فقط وخواصها القاصرة محدودة في المكان والزمان. ويمكننا التنبؤ في أية مجموعة إحداثية بنتائج القياسات التي نقوم بها في المجموعة الإحداثية القاصرة. ولعمل ذلك يجب أن نعرف الخواص الهندسية لعالنا المكاني — الزماني.

وتوضح لنا تجاربنا التالية فقط الخواص العامة لعلم الطبيعة النسبي الحديث، وتظهر لنا هذه التجارب أن موضوعنا الرئيسي هو الجاذبية، وأن النظرية العامة للنسبية تؤدي إلى تعميم أكبر لمعتقدات المكان والزمان.

النسبية العامة وتحقيقتها :

تحاول النظرية العامة للنسبية صياغة القوانين الطبيعية لكي تتحقق في جميع المجموعات الإحداثية. والموضوع الأساسي للنظرية هو الجاذبية. وتبذل النظرية أول محاولة جدية — منذ عهد نيوتن — لصياغة قانون الجاذبية، فهل هذا ضروري، مع ما نلسمه من انتصارات نظرية نيوتن والتقدم الكبير في علم الفلك المبني على أساس قانون نيوتن للجاذبية ؟ ومع أن هذا القانون ما يزال يعتبر حتى الآن أساساً لكل الحسابات الفلكية. ومن ناحية أخرى لا تخفى علينا الاعترافات على هذه النظرية القديمة.

ويتحقق قانون نيوتن فقط في المجموعة الإحداثية القاصرة لعلم الطبيعة الكلاسيكي، أي في المجموعات الإحداثية التي يشترط فيها — كما نذكر — تحقيق قوانين الميكانيكا. وتتوقف القوة الموجودة بين كتلتين على المسافة الموجودة بينهما. والعلاقة الموجودة بين القوة والمسافة هي كما نعلم لازمة — أي لا تتغير — بالنسبة

للتحويلات الكلاسيكية . ولكن هذا القانون لا يتفق ونظرية النسبية الخاصة . فليست المسافة لازمة بالنسبة لتحويلات لورنتر . ويمكننا أن نحاول — كما فعلنا بنجاح في حالة قوانين الحركة — تعميم قانون الجاذبية لكي نجعله يتفق مع نظرية النسبية الخاصة أو بعبارة أخرى نصوغه بحيث يكون لازماً بالنسبة لتحويلات لورنتر ، لا بالنسبة للتحويلات الكلاسيكية . ولكن قانون نيوتن للجاذبية قاوم بعناد جميع الجهود التي بذلت لتبسيطه وجعله متمشياً مع نظرية النسبية الخاصة . وحتى إذا فرضنا نجاحنا في ذلك فإن هناك خطوة أخرى ضرورية لا بد منها : هي الانتقال من المجموعة الإحداثية الاختيارية إلى نظرية النسبية العامة . ومن جهة أخرى فإننا نرى بوضوح من التجارب المثالية المتعلقة بالمصد الساقط أنه لا مندوحة لنا من حل مشكلة الجاذبية لكي تتمكن من صياغة نظرية النسبية العامة . ويتضح لنا من دراستنا سبب اختلاف حل موضوع الجاذبية في علم الطبيعة الكلاسيكي عنه في النسبية العامة .

وقد حاولنا إيضاح الطريق المؤدى إلى النظرية العامة للنسبية والأسباب التي تدفعنا مرة أخرى إلى تغيير آرائنا القديمة . وسنحاول — دون أن ندخل في تفاصيل التركيب الرياضي للنظرية — إظهار بعض خصائص لنظرية الجاذبية الجديدة تميزها عن النظرية القديمة . ولن يكون من العسير علينا التنبيه إلى طبيعة هذه الفروق نظراً لما سبق لنا إيضاحه :

١ — يمكن تطبيق معادلات الجاذبية لنظرية النسبية العامة في أى مجموعة إحداثية . وسيكون لأى شخص حرية اختيار المجموعة الإحداثية المناسبة في أى مسألة خاصة . وستكون كل المجموعات الإحداثية شكلياً سواء في نظرنا . وإهمال الجاذبية نرجع أوتوماتيكياً إلى المجموعة الإحداثية القاصرة في النظرية النسبية الخاصة .

٢ — يربط قانون نيوتن للجاذبية بين حركة جسم في لحظة ما بمكان معين وبين فعل جسم آخر في نفس اللحظة على مسافة بعيدة من الجسم الأول . وهذا

هو القانون الذى وضع لنا أساس نظريتنا الميكانيكية كلها . ولكن النظرية الميكانيكية قد أنهارت ، ولسنا فى قوانين ما كسويل نظاماً جديداً لقوانين الطبيعة . ومعادلات ما كسويل هى قوانين بنائية ، إذ أنها تربط الأحداث التى تقع الآن فى مكان ما بتلك التى ستحدث بعد فترة وجيزة فى نقطة قريبة . وهى تؤدي إلى القوانين التى تصف التنيرات فى المجال الكهرمغناطيسى . ومعادلات الجاذبية الجديدة هى أيضاً معادلات بنائية تصف التنيرات فى مجال الجاذبية . ويمكننا القول بأن الانتقال من قانون نيوتن للجاذبية إلى النسبية العامة يشبه لحد ما الانتقال من الموائع الكهربائية وقانون كولوم إلى نظرية ما كسويل .

(٣) وليس علمنا إقليدياً ، وتكيف طبيعته الهندسية بالكتل الموجودة وسرعها . وتحاول معادلات الجاذبية فى نظرية النسبية العامة إظهار الخواص الهندسية للعالم .

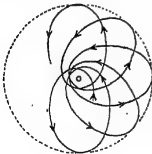
ولنفرض الآن أننا نجحنا فى إنعام برنامج نظرية النسبية العامة . ولكن أسنا فى خطر الحصول على استنتاجات قد تكون بعيدة عن الحقيقة ، ونحن نعلم أن النظرية القديمة تشرح تماماً المشاهدات الفلكية ؟ هل يمكننا مطابقة النظرية الجديدة بالمشاهدات العملية ؟ ويجب تحقيق كل نتائج نظرية النسبية عملياً ، وبذاتى نتائج — مهما كانت شيقة وجذابة — إذا كانت تتعارض مع الحقائق العملية . وماذا كانت نتيجة مقارنة نظرية الجاذبية الجديدة بالحقائق العملية ؟ يمكننا الإجابة على هذا السؤال بعبارة واحدة : النظرية القديمة هى حالة خاصة نهائية للنظرية الجديدة . فإذا كانت القوى الجاذبية ضعيفة نسبياً ، فإن قانون نيوتن القديم يصبح قريباً جداً من قانون الجاذبية الجديد . وإذن ينتج أن النتائج التى تؤيد النظرية الكلاسيكية ستؤيد أيضاً النظرية العامة للنسبية . وهأنحى قد توصلنا ثانية إلى النظرية القديمة من طريق النظرية الجديدة .

وحتى على فرض عدم وجود مشاهدات إضافية تؤيد النظرية الجديدة ، وإذا كانت شروحها صالحة تماماً مثل القديمة وكان علينا أن نختار بين النظريتين فإنه

يجب علينا بلا شك أن نتحاذى إلى جانب النظرية الجديدة . ومعادلات النظرية الجديدة هي أكثر تعقيداً من الوجهة الشكلية ولكن فروضها ، من وجهة نظر الافتراضات الأساسية ، أكثر سهولة . فقد اختفى الشبحان الخفيان : الزمن المطلق والمجموعة القاصرة ؛ ولم تناض عن تكافؤ الكتلتين القاصرة والجاذبية ؛ ولن نحتاج إلى فرض بخصوص القوى الجاذبية وتوقفها على المسافة ، ولعادلات الجاذبية شكل القوانين البنائية وهو الشكل المطلوب لجميع القوانين الطبيعية منذ الانتصارات الرائعة لنظرية المجال .

وقد أمكننا الحصول على استنتاجات جديدة من قوانين الجاذبية الجديدة ، لايضمها قانون نيوتن للجاذبية . وإحدى هذه الاستنتاجات هي ظاهرة انحناء الأشعة الضوئية في مجال الجاذبية التي نوهنا عنها فيما سلف . وستذكر الآن مثالين آخرين .

إذا كانت القوانين القديمة تنتج من الجديدة عند ما تكون القوى الجاذبية ضعيفة فإننا يمكننا توقع الانحراف عن قانون نيوتن للجاذبية فقط في حالة مجالات الجاذبية القوية . لنعتبر مجموعتنا الشمسية مثلاً . فالكواكب — بما فيها الأرض — تتحرك في مسارات حول الشمس على شكل قطاعات ناقصة . وأقرب هذه الكواكب إلى الشمس هو المشترى ، وإذن يكون التجاذب بين الشمس والمشتري أقوى من ذلك الموجود بين الشمس وأى كوكب آخر ، لأن بعده أقل من أبعاد الكواكب الأخرى . فإذا كان هناك أمل في إيجاد انحراف عن قانون نيوتن ، فإن احتمال وجوده يكون أقوى



في حالة المشتري . وينتج من النظرية الكلاسيكية أن مسار الكوكب المشتري لا يختلف في شيء عن مسار أى كوكب آخر سوى أنه أكثرها قرباً إلى الشمس أما في حالة النظرية النسبية العامة ، فيجب أن تكون الحركة مختلفة قليلاً . فلن

يتحرك المشتري حول الشمس في قطع ناقص فقط ، بل إن هذا القطع الناقص نفسه يجب أن يدور ببطء كبير بالنسبة لمجموعة الإحداثيات المثبتة في الشمس . ودوران القطع الناقص هو التأثير الجديد لنظرية النسبية العامة . وتعطينا النظرية مقدار هذه الظاهرة ، ولكي ندرك مقدار سفر هذا التأثير وعدم احتمال استطاعتنا إدراكه في حالة الكواكب البعيدة عن الشمس يكفي أن نذكر أن دورة خسوف المشتري تستغرق ثلاثة ملايين سنة !

وقد كان انحراف حركة الكوكب المشتري عن القطع الناقص معروفاً قبل نشوء نظرية النسبية العامة ، ولم يتمكن العلماء من وضع شرح له . بل على العكس نشأت النظرية العامة للنسبية دون التنبه إلى هذا الموضوع الخاص ، ولكن فيما بعد ظهرت من معادلات الجاذبية الجديدة ، النتيجة الخاصة بدوران القطع الناقص أثناء حركة كوكب حول الشمس . وقد شرحت النظرية بنجاح انحراف الحركة عن قانون نيوتن في حالة المشتري .

وما زالت هناك نتيجة أخرى يمكننا استخلاصها من النظرية العامة للنسبية ومقارنتها بالتجربة . سبق أن رأينا أن ساعة موضوعة على الدائرة الكبيرة لقرص دائر تتميز بنظام توقيت مختلف عن نظام الساعة الموضوعة على الدائرة الصغيرة . وبالمثل ينتج من نظرية النسبية أن ساعة موضوعة على الشمس سيكون لها نظام توقيت يختلف عن نظام الساعة الموجودة على سطح الأرض ، لأن تأثير مجال الجاذبية أقوى بكثير على الشمس منه على الأرض .

وقد لاحظنا (في صفحتي ٧٢ — ٨٣) أن الصوديوم التوهج يشع ضوءاً أصفر متجانساً ذا طول موجي معين . وتكشف الذرة في هذا الإشعاع عن ناحية من حركتها الدورية . إذ أن الذرة تمثل ساعة يكون طول الموجة المشعة هو وحدة تقديرها للزمن . وإذن طبقاً لنظرية النسبية العامة يكون الطول الموجي للضوء الصادر من ذرة الصوديوم في سطح الشمس مثلاً ، أكبر قليلاً من الطول الموجي الصادر من ذرة الصوديوم الموجودة على سطح الأرض .

ويعتبر تحقيق نتائج النظرية العامة للنسبية بالشاهدة مسألة معقدة ، وغير متناهية

حتى الآن . وحيث أننا نهم بالأراء الأساسية فإننا لا ننوى أن نتمنى كثيراً في هذا الموضوع بل يكفي أن نقول إن حكم التجربة يبدو حتى الآن مؤيداً للنتائج المستخلصة من نظرية النسبية العامة .

المجال والمادة :

رأينا فيما سبق سبب وكيفية فشل وجهة النظر الميكانيكية ، فقد كان من المستحيل شرح جميع الظواهر بفرض وجود قوى بسيطة بين جسيمات لا تتغير . وقد كان التوفيق حليف عاوماتنا الأولى للتمنى إلى أبعد من الوجهة الميكانيكية وكذلك أصابت معتقدات المجال نجاحاً كبيراً في عالم الظواهر الكهرومغناطيسية ، ثم تمت بعد ذلك صياغة القوانين البنائية للمجال الكهرومغناطيسى ، وهى تربط بين الأحداث القريبة جداً من بعضها فى المكان والزمان . وهذه القوانين تلائم بناء النظرية الخاصة للنسبية حيث أنها لا تتغير بالنسبة لتحويالات لورنتز . وبعد ذلك صاغت النظرية العامة للنسبية قوانين الجاذبية . وهذه أيضاً قوانين بنائية تصف مجال الجاذبية بين الجسيمات المادية . وقد كان من السهل تعميم معادلات ماكسويل بحيث يمكن استخدامها فى أية مجموعة إحدائية ، كما خذت لقوانين الجاذبية فى النظرية العامة للنسبية .

وليدنا حقيقتان : المادة والمجال . وليس هناك أدنى شك فى أننا لا يمكننا أن نتخيل فى الوقت الحاضر أن علم الطبيعة مبني كله على أساس المادة ، كما فعل علماء الطبيعة فى أوائل القرن التاسع عشر . ستقبل الآن كلا الرأيين مؤقتاً . هل يمكننا أن نعتبر المادة والمجال كحقيقتين متميزتين ومختلفتين ؟ فإذا كان لدينا جسماً صغيراً من المادة . فإننا يمكننا البرهنة بطريقة سهلة أن هناك سطحاً خاصاً للجسيم ، لا تكون مادة الجسم موجودة به ، ولكن تظهر فيه آثار مجال جاذبيته . وخلال دراستنا اعتبرنا أن المنطقة التى تتحقق فيها قوانين المجال تنفصل تماماً بطريقة فجائية عن المنطقة التى توجد بها المادة . ولكن ماهى الخواص الطبيعية التى تميز كلا من المادة والمجال ؟ وقبل أن تظهر النظرية النسبية حاولنا الإجابة على هذا السؤال بالطريقة التالية : تتميز المادة بوجود

كتلة لها في حين أنه ليست للمجال كتلة . ويمثل المجال طاقة في حين تمثل المادة كتلة . ولكننا نعرف مما سبق أن مثل هذه الإجابة تعتبر غير كافية بالنسبة للمعلومات الحديثة . تبيننا نظرية النسبية أن المادة تمثل خزائن كبيرة من الطاقة . وأن هذه الطاقة تمثل مادة . ولا يمكننا بهذه الطريقة التمييز ظاهرياً بين المادة والمجال لأن التفرقة بين الكتلة والطاقة ليست ممكنة شكلياً . ويتركز الجزء الأعظم من الطاقة في المادة . ولكن المجال المحيط بالجسم يمثل طاقة أيضاً ولو أنها ذات قدر ضئيل نسبياً — وإذن يمكننا أن نقول : توجد المادة حينما يكون تركيز الطاقة عالياً ، ويوجد المجال عند ما يكون تركيز الطاقة ضئيلاً . ولكن إذا كانت الحال كذلك فإن الفرق بين المادة والمجال هو مسألة تتوقف على مقدار الكمية الموجودة ، ولا معنى لاعتبار المادة والمجال صورتين مختلفتين كثيراً عن بعضهما . ولا يمكننا أن نتخيل سطحاً معيناً يفصل المجال تماماً عن المادة .

وتنشأ نفس الصعوبة في حالة الشحنة الكهربائية ومجالها . ويسد من المستحيل أن نعطي خواصاً شكلية واضحة للتمييز بين المادة والمجال أو الشحنة والمجال . وقوانيننا البنائية أى قوانين ماكسويل وقوانين الجاذبية لا تنطبق على حالات تركيز الطاقة الكبيرة جداً أو عند أماكن وجود مصادر المجال ، أى الشحنات الكهربائية أو المادة . ولكن هل يمكننا تحويل معادلاتنا بحيث تصبح صحيحة في كل مكان حتى في المناطق التي تكون فيها الطاقة مركزة جداً ؟

لا يمكننا بناء علم الطبيعة على أساس المادة فقط ، ولكن الانقسام إلى مادة ومجال ، بعد إدراك الشكافؤ بين الكتلة والطاقة ، يعتبر شيئاً مصطنعاً وغير واضح تماماً . فهل يمكننا نبذ فكرة المادة وبناء علم الطبيعة على أساس المجال؟ وأن يكون ما يؤثر على إحساساتنا كمادة ليس في الحقيقة سوى تركيز عظيم جداً للطاقة في حيز صغير ؟ يمكننا اعتبار أن المادة هي تلك المناطق من الفضاء التي يكون المجال ذا تركيز كبير فيها . ويمكننا بهذه الطريقة تكوين رأى فلسفى جديد ، يهدف إلى شرح جميع أحداث الطبيعة ، بواسطة قوانين بنائية تتحقق دائماً في كل مكان . ومن وجهة النظر هذه ، يكون « الحجر المقذوف في الهواء » مجالاً متغيراً

ذا شدة كبيرة يتحرك في الفضاء بسرعة الحجر . ولن يكون هناك مكان في علم الطبيعة الحديث لكلا المجال والمادة ، فالمجال هو الحقيقة الوحيدة . وتدفعنا إلى هذا الرأي الانتصارات العظيمة التي أحرزتها معتقدات المجال في علم الطبيعة وكذلك نجاحنا في صياغة قوانين الكهرباء والمغناطيسية والجاذبية على شكل قوانين بنائية ، ثم التكافؤ بين المادة والطاقة . وستكون مشكلتنا الأخيرة هي تحويل قوانين المجال بشكل يجعلها تظل متحققة في المناطق التي تكون الطاقة فيها مركزة جداً .

ولكننا لم ننجح حتى الآن في بلوغ هذا الهدف بطريقة مقبولة ومرضية ، وتركنا للمستقبل الحكم فيما إذا كان في الإمكان تحقيق هذا الفرض . وحتى الآن يجب أن نستمر في فرض وجود المادة والمجال في جميع دراستنا . وما زالت أمامنا مسائل أساسية . فنحن نعلم أن المادة مكونة من أنواع قليلة فقط من الجسيمات . كيف تتكون المادة في صورها المختلفة من هذه الجسيمات المختلفة ؟ كيف تتفاعل هذه الجسيمات الصغيرة مع المجال ؟ وللاجابة على هذه الأسئلة وضعت آراء جديدة في علم الطبيعة هي : معتقدات نظرية الكم .

تلخيص .

ظهر في علم الطبيعة أعظم اختراع منذ عهد نيوتن وهو المجال . وقد احتاج العلماء إلى خيال على كبير ليدركوا أن المجال (الموجود في الفراغ بين الشحنات أو الجسيمات) ، وليست الشحنات أو الجسيمات نفسها ، أساسى جداً لوصف الظواهر الطبيعية . وقد نجحت فكرة المجال نجاحاً كبيراً وأدت إلى صياغة معادلات ماكسويل التي تصف بناء المجال الكهرومغناطيسى والتي تتحكم في الظواهر الكهربائية والضوئية .

وتنشأ نظرية النسبية من مشاكل المجال . فقد دفعنا التناقض بين النظريات القديمة إلى الحاق أوصاف جديدة لعالم السكان والزمان الذي تقع فيه جميع أحداث العالم الطبيعي .

وقد تكونت نظرية النسبية على خطوتين ، أدت الأولى منهما إلى مانسميه بالنظرية الخاصة للنسبية التي تنطبق فقط على المجموعات الإحداثية القاصرة أى على المجموعات التي يتحقق فيها قانون القصور الذاتي كما وضعه نيوتن . وتبني نظرية النسبية الخاصة على فرضين أساسين وهما أن قوانين الطبيعة واحدة في جميع المجموعات الإحداثية المتحركة بانتظام بالنسبة لبعضها ؛ وأن لسرعة الضوء دائماً نفس القيمة . ومن هذه الفروض التي أيدتها التجارب العملية أمكننا استنتاج خواص التقصان والساعات المتحركة ، وتغير أطوالها ونظام توقيتها بالنسبة لسرعتها . وقد غيرت نظرية النسبية قوانين الميكانيكا ، فالقوانين القديمة لا تتحقق إذا اقتربت سرعة الجسم المتحرك من سرعة الضوء . وقد أيدت التجربة القوانين الميكانيكية الجديدة لجسم متحرك كما صاغها النظرية النسبية . وهناك نتيجة أخرى للنظرية الخاصة للنسبية وهي العلاقة بين الكتلة والطاقة . فالكتلة هي الطاقة وللطاقة كتلة . ويتحد قانونا بقاء المادة والطاقة في قانون واحد في النظرية النسبية هو قانون بقاء المادة والطاقة معا .

وتذهب النظرية العامة للنسبية إلى أبعد من ذلك في تحليل خواص عالم المكان والزمان . ولا تنحصر صحة هذه النظرية في المجموعات الإحداثية القاصرة فقط ، فهي تدرس مشكلة الجاذبية وتضع قوانين بنائية جديدة لمجال الجاذبية . وهي تدفعنا إلى تحليل الدور الذي تلعبه الهندسة في وصف العالم الطبيعي . وهي تعتبر تساوى كتلة الجاذبية مع الكتلة القاصرة شيئاً أساسياً وليس فقط مجرد صدفة ، كما كانت الحال في الميكانيكا الكلاسيكية . وتختلف النتائج العملية للنظرية العامة للنسبية اختلافاً بسيطاً فقط عن نتائج الميكانيكا الكلاسيكية ، وقد تأيدت هذه النتائج مما أمكننا الحصول عليه من النتائج العملية . ولكن قوة النظرية تكمن في بساطة فروضها وخلوها من التناقض .

وتؤكد نظرية النسبية أهمية فكرة المجال في علم الطبيعة . ولكننا لم ننجح بعد في صياغة علم الطبيعة بأكمله على صورة مجالية صرفة ، ولذا فإنه يجب علينا الآن أن نفرض وجود المجال والمادة على حد سواء .

الباب الرابع

الكلمات

[الاتصال وعدم الاتصال — الكلمات الأولية للمادة والكهرباء —
كلمات الضوء — طيف الضوء — موجات المادة — موجات الاحتمال —
علم الطبيعة والواقع] .

الاتصال وعدم الاتصال :

لنفرض أن أمامنا خريطة لمدينة نيويورك وضواحيها ودعنا نتساءل عن أى
النقط على هذه الخريطة يمكن الوصول إليها بالقطار ؟ ولنسجل هذه النقط على
الخريطة بعد العثور عليها في دليل القطارات . لنغير الآن سؤالنا إلى الصيغة : أى
النقط يمكننا الوصول إليها بالسيارة ؟ فإذا رسمنا خطوطاً على الخريطة تمثل كل
الطرق الممتدة من نيويورك فإننا يمكننا عملياً الوصول بالسيارة إلى أى نقطة على
هذه الطرق . وعندنا في كلتا الحالتين مجموعتان من النقط ؛ في الحالة الأولى نجد
أن النقط تنفصل عن بعضها وتعين محطات السكة الحديدية المختلفة وفي الحالة الثانية
نجدها تقع على كل النقط التي تمثل الطرق . وسيكون سؤالنا الثاني عن أبعاد كل
من هذه النقط عن نيويورك أو على الأدة عن نقطة محددة في المدينة . وسيكون
لدينا في الحالة الأولى بضعة أرقام متناسبة مع النقط المحددة على الخريطة . وسنرى
أن هذه الأرقام تتغير بغير انتظام ولكن على وثبات أو قفزات محدودة . ويمكننا
القول إذن بأن أبعاد الأماكن التي يمكن الوصول إليها بالقطار تتغير بطريقة غير
متصلة . أما في حالة الأماكن التي يمكن الوصول إليها بالسيارة فإن هذه الأبعاد
تتغير بكميات يمكن تصغيرها كيفما نريد ، أى أن هذا التغير يمكن أن يحدث
بطريقة متصلة ، وأنه يمكن جعل التغير في المسافة صغيراً في حالة السيارة . ولكن
الحالة ليست كذلك في حالة القطار .

وقد يحدث لاتاج منجم غم أن يتغير تغيراً متصلاً لأن كمية الفحم الناتج في الإمكان زيادتها أو تقليلها بمخطوات صغيرة . ولكن عدد عمال النجم المستخدمين يتغير تغيراً غير متصل ، إذ أنه من اللغو أن نقول « ازداد عدد العمال منذ أمس بمقدار ٣٧٨٣ » . وإذا سئل رجل عن مقدار ما يحمل من النقود فإنه يمكنه الإجابة بعدد يحتوى على رتين عشرين . ويمكن تغيير مبلغ من المال على قفزات فقط بطريق غير متصل . ففي أمريكا أصغر وحدة للعملة أو ما يمكننا تسميته الكم الأولى للعملة الأمريكية هو سنت واحد . والكم الأولى للعملة الإنجليزية هو الفاردينج وهو يساوى نصف قيمة الكم الأولى الأمريكي . فلدينا الآن إذن مثل لكن أوليين يمكننا مقارنة قيمتهما . ونسبة قيمتهما لها معنى محدد إذ أن أحد الكمين يساوى ضعف قيمة الآخر .

ويمكن القول بأن بعض الكميات تتغير بطريقة متصلة وأخرى تتغير بطريقة غير متصلة ، على خطوات لا يمكن تصغيرها . وهذه الكميات غير القابلة للقسمة تسمى بالكمات الأولية للمقادير السابق ذكرها .

ويمكننا أن نزن كميات كبيرة من الرمال ونعتبرها متصلة رغم علمنا بتركيبها الجبب . ولكن إذا أصبحت الرمال ذات قيمة عظيمة واستعملت موازين دقيقة لوزنها فإنه يتحتم علينا أن نعتبر أن الكتلة تتغير بمضاعفات لكمية ثابتة هي الحبة . وبذلك يصبح وزن تلك الحبة هو كمن الأولى للكتلة . ونرى من هذا كيف أن خاصية التقطع أو الانفصال لكمية — كانت لا تزال تعتبر متصلة — يمكن تأكيدها بزيادة حساسية مقاييسنا .

وإذا كان علينا أن نصف الفكرة الأساسية لنظرية الكم في جملة واحدة لوجب علينا أن نقول : إن بعض الكميات الطبيعية التي كانت مازال تعتبر متصلة تتكون من كمات أولية .

ومدى الحقائق التي تشملها نظرية الكم فسيح جداً ، وقد أكتشفت هذه الحقائق بواسطة الأجهزة الدقيقة المصنعة التي استعملت في التجارب الحديثة . ومع أننا لن نستطيع وصف أو حتى مجرد الكلام عن التجارب الأساسية ، فإنه

لأمناس لنا من ذكر نتائج هذه التجارب حيث أن هدفنا هو شرح الآراء الأساسية الموجودة فقط .

الكمات الأولية الموجودة للمادة والكهرباء :

نتبنا نظرية الحركة أن جميع العناصر تتكون من جزيئات . فإذا اعتبرنا أسهل الحالات ، باختيار أخف عنصر وهو الإيدروجين ، فإننا نعلم كيف أدت دراسة «الحركة البراونية» إلى تقدير كتلة جزيء واحد من الإيدروجين (صفحة ٤٧) ، وهي :
٣٣ و . جرام .

وهذا يدفعنا إلى أن نعتقد أن الكتلة غير متصلة حيث أن كتلة أى كمية من الإيدروجين يمكن أن تتغير فقط بعدد كامل من مقادير صغيرة كل منها يتناسب مع كتلة جزيء الإيدروجين . ولكن العمليات الكيميائية ترى أن جزيء الإيدروجين يمكن تقسيمه إلى قسمين أو بعبارة أخرى إن جزيء الإيدروجين يتكون من ذرتين . وفي العمليات الكيميائية تلعب الذرة - لا الجزيء - دور الكم الأولى . وبقسمة العدد السابق على اثنين ، نحصل على كتلة ذرة الإيدروجين وهي حوالى :

١٧ و . جرام .

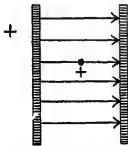
وإذن فالكتلة كمية غير متصلة ؟ ولكننا طبعاً لا نميز هذه الحقيقة أى اهتمام عند تقدير الوزن . وحتى أدق المقاييس أبعد ما تكون عن الوصول إلى درجة الدقة اللازمة لاكتشاف عدم الاتصال في تغير الكتلة .

لنعد الآن للتكلم عن حقيقة مألوفة . لنفرض أن لدينا سلكاً متصلاً بمصدر تيار كهربائى حيث يسير التيار خلاله من النقطة الأعلى إلى الأقل جهداً . ولعلنا نذكر أن كثيراً من الحقائق العملية قد أمكن تفسيرها بالنظرية البسيطة التى تفرض وجود مائع كهربائى يسير خلال السلك . ولعلنا نذكر أيضاً أن قرارنا (صفحة ٥٧) الخاص بالتساؤل عما إذا كان المائع الموجب يفيض من الجهد المرتفع إلى المنخفض أو أن المائع السالب يفيض من الجهد المنخفض إلى المرتفع كان مجرد اصطلاح . لنترك الآن جانباً كل ما طرأ من تغير وتحسين كنتيجة لظهور

معتقدات المجال وتقبل جدلاً الصورة البسيطة الخاصة بفرض وجود المائع الكهربائي..
وحتى عند أخذنا بفكرة الموائع البسيطة فإزال هناك بعض أسئلة تنتظر الجواب .
فكما نفهم من اللفظ « مائع » اعتبرت الكهربائية منذ فجر العلم كشيء له صفة
الانفعال ، وفي الاستطاعة طبقاً للصور القديمة تغيير كمية الشحنة بمقادير صغيرة
اختيارية ولكن لم يكن هناك داع لفرض كبت كهربائية أولية . ثم أدى نجاح
نظرية الحركة بعد ذلك إلى أن تتساءل هل توجد كبت أولية للموائع الكهربائية ؟
والسؤال الآخر الذى مازال ينتظر الجواب هو هل يتكون التيار من فيضان المائع
الموجب أو السالب أو كليهما ؟

وللحصول على أجوبة لهذه الأسئلة لابد من أن نطرد المائع الكهربائي من
السلك وندفعه إلى الحركة في الفضاء ، أى أن نستخلصه من برائن المادة ثم ندرس
خواصه التى يجب أن تظهر جلية حينئذ . وقد أجريت تجارب عديدة مثل هذه
فى القرن التاسع عشر ، وقبل أن نشرح فكرة إحدى هذه التجارب العملية
سنذكر النتائج أولاً : يتميز المائع الكهربائي الذى يمر خلال السلك بشحنة
سالبة ، وإذن فهو يتجه من النقطة الأقل جهداً إلى الأعلى جهداً . ولو أننا كنا
قد توصلنا إلى هذه النتيجة فى بادئ الأمر عند ما كانت نظرية الموائع الكهربائية
لا تزال فى طور التكوين لغيرنا بلا شك مصطلحاتنا ، ولسمينا كهربائية القضيب .
المطاط بالكهربائية الموجبة وكهربائية قضيب الزجاج بالسالبة ، وكان يصبح حينئذ
من الأوفق أن نعتبر المائع السالب موجباً . وعلينا الآن أن نتحمل تبعه هذا
الخطأ الناتج من عدم إصابة حسنا . وسؤالنا الثانى المهم هو عما إذا كان تكوين
الكهربائية السالبة « عيباً » ، أى عما إذا كانت أو لم تكن مكونة من كبت
كهربائية ؟ وقد أثبتت بعض تجارب منفصلة بشكل لا يقبل الشك وجود هذه
الوحدة الأولية للكهرباء السالبة . وإذن يتكون المائع الكهربائي السالب من
حيبيات ، تماماً ، كما يتكون الشاطئ من حبيبات الرمال ، أو المنزل من البنات
وتم إثبات ذلك على يدى السير . ج . ج . تومسون منذ أكثر من خمسين عاماً .
وتسمى هذه الوحدات الأولية للكهرباء السالبة بالإلكترونات . وإذن تتكون

كل شحنة كهربائية سالبة من عدد كبير من تلك الشحنات الأولية المثلة بالالكترونات (أو الكهارب) . ويمكن للشحنة السالبة أن تتغير مثل الكتلة تنيراً غير متصل . وتبلغ الشحنة الكهربائية حداً من الصفر يجعلنا في كثير من الأحوال نعتبر الشحنات عموماً — وربما يكون ذلك من الأوفق — كميات متصلة ؛ وهكذا أدخلت نظريات الذرة والكهارب إلى العلوم فكرة الكميات الطبيعية غير المتصلة التي يمكن أن تتغير فقط على شكل دفعات .



لنصور الآن لوحين معدنيين متوازيين موضوعين في مكان مفرغ من الهواء ، يحمل أحدهما شحنة موجبة والآخر شحنة سالبة . فإذا قربنا جسماً صغيراً موجب الشحنة من اللوحين ، فإنه ينجذب إلى اللوح السالب التكهرب ويتردد بعيداً

عن الآخر . وإذا نتجه خطوط القوى الكهربائية من اللوح السالب إلى اللوح الموجب التكهرب . وسيكون اتجاه القوة المؤثرة على جسم سالب التكهرب مضاداً للاتجاه السابق . وإذا كان اللوحان كبيرين بدرجة كافية فإن كثافة هذه الخطوط ستكون موزعة بانتظام بينهما في كل مكان ، ولن يهمنا أين نضع جسم الاختبار لأن القوة — وبالتالي كثافة هذه الخطوط — ستكون متساوية . وإذا وجدت كهارب بين هذين اللوحين فإنها تتحرك مثل حركة قط المطر في مجال الأرض المغناطيسي ، أي أنها تتحرك موازية لبعضها متجهة من اللوح السالب إلى اللوح الموجب . وهناك طرق عملية كثيرة لدفع جمع من الالكترونات إلى مجال يوحد بين اتجاهاتهم . ومن أسهل هذه الطرق إحضار سلك مسخن بين لوحين مشحونين ، لأن خطوط قوى المجال الخارجى توجه الكهبات المنبعثة من السلك الساخن . وتبنى صمامات الراديو العادية على نفس هذه الفكرة .

وهناك تجارب رائعة عديدة سبق إجراؤها على سيال من الكهارب ، درست فيها وبحيث بالتفصيل تنبؤات اتجاهاتها في مختلف المجالات الكهربائية

والفناطيسية الخارجية ، وأصبح في الإمكان أيضاً عزل كهرب واحد وتعيين شخصته الأولية ، وكتلته ، أى مقاومته الفاتية لفعل مجال خارجى . وسنذكر هنا فقط كتلة الالكترون ، إذ قد ظهر أنها أهم من ذرة الإيدروجين عشرين ألف مرة . وهكذا نرى أن كتلة ذرة الإيدروجين الصغيرة تظهر كبيرة بالنسبة لكتلة الكهرباء . وتستلزم نظريات المجال الطبيعية أن تكون كتلة الكهرباء أو بمباراة أخرى طاقته ناشئة عن طاقة مجاله نفسه ، الذى تبلغ شدته أقصاها داخل كرة صغيرة جداً ، وتصبح مهمة إذا بعدنا عن مركز الكهرباء .

وقد سبق لنا أن ذكرنا أن ذرة أى عنصر ما هى إلا أسفر كانه الأولية ، وقد ظل العلماء مدة طويلة مؤمنين بهذا الرأى ، ولكنه الآن أصبح باطلا ، فقد أظهر العلم نظريات حديثة أوضحت بطلان المعتقدات القديمة . ولا يوجد فى علم الطبيعة الآن من النظريات ما هو مبني على أسس متينة من الحقائق أكثر من تركيب الذرة المعقد . فقد تنبه العلماء أولاً إلى أن الكهرباء وهو السك الأولى للكهربائية السالبة ، هو أحد مكونات الذرة ، أى إحدى اللبئات الأولية التى تبنى منها جميع الأجسام . وقد ذكرنا مثال السلك الساخن وانبعاث الكهرباء منه ، وليس هذا سوى مثال واحد من أمثلة عديدة لاستخلاص هذه الكهرباء من المادة . وهذا المثال — الذى يوضح لنا ارتباط تركيب المادة بتركيب الكهرباء — ظهر على صورة لا تقبل الشك من حقائق عملية كثيرة جداً .

ومن السهل نسبياً استخلاص بعض الكهرباء التى تسهل فى تركيب الذرة بالحرارة أو بطريقة أخرى كقذف الترات بقذائف من كهرب أخرى خارجية . لنفرض أننا أدخلنا سلكاً معدنياً لدرجة الاحمرار فى جو من الإيدروجين المختل . ستنبعث الكهرباء من السلك فى جميع الاتجاهات وتكتسب سرعة بتأثير مجال كهربائى خارجى . وستزداد سرعة الكهرباء تماماً كما يحدث لحجر ساقط فى مجال الجاذبية الأرضية . ويمكننا بهذه الطريقة الحصول على أشعة من الكهرباء مندفعة بسرعة معينة فى اتجاه معين ، وقد أصبح الآن فى إمكاننا أن نجعل الكهرباء تتحرك بسرعة تقرب من سرعة الضوء بتعريضها لتأثير مجال قوى جداً . ماذا يحدث إذن عند ما يسقط شعاع من الكهرباء ، ذات سرعة معينة ، على جزئيات الإيدروجين .

المخلخل ؟ لن يؤدي تصادم كهرب متحرك بسرعة فائقة مع جزيء الإيدروجين إلى انشطاره إلى ذرتين فقط ولكنه سيطرده كهرباً آخر من إحدى هاتين الذرتين .

دعنا نسلم بالحقيقة القائلة بأن الكهرباء هي بعض مكونات المادة ، وإذن لن تصبح الذرة التي فقدت كهرباً واحداً بلا شحنة كهربائية كما كانت قبل أن تفقد الكهرباء . وذلك لأنها فقدت شحنة كهربائية أولية سالبة وإذن يجب أن يحمل ما بقي من الذرة شحنة موجبة . ولما كانت كتلة الكهرباء أصغر بكثير جداً من كتلة أخف الذرات فإننا نستطيع القول بأن معظم وزن الذرة ليس ممثلاً في الكهرباء ولكن في الجسيمات الأولية الأخرى المتبقية والتي تفوق كتلتها بكثير كتلة الكهرباء ، والتي سنسميها بنواة الذرة .

وقد استحدث علم الطبيعة التجريبية الحديث طرقاً لتحطيم نواة الذرة وتغيير ذرات عنصر ما إلى ذرات عنصر آخر ولاستخلاص الجسيمات الأولية التي تتكون منها النواة ذاتها . وهذا الفصل من علم الطبيعة والسمى « بطبيعة النواة » والذي قام فيه رذرفورد بدور كبير ، يعتبر شائعاً جداً من الناحية العملية . ولكننا مازلنا حتى الآن في حاجة إلى نظرية بسيطة في أسسها تربط بين الحقائق العملية في عالم الطبيعة التواوية . وبما أننا معنيون في هذه الصفحات فقط بدراسة المعتقدات الطبيعية العامة فإننا سنترك هذا الفصل رغباً عن أهميته الكبيرة في علم الطبيعة الحديث .

كلمات الضوء :

إذا تصورنا حائطاً مقاماً على طول الشاطئ ، فإن أمواج البحر ستأخذ في مهاجمة الحائط ملحقة بسطحه بعض البلل ، ثم ما لبثت أن ترند مفسحة الطريق لأفواج الأمواج القادمة التي ستواصل الهجوم على الحائط مزيلة جزءاً من المصيص الذي يكسى سطحه ، وبذلك يقل وزن الحائط ، ويمكننا أن نتساءل عن القدر الذي ستفقده الحائط في عام مثلاً . لننتخيل الآن طريقة أخرى لإيقاص وزن الحائط بنفس القدر ، بأن نطلق الرصاص عليها محدثين بها ثقوباً عديدة . سيقول وزن الحائط بهذه الطريقة

كما قل في الحالة الأولى ؟ ولكن مظهر الحائط يثبتنا ما إذا كان النقص ناتجاً عن الفعل المستمر لأمواج البحر أم عن سيل الرصاص المتقطع . وسيكون من المفيد لكي نفهم ماستكلم عنه من الظواهر الطبيعية أن ندرك الفرق بين أمواج البحر وسيل الرصاص المنطلق .

سبق أن تكلمنا عن انطلاق الكهارب من السلك الساخن . وسندكر هنا طريقة أخرى لاستخلاص الكهارب من المعدن بتسليط أشعة متجانسة مثل الأشعة البنفسجية — التي هي عبارة عن أشعة ذات طول موجى معين — على سطحه ، فتنبت منه الكهارب بفعل تلك الأشعة التي تقتنصها من المعدن وتبعها إلى الخارج أفواجا متتالية متحركة بسرعة معينة . ويمكننا أن نقول من وجهة نظر قاعدة الطاقة ، أن طاقة الضوء تتحول جزئياً إلى طاقة حركة للكهارب المطرودة . ونستطيع بفضل التجارب العملية الحديثة معرفة هذه الرصاصات وتعيين سرعتها وبالتالي طاقتها . ويسمى استخلاص الكهارب بالضوء الساقط على المعدن : الظاهرة الكهرضوئية .

وقد استخدمنا في التجربة السابقة أشعة ضوئية متجانسة ذات شدة معلومة ، ويجب علينا الآن — كما هي العادة في جميع التجارب العملية — أن نغير ظروف التجربة لترى ما إذا كان لهذا أثر في النتائج التي حصلنا عليها .

لنبدأ أولاً بتغيير شدة الضوء البنفسجى المتجانس الساقط على لوح معدنى ولندرس الكيفية التي تتوقف بها طاقة الكهارب المنبعثة على شدة الضوء الساقط . لنحاول أيضاً أن نمر على الإجابة عن طريق المنطق العلمى بدلاً من التجربة . يمكننا القول بأن قسماً من طاقة الإشعاع يتحول إلى طاقة حركة للكهارب في الظاهرة الكهرضوئية . فإذا أسقطنا على المعدن أشعة لها نفس طول الموجة ولكن من مصدر أقوى فإن طاقة الكهارب المنبعثة ستكون أكبر لأن الإشعاع سيكون أغنى بالطاقة . وإذا كان يكون من الطبيعى أن نتوقع ازدياد سرعة الكهارب المنبعثة بازدياد شدة الضوء . ولكن عند إجراء هذه التجربة عملياً

حصلنا - لهشتنا - على نتيجة تتعارض مع استنتاجنا أيضاً . وهكذا نرى أن قوانين الطبيعة لا تسير وفق أهوائنا ، وقد وجدنا الآن تجربة حكمت على الأسس التي بنينا عليها نظريتنا بالفشل ، وكانت نتيجة هذه التجربة مدعاة لأشد العجب من وجهة نظر النظرية الموجية . إذ قد أظهرت أن الكهارب المنبعثة لها نفس السرعة (نفس الطاقة) التي لا تتأثر بزيادة شدة الضوء الساقط ، ولم يكن في الاستطاعة التنبؤ بهذه النتيجة على أساس النظرية الموجية . وهكذا نرى هنا أيضاً كيف يؤدي التعارض بين إحدى النظريات القديمة والتجربة إلى ظهور نظرية جديدة .

لنتعمد أن تكون ظالمين للنظرية الموجية غامطين لها أفضالها العظيمة ، فنتناس نصرها الشامل في شرح انحناء الضوء حول العوائق الصغيرة جداً ، ولنحصر الآن اهتمامنا بالظاهرة الكهروضوئية ، ولنحاول إيجاد نظرية تضع لنا شرحاً مقبولاً لهذه الظاهرة . فمن المقطوع به أننا لا يمكننا أن نمتنع من النظرية الموجية عدم توقف طاقة الكهارب المطرودة من سطح المعدن على شدة الضوء الساقط . فلنبحث الآن عن نظرية أخرى . لارجع البصر مرة أخرى إلى نظرية الجسيمات لنيوتن التي نجحت في شرح كثير من ظواهر الضوء المألوفة وفشلت في شرح انثناء الأشعة الضوئية . وهي الظاهرة التي ستعتمد عدم ذكرها وتتجاهل نجاح النظرية الموجية في هذا الشأن . وفي عهد نيوتن لم تكن حقيقة الطاقة قد وضحت بعد ، فكانت جسيمات الضوء في رأيه لا وزن لها ، ولكن عندما ظهرت نظريات الطاقة فيما بعد وأدرك الجميع أن للضوء طاقة يحملها معه لم يفكر أحد في تطبيق هذه المعتقدات على نظرية الجسيمات الضوئية . وبذلك ظلت نظرية نيوتن في عداد الأموات ولم يفكر أحد جدياً في بعثها إلى الحياة حتى أوائل قرننا الحالي .

ولكي نحفظ بالفكرة الأساسية في نظرية نيوتن يجب أن نفرض أن الضوء المتجانس مكون من جسيمات ضوئية ثم نستبدل بجسيمات الضوء القديمة كرات ضوئية سنطلق عليها اسم الفوتونات - وهي عبارة عن ذرات طاقة صغيرة تتحرك في الفضاء الخالي بسرعة الضوء . وإحياء نظرية نيوتن على هذه الصورة يؤدي بنا إلى

نظرية الكم للضوء ، فليست المادة والكهرباء فقط بل الطاقة الاشعاعية أيضاً ، تتميز جميعها بتركيب حبيبي ، أى أنها مركبة من كرات ضوئية وبذلك يصبح لدينا كرات طاقة فضلا عن كرات المادة والكهرباء .

وقد كان بلانك أول من استحدث كرات الطاقة في مستهل القرن الحالى لى
يشمكن من شرح بعض ظواهر طبيعية أكثر تعقيداً من الظاهرة الكهرضوئية .
ولكن الظاهرة الكهرضوئية توضح لنا بشكل قاطع وسهل ضرورة تغيير
معتقداتنا القديمة .

ولا حاجة بنا لى نقول أن نظرية الكم للضوء تفسر على الفور الظاهرة
الكهرضوئية ، فعند ما يسقط سيل من الفوتونات على سطح معدنى فإن التفاعل
بين الأشعة والمادة عبارة عن مجموعة كبيرة جداً من عمليات فردية ، يصطدم فيها
الفوتون بالذرة فيقتطع منها كهرباً يقذف به إلى الخارج . وحيث أن جميع هذه
العمليات الفردية متشابهة فإن جميع الكهارب المنبعثة سيكون لها نفس الطاقة في
كل حالة . وليست زيادة شدة الضوء في هذه النظرية الجديدة سوى زيادة عدد
الفوتونات الساقطة . وينتج عن ذلك طبعاً زيادة عدد الكهارب المنبعثة ولكن
يحتفظ كل كهربي بنفس طاقته السابقة دون أن يمتريها أى تغيير . وراثت لنا
هذا أن النظرية الجديدة تتفق تماماً مع التجارب العملية .

ماذا يحدث عند ما تسقط أشعة متجانسة ذات لون آخر ، أحمر مثلاً ، بدلا
من البنفسجى على سطح معدنى ؟ لنترك التجارب العملية تتولى الإجابة على هذا
السؤال ، ويجب حينئذ أن نقيس طاقة الكهارب المنبعثة ونقارنها بطاقة الكهارب
الناتجة من استخدام الضوء البنفسجى . وقد وجد بالتجربة أن طاقة الكهربي
المنبعث بفعل الضوء الأحمر أقل من طاقة الكهربي المنبعث بفعل الضوء البنفسجى
وهذا يدلنا على أن طاقة كرات الضوء تختلف باختلاف الألوان . فطاقة الفوتونات
المكونة للون الأحمر تبلغ نصف طاقة تلك المكونة للون البنفسجى ، أو بعبارة
أدق ، تقل طاقة الكرات الضوئية المكونة للون متجانس بإزيد أطوال موجات

الضوء . وهناك فرق أساسي بين كمات الطاقة وكمات الكهرباء ، إذ أن كمات الضوء تختلف باختلاف طول الموجة في حين أن كمات الكهرباء ثابتة لا تتغير . وإذا كان لابد من استخدام أحد الأمثلة السابقة فيمكننا تشبيه كمات الضوء بأصغر وحدات العملة التي تختلف باختلاف كل دولة .

دعنا نستمر في تجاهل النظرية الموجية للضوء ونفرض أن الضوء له تركيب حبيبي ، أى يتكون من كمات ضوئية — فوتونات — تتحرك في الفضاء بسرعة الضوء . وإذا أخذ الضوء صورة سيل من الفوتونات أو الكمات الأولية لطاقة الضوء ، وإذا نبذنا النظرية الموجية فإن فكرة الطول الموجي تختفي . ولكن ما الذى يحل محله ؟ هى طاقة كمات الضوء ! وبذلك يمكننا ترجمة العبارات التى تحتوى على مصطلحات النظرية الموجية إلى أخرى تستخدم فيها مصطلحات النظرية الكمية للإشعاع . فمثلا :

في لغة النظرية الموجية | في لغة النظرية الكمية

يحتوى الضوء المتجانس على فوتونات ذات طاقة معينة ، فطاقة الفوتون المكون للون نهاية الطيف الأحمر تبلغ نصف طاقة ذلك المكون لطرف الطيف البنفسجي .	يتميز الضوء المتجانس بطول موجى معين ، فطول موجة الضوء الأحمر الموجود فى نهاية الطيف يبلغ ضعف طول موجة الضوء البنفسجي الموجود فى طرفه الآخر .
---	--

ويمكننا تلخيص الموقف الحالى كما يلى :. هناك من الظواهر الطبيعية ما يمكن شرحها بواسطة النظرية الموجية ، لا بواسطة نظرية الكم كظاهرة انحناء الضوء حول العوائق الصغيرة . وهناك أيضاً بعض ظواهر أخرى مثل انتشار الضوء فى خطوط مستقيمة يمكن شرحها سواء بنظرية الكم أو بالنظرية الموجية .

ولكن ما هى حقيقة الضوء ؟ أهو موجات أم سيل من الفوتونات ؟ . وقد سبق أن وضعنا سؤالاً مماثلاً لهذا حيناً تساءلنا : هل الضوء موجات أم سيل من

جسيمات ضوئية ؟ وكان لدينا حينئذ من الأسباب ما دفعنا إلى نبذ نظرية الجسيمات الضوئية وقبول النظرية الموجية التي شرحت جميع الظواهر الطبيعية . ولكن الموضوع هنا أكثر تعقيداً ، فليس لدينا من الدلائل ما يشير إلى إمكان شرح جميع الظواهر الطبيعية باختيار إحدى هاتين النظريتين . ويبدو لنا أنه لا مفر من استخدام إحدى هاتين النظريتين في حالات معينة والأخرى في حالات مختلفة ، واستخدام أى منها في حالات ثالثة . وهانحن نواجه صعوبة من نوع جديد . فلدينا صورتان طبيعيتان متعارضتان لا تكفى إحداها لشرح جميع الظواهر الضوئية ، ولكنهما معاً تنجحان في ذلك .

فكيف يمكننا أن نجمع بين هاتين الصورتين ؟ كيف يمكننا فهم هذه الصورة المتعارضة عن طبيعة الضوء ؟ وليس من السهل حل هذه المعضلة ، وهانحن نواجه الآن مرة أخرى معضلة أساسية .

لنفرض الآن أننا نتبع نظرية الفوتونات ولنحاول بمساعدتها أن نفهم الحقائق التي تمكنت النظرية الموجية من شرحها . وبهذه الطريقة سنتكلم عن الصعاب التي تجعل النظريتين يدوان لأول وهلة كأنهما متنافرتان .

ولعلنا ما زلنا نذكر أن شمعاً متجانساً من الضوء يمر خلال فتحة صغيرة في حجم رأس الدبوس يحدث على حاجز صغير حلقات مضيئة ومظلمة على التوالي (صفحة ٨٣) . كيف يمكننا شرح هذه الظاهرة على أساس نظرية السكم الضوئية ، تاركين النظرية الموجية جانباً ؟ لنفرض أن الفوتونات أخذت تمر من الثقب الصغير فيمكننا توقع إضاءة الحاجز الموجود خلف الثقب إذا مررت الفوتونات خلاله أو لإظلامه إذا لم تمر . ولكن بدلاً من ذلك فإننا نشاهد حلقات مضيئة وأخرى معتمة . ويمكننا أن نحاول شرحها كما يلي : يحتمل أن يكون هناك تفاعل ما بين حافة الثقب الصغير والفوتونات مما يتسبب عنه تكون حلقات الحيود . ويصعب علينا قبول هذه العبارة كشرح واف للفرض ، بل إننا - على أحسن الفروض - قد تصلح لكي تكون أساساً لنظرية مستقبلية لشرح الحيود بتفاعل بين المادة والفوتونات . وحتى هذا الأمل الضئيف تقضى عليه دراستنا السابقة لمثل على آخر . لنفرض

أن لدينا ثقبين صغيرين يمر خلالهما ضوء متجانس فيحدث خطوطاً مضئية وأخرى معتمة على الحاجز الصغير الواقع خلف الثقبين . كيف نستطيع شرح هذه الظاهرة . على أساس نظرية الكم الضوئية ؟ يحتفل أن يمر فوتون من أحد الثقبين ، فإذا كان إحدى فوتونات الأشعة المتجانسة يمثل كماً ضوئياً أولياً فإن من العسير علينا تصور انقسامه ومروءه من كلا الثقبين . وحتى في هذه الحالة يجب أن تؤدي الظاهرة إلى تكوين حلقات مضئية ومعتمة لا إلى خطوط مضئية وأخرى مظلمة كما يحدث . فكيف أدى وجود الثقب الآخر إلى وجود هذه الظاهرة ؟ لعل الثقب الذى لم يمر الضوء خلاله قد أثر على الحلقات فجعلها خطوطاً !! إذا كان الفوتون شبيهاً بالجسيم المادى في الطبيعة الكلاسيكية فإنه يجب أن يمر خلال أحد الثقبين فقط . وفي هذه الحالة يشق علينا جداً فهم ظاهرة الحيود .

يضطرنّا العلم دائماً إلى وضع آراء جديدة ونظريات حديثة لتتخطى حواجز التناقضات التى تعترض طريق التقدم العلمى . وقد تولدت الأسس والآراء العلمية من التناحر بين الحقائق ومحاولتنا لفهمها . وتجاهلنا الآن معضلة يلزم حلها وضع مبادئ جديدة . وقبل أن نذكر محاولات علم الطبيعة الحديث لشرح التناقض بين الصورتين الكمية والموجية للضوء ، سنبين أن هذه المعضلة تعترض طريقنا أيضاً عند دراستنا لكيات المادة بدلا من كيات الضوء .

الطيف الضوئى :

نعلم مما سبق أن جميع المواد الموجودة في الطبيعة تتكون من بضعة أنواع من الجسيمات الأولية . وقد كانت الكهارب أول ما اكتشف من هذه الجسيمات . ولكن الكهارب هى أيضاً الكيات الأولية للكهرباء السالبة . وقد سبق أن رأينا كيف تضطرنّا بعض الظواهر الطبيعية إلى أن نفرض أن الضوء مكون من كيات ضوئية أولية تختلف باختلاف أطوال الموجات . ويجدر بنا قبل أن نستعرض في دراستنا أن نناقش بعض الظواهر التى تلعب فيها المادة والاشعاع دورين أساسيين .

يمكننا تحليل الأشعة الشمسية إلى مركباتها بواسطة منشور زجاجى ولذا يمكننا الحصول على طيف الشمس المستمر ، ومنحصل بذلك على كل أطوال الأمواج المحصورة بين طرفى الطيف المرئى . نعتبر مثلاً آخر . سبق أن أشرنا إلى أن معدن الصوديوم التوهج يبعث بإشعاعات متجانسة ، ذات لون واحد أو طول موجى واحد . فإذا وضعنا الصوديوم التوهج أمام منشور زجاجى فإننا نرى خطأً واحداً ذا لون أصفر . وعلى العموم إذا وضعنا جسماً مشعاً أمام منشور فإن الضوء الصادر منه يتحلل إلى مركباته مبيناً خصائص طيف الجسم المشع .

ويؤدى مرور الكهرباء فى أنبوبة مليئة بالغاز إلى تولد ضوء كالذى نشاهده منبثقاً من أنابيب النيون المستخدمة فى الإعلانات المضيئة . لنضع مثل هذه الأنبوبة أمام الطيف الذى هو عبارة عن جهاز يقوم بعمل المنشور ولكنه أكثر حساسية وأعظم دقة فهو يرد الضوء إلى مركباته التى يتكون منها أى يحلله . فإذا نظرنا خلال الطيف إلى أشعة الشمس فإننا نشاهد طيفاً مستمراً تمثل فيه جميع الأطوال الموجية . أما إذا كان المصدر الضوئى ناشئاً عن مرور تيار كهربائى خلال غاز مخلىل فإن الطيف يصبح ذا خصائص مختلفة فى هذه الحالة . فإننا نشاهد ، بدلاً من الطيف المستمر ذى الألوان العديدة الموجودة فى طيف الشمس ، خطوطاً دقيقة مضيئة منفصلة عن بعضها بمناطق مظلمة . ويشير كل خط دقيق إلى لون معين أو إلى طول موجى معين بلغة النظرية الموجية . فإذا شاهدنا عشرين خطأً من خطوط الطيف مثلاً فإننا سنزعم لكل منها رقم يشير إلى طول موجته ، فبذلك تتميز أبحرة العناصر المختلفة بمجموعات مختلفة من الخطوط أى بمجموعات مختلفة من الأرقام التى ترمز لأطوال الأمواج المكونة للطيف الضوئى المشع . ولا يمكن أن يكون لمنصرين نفس مجموعة الخطوط فى طيفيهما المميزين ، كما أنه لا يمكن أن يكون لشخصين نفس بصمات الأصابع . وعندما أخذ علماء الطبيعة فى اكتشاف هذه المجموعات الخطية لجميع العناصر أمكنهم اكتشاف وجود علاقات بين هذه الخطوط وأصبح بذلك فى الإمكان الاستعاضة بمعادلة رياضية بسيطة عن أعمدة طويلة من الأرقام الدالة على أطوال موجات الطيف المختلفة .

ويمكننا نقل هذا الكلام إلى لغة الفوتونات . فهذه الخطوط تشير إلى أطوال موجات معينة أو ببساطة أخرى إلى فوتونات ذات طاقة محددة . وينتج من ذلك أن الغاز المتوهج لا يرسل فوتونات لها جميع قيم الطاقة الممكنة بل فقط تلك التي لها قيم تميز نفس الغاز المتوهج . وهكذا نرى هنا أيضاً كيف تحد الحقائق من كثرة الاحتمالات الممكنة .

فدرات عنصر معين كالإيدروجين مثلاً نبعث فوتونات ذات طاقة معينة ، ويسمح لتلك الفوتونات ذات الطاقة المعينة بالإنتلاق بيناً بحال دون خروج الفوتونات الأخرى . ولنفرض — بقصد السهولة — أن عنصراً ما أرسل إشعاعات ذات خط طيفي واحد أى فوتونات ذات طاقة معينة . وحيث أن الذرة تفقد جزءاً من طاقتها بالإشعاع فنستطيع بتطبيق قانون الطاقة أن نستنتج أن طاقة الذرة قبل الإشعاع كانت أعلا منها بعده وأن الفرق بين مستويي الطاقة هذين يجب أن يساوى طاقة الفوتون المنبعث . وإذاً يمكننا التفسير عما نشاهده من انبعاث أشعة ذات طول موجي واحد أى فوتونات ذات طاقة معينة بالبساطة التالية : يوجد مستويان طاقة فقط في كل ذرة من ذرات العنصر وبدلنا انبعاث فوتون من الذرة على انتقالها من مستوى الطاقة المرتفع إلى آخر منخفض .

ولكن يوجد عادة أكثر من خط واحد في أطيف العناصر ، وإذاً تشير الفوتونات المنبعثة إلى وجود مستويات طاقة كثيرة لا واحداً فقط . أو ببساطة أخرى يمكننا أن نفرض أن لكل ذرة مستويات طاقة كثيرة وأن إشعاع فوتون يشير إلى انتقال الذرة من مستوى عال إلى آخر منخفض . ومن المهم أن نعلم أنه لا يمكن للذرة أن ترقى إلى كل مستوى للطاقة لأننا لا نجد أبداً فوتونات لها جميع قيم الطاقة ، أى أشعة لها جميع الأطوال الموجية في طيف أى عنصر — فبدلاً من أن نقول إن طيف كل ذرة يحوى خطوطاً معينة يمكننا القول بأن لكل ذرة مستويات طاقة معينة وأن انبعاث فوتونات الضوء مصحوب دائماً بانتقال الذرة من مستوى طاقة إلى آخر . وتكون مستويات الطاقة عادة منفصلة وغير متصلة . وهذا أيضاً يبين لنا كيف تحد الحقائق الطبيعية من كثرة الاحتمالات العلمية .

وقد كان العالم بوهر أول من علل في (١٩١٣) سبب ظهور بعض خطوط الطيف دون أخرى في أطيايف العناصر . وقد رسمت نظريته التي وضعت منذ أكثر من أربعين عاماً ، صورة للذرة ، أمكننا بواسطتها — على الأقل في الحالات البسيطة — حساب أطيايف العناصر . وبذا أصبحت تلك الأرقام التي كانت لا صلة بينها فجأة ترتبط ببعضها أشد ارتباط على ضوء نظرية بوهر .

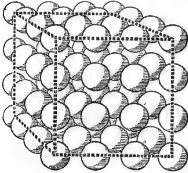
وقد كانت نظرية بوهر طريقاً مؤدياً إلى نظرية أكبر وأدق تسمى بالميكانيكا الموجية أو السكمية . وفرضنا في هذه الصفحات الأخيرة أن نتفرع للدراسة معتقدات هذه النظرية الأساسية . وقيل أن نبداً ذلك يجب علينا أن نذكر نتيجة نظرية وأخرى عملية ذات طابع خاص .

يبدأ الطيف المرئي بطول موجي خاص اللون البنفسجي ، وينتهي بطول موجي آخر للون الأحمر ، أو بعبارة أخرى إن طاقة الفوتونات في الطيف المرئي دائماً محصورة بين قيمتي طاقتي فوتونات اللونين البنفسجي والأحمر . ويرجع السبب في هذا التحديد طبعاً إلى تحديد قدرة العين الإنسانية . فإذا كان الفرق بين طاقتي مستووي طاقة في ذرة ما كبيراً جداً فإن التردد تقذف خارجها إحدى فوتونات الأشعة فوق البنفسجية وهذا يمثل بخط خارج الطيف المرئي . ولا يمكن إدراكه هذا الخط بالعين المجردة بل بلوح فوتوغرافي مثلاً .

وتتكون أشعة إكس مثلاً من فوتونات ذات طاقة أكبر بكثير من فوتونات الطيف المرئي أو بعبارة أخرى تقل أطوال موجاتها آلاف المرات عن أطوال أمواج الضوء المرئي .

ولكن هل يمكننا عملياً قياس أطوال موجية بهذا القدر من الصغر ؟ لقد كان التوصل إلى ذلك غاية في الصعوبة في حالة الضوء العادي ، إذ كان علينا أن نعد عوايق صغيرة أو ثقوباً دقيقة لكي يمر خلالها الضوء . فالتقنان الدقيقان الذان كانا في حجم رأس الدبوس والذنان استخدماهما لتعيين حيود الضوء العادي يجب أن يزداد حجمهما صغراً ويقل بعدها عن بعض ، إذا أردنا مشاهدة حيود الأشعة السينية .

كيف نستطيع إذن قياس أطوال موجات هذه الأشعة ؟ لقد ساعدتنا الطبيعة في حل هذه المعضلة . تتكون البلورة من مجموعة من الذرات تقع على مسافات صغيرة من بعضها ومرتبة ترتيباً خاصاً . يبين لنا الرسم المرفق مثالا بسيطا لترتيب



البلورة . فبدلاً من الثقوب الدقيقة، تكون الذرات الموجودة في البلورة عوائق متناهية في الصغر مرتبة ترتيباً دقيقاً وتقع على مسافات صغيرة من بعضها البعض . وتبلغ المسافات بين الذرات ، حسب نظرية تركيب البلورات حداً من

الصغير يجعلنا نتوقع احتمال إحداثها لظاهرة الحيود للأشعة السينية . وقد أثبتت التجربة أن من الممكن حدوث ظاهرة الحيود لأمواف الأشعة السينية أثناء مرورها خلال هذه العوائق المتراسة في هذا الحجم الصغير أى حجم البلورة .

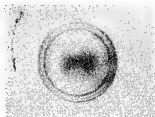
لنفرض أن شعاعاً من الأشعة السينية سقط على بلورة ثم بعد ذلك على لوح فوتوغرافي لكي نحصل على أنموذج لظاهرة الحيود . هناك طرق عديدة استخدمت في دراسة طيف الأشعة السينية واستنتاج أطوال موجاتها من أنموذج الحيود . ويتقضى منا ذكر ذلك كله بالتفصيل مجلدات بأسرها إذا رغبتنا في ذكر كل التفاصيل العملية والنظرية . وفي اللوحة «٣» نرى أنموذج الحيود الذي حصل عليه العلماء بأحدى هذه الطرق المختلفة . وهنا أيضاً نرى الحلقات المتممة والمضيئة المميزة للنظرية الموجية . ونشاهد في المركز أثر الشعاع الذي لم يمان أى حيود والذي ما كنا نحصل على سواء في حالة عدم وجود البلورة بين مصدر الأشعة السينية واللوح الفوتوغرافي . ومن مثل هذه الألواح الفوتوغرافية يمكننا تقدير أطوال موجات الأشعة السينية ، وبالعكس إذا علمنا أطوال الموجات أصبح في استطاعتنا الحصول على معلومات عن تركيب البلورة .

اللوحة الثالثة



(أخذ الصورة أ. هـ شنتون)

خطوط الطيف



(أخذ الصورة لاستوفكي وجريجور)

حيود الأشعة السينية



(أخذ الصورة لوريا وكلينج)

حيود الموجات الكهربائية

أصوام المادة :

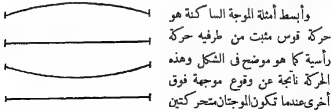
نرجع الآن إلى السؤال : كيف نستطيع فهم وجود بعض أطوال موجات مميزة في طيف كل عنصر ؟ ما أكثر ما نجد في علم الطبيعة أمثلة لما يحدث من تقدم أساسى نتيجة لدراسة مقارنات تعقد بين ظواهر لا يبدو أن بينها علاقة ما . وقد رأينا في هذه الصفحات كيف أن معتقدات وضعت وتطورت في أحد فروع العلم ثم طبقت في فرع آخر فحازت نجاحا كبيرا . ويمطينا تطور الآراء الميكانيكية والمجالية أمثلة كثيرة في هذا الصدد . ولعل ربط هذه الموضوعات المحولة بغيرها التي لم تحل بعد يلقى بعض الضوء على مصاعبنا ويوحى إلينا بأراء جديدة . فمن السهل العثور على علاقة سطحية لا تنفى شيئا في الحقيقة ولكن اكتشاف صفات أو علاقات أساسية مخفية تحت سطح من الاختلافات الظاهرية ثم استخدامها أساساً لنظرية ناجحة عمل جدى بلا شك غاية في الأهمية . ونشوء ما نسميه بالميكانيكا الموجية وتطورها على أيدي دي بروجلي وشريدنجر منذ أكثر من خمس وعشرين سنة خير مثل لبناء نظرية ناجحة ، على أساس مقارنة باهرة موفقة .



ولنبداً الآن بمثل كلاسيكى لاعلاقة له بعلم الطبيعة الحديث . لنقبض بأحدى أيدينا على طرف أنبوبة طويلة جداً من المطاط أو سلك حازونى طويل ونحاول تحريكه بانتظام حركة دورية إلى أعلا وإلى أسفل حتى يتذبذب طرفه . سترى - كما سبق رؤيته ذلك في أمثلة أخرى - نشوء موجة بسبب هذه الذبذبة وانتشارها خلال الأنبوبة بسرعة معينة . فإذا تصورنا أنبوبة ذات طول لانهاى فإن أقسام الموجة المبتدئة ستواصل حركتها اللانهائية المستمرة بدون حدوث تداخل .

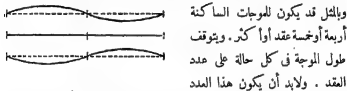
لنعتبر مثلاً آخر . لنثبت طرفى هذه الأنبوبة أو لملء من الأفضل أن نعتبر قوس كنجية . ماذا يحدث الآن إذا ما تولدت موجة ماعند أحد طرفى أنبوبة المطاط أو القوس ؟ ستبدأ الموجة رحلتها كما في المثال السابق ولكنها سرعان ما ترد عند

الطرف الآخر للأنبوبة . وسيكون لدينا بذلك موجتان : إحداهما تولدت من حركة الذبذبة والأخرى بالانعكاس ، وستتحركان في اتجاهين متضادين ويحدث بينهما تداخل . وليس من العسير علينا تتبع هذا التداخل واكتشاف الموجة الوحيدة الناتجة من تركيبهما مع بعضهما والتي نسميها بالموجة الساكنة ، ولعل الكلمتين « الموجة الساكنة » تظهرا متناقضتين ، ولكن تركيب هاتين الموجتين مع بعضهما أدى إلى الجمع بين هاتين الكلمتين .



في اتجاهين متضادين . ومن مميزات هذه الحركة ثبوت طرفي السلك ، وتسمى نقطتا الطرفين بالمعدتين . ويمكننا القول بأن الموجة تسكن بين عقدتين بينما تواصل بقية السلك حركتها الرأسية .

ولكن هذه أبسط أنواع الموجة الساكنة ، فهناك أخرى ، إذ قد يكون للموجة الساكنة ثلاثة عقد ، اثنان في طرفي السلك والآخر في منتصفه . وتسكون لدينا في هذه الحالة ثلاثة عقد ساكنة . وتكني نظرة نلقها على الرسوم الموضحة هنا لترينا أن طول الموجة هنا يبلغ نصف طولها في المثال السابق ذي المعدتين .



صحیحاً وقد يتغير فقط على دفعات ! فمباراة مثل « عدد العقد في موجة ساكنة هو ٣٥٧٦ » مجرد هراء . وإذن يتغير طول الموجة تغيراً متقطعاً . أي أننا في هذا المثال الكلاسيكي قد وجدنا إحدى

خصائص نظرية الكم المألوفة . ويزداد الموجة الساكنة التي يحددها لاعب السكّان تمقيداً ، إذ أنها خليط من موجات عديدة لها ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ عقد ، أى خليط من أطوال موجية كثيرة . وفي استطاعة علم الطبيعة تحليل مثل هذا الخليط إلى مركباته من الأصوات الساكنة البسيطة التي يتكون منها . ويمكننا القول بلغة مصطلحاتنا السابقة أن الوتر المتذبذب له طيف ، تماماً كما يتميز كل عنصر بطيفه الإشعاعي . وكذلك أيضاً - كما كانت الحال في أطراف العناصر - لانشاهد في الوتر إلا ذبذبات معينة لا يسمع بوجود سواها .

هأنحن قد اكتشفنا بعض أوجه شبه بين القوس المتذبذب والذرة المشعة . ومهما بدا من غرابة في هذا التشابه ، فنستمر في دراستنا محاولين استنتاج ما نستطعمه معه وسنمضي قدماً في المقارنة . تتكون ذرات كل عنصر من جسيمات أولية إحداها ثقيلة وتسمى بالنواة والأخرى خفيفة وهى الكهارب وتشبه هذه المجموعة آلة صوتية صغرى تحدث فيها موجات ساكنة .

ومع ذلك فليست الموجة الساكنة سوى نتيجة لتداخل موجتين متحركتين أو أكثر ، فإذا كان في هذه المقارنة بعض الحقيقة فلا بد من وجود صورة أسهل من صورة الذرة لكي تمثل الموجة المنتشرة . فهاهى ياترى أسهل تلك الصور ؟ لا يوجد في عالمنا المادى ما هو أسهل من الكهرب الذى لا تؤثر عليه أية قوى أو بعبارة أخرى الكهرب الساكن أو التحرك حركة منتظمة . ولعلنا نستمر في تشبيها فنمثل الكهرب التحرك بانتظام بموج ذات طول معين . وهذه هى فكرة دى بروجلي الحديثة والجريئة في نفس الوقت .

وقد كان معروفاً قبل ذلك وجود ظواهر تتجلى فيها الصفات الموجية للضوء وأخرى تتضح فيها الصفات الجسيمية . وبعد أن أخذنا بوجهة النظر الموجية ، وجدنا لدهشتنا أنه في بعض الحالات كحالة الظاهرة الكهروضوئية مثلاً - يسلك الضوء تماماً سلوك سيل من الفوتونات . أما في حالة الكهارب فنلاحظ عكس ذلك تماماً . إذ أننا اعتدنا تشبيه الكهارب بجسيمات هى الكتل الأولية للكهرباء والمادة . وقد درست شحنتها وكتلتها ، فإذا كان هناك شيء من الحقيقة

في فكرة دى بروجلي فإنه لابد من وجود بعض ظواهر تتجلى فيها الخواص الموجية للمادة . وهذه النتيجة التي توصلنا إليها عن طريق الشابهة الصوتية تبدو غريبة يصعب تصديقها ، فكيف يمكن أن يكون لجسم متحرك أى صفات موجية ؟ ولكن ليست هذه أول مرة نقابل فيها معضلة من هذا النوع في علم الطبيعة ، فقد قابلنا نفس المعضلة في علم الظواهر الضوئية .

تقوم الآراء الأساسية بأهم دور في تكوين النظريات الطبيعية . وكتب علم الطبيعة ملائى بمعادلات رياضية معقدة . ولكن الآراء والأفكار — لا المعادلات — هي التي تؤدي إلى ظهور النظريات الطبيعية . ثم تأخذ الآراء والأفكار بعد ذلك الشكل الرياضي المحدد للنظرية ، بحيث يمكن مقارنة نتائجها بالتجربة . ويمكننا إيضاح ذلك بمثل المسألة التي نحن بصدها الآن . فالفكرة الرئيسية هي أن الكهارب المنتظمة الحركة تسلك في بعض الظواهر المسلك الموجي . لنفرض أن لدينا كهرباً أو مجموعة من الكهارب — ذات سرعة واحدة — تتحرك بانتظام . ونحن نعلم قيم كتلة الكهرب وشحنته وسرعته ، فإذا أردنا إلحاق الصفة الموجية للكهرب المنتظم الحركة بكيفية ما ، فإن سؤالنا التالي هو : ما هو طول الموجة ؟ ويتطلب هذا السؤال وضع نظرية تمكننا من تقدير قيمة هذا الطول الموجي الملحق بالكهرب . وهذه مسألة بسيطة ، والسهولة الرياضية لعمل دى بروجلي عند إجابته على هذا السؤال تدعو حقاً إلى العجب . ففي الوقت الذي وضعت فيه هذه النظرية كانت النظريات الطبيعية الأخرى مليئة بالرياضيات الغامضة والمعقدة ؟ أما رياضة الأمواج الملحقة بالمادة فهي غاية في البساطة ، في حين أن الفكرة الأساسية آية في عمق التفكير .

وقد رأينا في حالة الأمواج الضوئية والفوتونات أنه يمكننا نقل أى عبارة صيغت بلغة الأمواج إلى لغة الفوتونات أو جسيمات الضوء . سنطبق نفس الشيء على الأمواج الكهربائية . ولغة الجسيمات مألوفة لنا في حالة الكهارب المنتظمة الحركة ويمكننا نقل كل عبارة صيغت بلغة الجسيمات إلى اللغة الموجية تماماً كما في حالة الفوتونات . وقد سهل لنا مهمة هذه الترجمة عاملان : أولهما هو التشابه بين أمواج الضوء وأمواج الكهرباء أو بين الفوتونات والكهارب . وسنحاول

استخدام نفس طريقة الترجمة للمادة كما استخدمناها للضوء . وقد أمدتنا نظرية النسبية الخاصة بالدليل الآخر ، قوانين الطبيعة يجب أن تكون لازمة بالنسبة لتحويلات لورنتز لا بالنسبة للتحويلات الكلاسيكية . ويمكننا تعيين طول الموجة الملحقه كهربي متحرك تماماً بواسطة هذين العاملين . فينتج من ذلك أن كهرباً متحركاً بسرعة ١٠٠٠٠ ميلاً في الثانية مثاله طول موجي ، من السهل تقدير قيمته وقد وجد أنه يقرب من أطوال موجات الأشعة السينية . وإذن نستنتج من ذلك أنه إذا كان إدراك الخواص الموجية للمادة ممكناً فإنه يجب إجراء تجارب مماثلة لتلك التي أجريت على الأشعة السينية .

لنعتبر حزمة أو شعاعاً من الكهارب تتحرك بانتظام بسرعة معينة أى موجة كهربية متجانسة ، إذا استخدمنا المصطلحات الموجية ؛ ولنفرض أنها تسقط على بللورة رقيقة جداً تمثل دور محزوز الحيود . وتبلغ المسافات بين العوائق السبية للحيود في البللورة — أى بين الذرات — حداً كبيراً من الصغر يكفي لإحداث الحيود للأشعة السينية . فلعلنا نتوقع ظاهرة مشابهة لتلك عند استعمال الموجات الكهربية ذات الطول الموجي القريب من الأشعة السينية . ويمكن تسجيل حيود هذه الموجات الكهربية عند مرورها خلال الطبقة الرقيقة من البلورات الموجودة في لوح فوتوغرافي . وفي الحقيقة تظهر هذه التجربة ما يمكننا اعتباره بلاشك نصراً رائعاً للنظرية ، ألا وهو ظاهرة حيود الموجات الكهربية . والتشابه بين حيود الموجات الكهربية والأشعة السينية ملفت للنظر كما يرى من مقارنة النماذج في اللوحة (٣) . ويمكننا مثل هذه الصور من تقدير أطوال موجات الأشعة السينية . وينطبق نفس الكلام على الموجات الكهربية ، فيعطينا أنموذج الحيود طول الموجة المادية مع التأييد العملي التام للنظرية وفي هذا تأييد شامل لاستنتاجاتنا .

ومع ذلك فهذه النتيجة تريد في متاعبنا ! كما يتضح من الحالة المشابهة لذلك في حالة أمواج الضوء التي سبق ذكرها . فإذا سلط كهرب على ثقب دقيق جداً فإنه سيحيد عن طريقه تماماً كما تفعل موجة ضوئية ، وسنشهد على اللوح الفوتوغرافي

حلقات مضيئة ومظلمة . ربما كان هناك بعض الأمل في شرح هذه الظاهرة أيضاً بتفاعل بين الكهرباء وحافة الجسم المترص على الرغم من أن مثل هذا الشرح بعيد الاحتمال . ولكن ماذا عن تقبي الدبوس المتجاورين ؟ ستظهر خطوطاً بدلاً من الحلقات . كيف يمكن أن يكون وجود الثقب الآخر سبباً في إحداث هذا التغير ؟ فالكهرب لا يمكن شطره وليس له إلا أن يمر خلال أحد الثقبين . كيف يمكن للكهرب أن يعلم أثناء مروره خلال أحد الثقبين أن هناك ثقباً آخر قريباً منه ؟

وقد سبق أن تساءلنا عن ماهية الضوء ؟ أهو شيل من الجسيمات أم موجة ؟ وبحق لنا الآن أن نسأل ماهي المادة وما هو الكهرباء ؟ هل هو جسيم أم موجة ؟ فالكهرب له خواص الجسيم عند ما يتحرك في مجال كهربائي أو مغناطيسي خارجي وله الخواص الموجية عند ما يحميد أثناء مروره خلال بللورة . وقد قابلنا عند دراستنا لكلمات المادة الأولية نفس الصعاب التي لاقيناها أثناء دراستنا لكلمات الضوء . وبذلك ينشأ الآن السؤال التالي وهو من أهم الأسئلة التي أثارها التطور العلمي الحديث : كيف نجتمع بين الرأيين المتعارضين عن المادة والأمواج ، وهذه المعضلة هي من ذلك النوع الذي يؤدي حلها إلى تقدم علمي لا شك فيه . وقد حاول علم الطبيعة الحديث حل هذه المشكلة ؟ والأمر الآن متروك للمستقبل لكي يقرر ما إذا كان هذا الحل الذي اقترحه علم الطبيعة الحديث دائماً أم مؤقتاً فقط !

أصواع الاحتمال :

.. إذا علمنا موضع نقطة مادية وسرعتها والقوى الخارجية المؤثرة عليها فإننا نستطيع — طبقاً لقواعد الميكانيكا الكلاسيكية — التنبؤ بحركة النقطة المستقبلية بواسطة استخدام القوانين الميكانيكية . والعبارة « للنقطة المادية السرعة كذا عند أنوضع كذا في لحظة ما » لها معنى محدد في الميكانيكا الكلاسيكية .

وقد حاول العلماء — في أوائل القرن التاسع عشر — شرح جميع ظواهر علم الطبيعة على أساس الفرض بوجود قوى بسيطة تؤثر على جسيمات مادية ذات

مواضع معينة وسرع معينة عند لحظة ما . لنحاول تذكر كيف وصفنا الحركة عند ما تكلمنا عن الميكانيكا عند بدء استعراضنا لظواهر علم الطبيعة الحديث . فقد رسمنا تقاطعاً على مسار معين كي نتحدد لنا أوضاع الجسم عند لحظات معينة ، وكذلك مماسات متجهة كي توضح لنا مقادير واتجاهات السرعة . وقد كان هذا كله بسيطاً وسهل الفهم . ولكننا لا نستطيع تطبيق ذلك كله على كرات المادة الأولية (أى الكهارب) أو على كرات الطاقة الأولية (أى الفوتونات) حيث أنه ليس في الإمكان تمثيل حركة فوتون أو كهروب بالطريقة التي تخيلنا بها الحركة في الميكانيكا الكلاسيكية ، وليس مثال ثقبى الدبوس عنا بعيد . وبدون أن كلا من الفوتون أو الكهروب يمر خلال الثقبين معاً في نفس الوقت . وبذلك يصبح من المستحيل شرح هذه الظاهرة باعتبار مسار الفوتون أو الكهروب طبقاً للنظرية الكلاسيكية القديمة . ويدهى أنه يجب علينا التسليم بوجود حركات أولية مثل مرور الكهارب والفوتونات خلال الثقوب . وليس هناك شك في وجود الكرات الأولية للمادة والطاقة ولكن من المؤكد أيضاً أننا لا نستطيع وضع القوانين الأولية على أساس تحديد الأماكن والسرع عند لحظة ما بطريقة الميكانيكا الكلاسيكية السهلة .

لنحاول الآن تجربة أخرى بأن نكرر هذه الحوادث الأولية كأن نرسل الكهارب الواحد تلو الآخر في اتجاه ثقبى الدبوس الصغيرين . وسيكون استخدام الكلمة « كهروب » على سبيل التحديد فقط في هذه الحالة ، وينطبق نفس الكلام على الفوتونات .

لنفرض أننا أعدنا هذه التجربة مراراً عديدة بنفس الطريقة أى أن الكهارب تتحرك في اتجاه ثقبى الدبوس بنفس السرعة الواحد تلو الآخر . وغنى عن الذكر أن هذه التجربة مثالية أى أننا لا يمكننا القيام بها عملياً ولكننا نستطيع تخيلها فقط إذ أنه ليس في الإمكان إطلاق الكهارب والفوتونات فرادى كما ينطلق الرصاص من البندقية .

ومن الطبيعي أن يؤدي تكرار هذه التجارب إلى الحصول على حلقات

مظلمة وأخرى مضيئة إذا كان لدينا ثقباً واحداً وعلى خطوط مضيئة ومعتمة إذا كان لدينا ثقبان . ولكن هناك فرق أساسي ، وذلك أنه في حالة الكهرب الوحيد كان من المسير علينا تصور نتيجة التجربة في حين أنه يسهل فهمها إذا تكررت العملية مراراً ، حيث يمكننا أن نقول الآن : تظهر الخطوط المضيئة عندما ناسقط على أماكنها كهارب كثيرة . أما في الخطوط المظلمة فيقل عدد الكهارب الساقطة كثيراً ، وينعدم سقوط الكهارب في المنطقة ذات الظلام الكامل . وبديهي أننا لانسطيع أن نفرض أن جميع الكهارب تمر خلال أحد الثقبين فقط لأنه إذا كان ذلك صحيحاً فإن تغطية الثقب الآخر يجب ألا تسبب أى فرق ، ولكننا نعلم أن تغطية الثقب الثاني يغير فعلاً في نتيجة التجربة . وحيث أن الكهرب غير قابل للانقطاع فإننا لانسطيع تصور مروره من كلا الثقبين في نفس الوقت . فإذاً يمهّد لنا تكرار التجربة مخرجاً من هذا المأزق ، إذ نستطيع القول بأن بعض الكهارب تمر من أحد الثقبين وتنفذ البقية من الثقب الآخر . ولا يمكننا معرفة سبب تفضيل الكهارب للثقب خاصة ، ولكن يجب أن تكون نتيجة تكرار التجربة اقتسام الثقبين للكهارب الساقطة من المصدر والمتجهة إلى الحاجز الذي تكون عليه نماذج الحيود . فإذا ذكرنا فقط ما يحدث للكهارب عند إعادة التجربة ، غير عابئين بسلوك الكهارب الفردية فإن شرح الفرق بين دوائر الحيود وخطوطه يصبح يسيراً . وهكذا أدت دراسة سلسلة من التجارب إلى نشوء فكرة «مجموعة» أو «جمع» من الجسيمات التي لانسطيع التنبؤ بخواصها الفردية . فلا يمكننا مثلاً أن نتنبأ بمسار كهرب فردي ، ولكننا نستطيع أن نتنبأ بنتيجة حركة المجموعة كلها ألا وهي حدوث خطوط مضيئة ومظلمة على الحاجز . لنترك علم الطبيعة السلمي جانباً الآن بعض الوقت . لعلنا نذكر أننا إذا علمنا مكان وسرعة نقطة عادية عند لحظة ما والقوى المؤثرة عليها في علم الطبيعة الكلاسيكي فإننا نستطيع التنبؤ بحركة النقطة المستقبلية . وقد رأينا بعد ذلك كيف طابقت وجهة النظر الميكانيكية على نظرية الحركة للمادة ، وكيف أدت دراستنا لهذه النظرية إلى نشوء فكرة ستكون ذات فائدة كبيرة لنا فيما بعد إذا فهمناها حق الفهم .

لنفرض أن لدينا وعاء به غاز . إذا أردنا تتبع حركة كل جسيم فإن علينا أن نبدأ بإيجاد الظروف الابتدائية أى الأوضاع والسرع الابتدائية لجميع الجسيمات . وحتى إذا فرضنا إمكان ذلك فإن تسجيل النتيجة على الورق تستغرق وقتاً أطول من حياة الإنسان نظراً لضخامة عدد الجسيمات التى علينا أن نعتبرها . وإذا أردنا بعد ذلك فى استخدام طرق الميكانيكا الكلاسيكية لحساب الأوضاع النهائية للجسيمات فإننا نقابل صعباً لا يمكننا التغلب عليها . فمن المسلم به مبدئياً أننا نستطيع استخدام الطريقة المثبتة فى دراسة حركة النجوم ولكننا لا نستطيع القيام بها عملياً ، وإذن لا مفر من أن نلجأ إلى الطريقة الإحصائية . وليست هذه الطريقة فى حاجة إلى المعرفة التامة للأحوال الابتدائية ، وبذلك تقل معلوماتنا عن أية مجموعة من جسيمات الغاز عند لحظة ما ويتبع ذلك ضعف قدرتنا على معرفة الأحوال الماضية والمستقبلية للمجموعة . ولن نهتم بمصير كل جسيم على حدة بل ستصبح مسائلنا الآن ذات طبيعة خاصة . فثلاً لن نسأل « ما هى سرعة كل جسيم عند هذه اللحظة » ولكن ربما نسأل « كم عدد الجسيمات التى تنحصر سرعتها بين ١٠٠٠ ، ١١٠٠ قدماً فى الثانية » . أى أننا لن نهتم أبداً بالأفراد ولكننا سنحاول فقط تعيين الخواص العامة للمجموعة كلها كوحدة . ومن البديهي أن الطريقة الإحصائية لن تصح إلا إذا احتوت المجموعة على عدد كبير جداً من الأفراد .

ولا يمكننا معرفة سلوك فرد داخل مجموعة ما عند استخدام الطريقة الإحصائية بل يمكننا فقط أن نتكلم عن احتمال سلوكها بطريقة معينة . فإذا أخبرتنا القوانين الإحصائية بأن ثلث الجسيمات لها سرعة بين ١٠٠٠ ، ١١٠٠ قدماً فى الثانية فإن هذا يعنى أنه بتكرار عملية القياس على جسيمات كثيرة نحصل على هذا المعدل حقيقة أو بعبارة أخرى أن احتمال وجود جسيم له هذا القدر من السرعة هو $\frac{1}{3}$.

وبالتل لى تقدر معدل التكاثر فى مجتمع كبير ، لا يكتفى أن نعلم أن أسرة ما قد رزقت بطفل ، إذ أن ما يهمنا هو معرفة نتيجة إحصائية ليس للأفراد فيها دور خاص .

وإذا حاولنا تسجيل أرقام عدد كبير من السيارات فإننا سرعان ما نكتشف أن ثلث هذه الأرقام تقبل القسمة على ثلاثة . ولكننا لا يمكننا أن نجزم بأن السيارة التي ستمررنا بعد لحظة ستحمل رقماً له هذه الخاصية . فالقوانين الإحصائية يمكن تطبيقها على مجموعات كبيرة فقط ، ولكنها لا تنطبق على أعضاء تلك المجموعة كلها على أفراد .

ويمكننا الآن العودة إلى موضوعنا الكمي . تتميز قوانين علم الطبيعة الكمي بطابع إحصائي أي أنها لا تخص فرداً واحداً بذاته بل مجموعة أفراد متجانسة ، ولا يمكن تحقيق هذه القوانين بإجراء قياس على فرد واحد بل فقط بسلسلة من تجارب متكررة .

ويحاول علم الطبيعة الكمي مثلاً صياغة قوانين خاصة بالتفكك الإشعاعي نتحكم في التحولات الذاتية من عنصر إلى آخر . فالمعلوم مثلاً أنه في ١٦٠٠ عام يتفكك نصف جرام من الراديوم ويتبقى النصف الآخر . ويمكننا معرفة عدد الذرات التي ستفكك في نصف الساعة القادمة ، ولكننا في نفس الوقت لا نستطيع أن نقول لماذا يقضى على هذه الذرات ذاتها دون الأخرى . وليس في استطاعتنا — حسب معلوماتنا الحالية — تعيين الذرة المقضى عليها بالتفكك ، ولا يتوقف مصرع الذرة على عمرها ، ولا يوجد قانون يختص بدراسة سلوك الذرة الفردى وأحوالها الخاصة ، ولكننا نستطيع فقط صياغة قوانين إحصائية نتحكم في مجموعات من الذرات .

لنعتبر مثلاً آخر . إذا وضع غاز مضيء مادة ما أمام المطياف ، فإننا نشاهد خطوطاً ذات أطوال موجية معينة . ويعتبر ظهور مجموعة منقطعة ذات أطوال موجية معينة من خواص الظواهر الطبيعية التي اكتشفنا فيها وجود الكات الأولية . ولكن هناك ناحية أخرى للموضوع فهناك خطوط زاهية وأخرى باهتة ، ويستلزم الخط الزاهي إشعاع عدد كبير من الفوتونات التابعة لهذا الطول الموجي العيين ، ويعني الخط الباهت إشعاع عدد ضئيل نسبياً من الفوتونات الملحقة بهذا الطول الموجي ، وهنا تعطيتنا النظرية أيضاً شروحاً لها طابع إحصائي فقط .

ويشير كل خط إلى انتقال من مستوى طائفة عال إلى آخر منخفض . وتجبرنا النظرية عن احتمال حدوث كل من هذه الانتقالات الممكنة ، ولكنها لا تبين شيئاً عن انتقال ذرة فردية بذاتها ؟ وقد أصابت النظرية نجاحاً كبيراً لأن جميع هذه الظواهر تتضمن جوعاً كبيرة لأفراداً . ويظهر أن علم الطبيعة الكمي الحديث يشبه نظرية الحركة للمادة بعض الشيء حيث أن لكلهما طابع إحصائي ويشير كل منهما إلى جوع كبيرة . ولن تهتما بنقطة التشابه في هذه المقارنة فقط بل بنقطة الاختلاف أيضاً . وينحصر معظم التشابه بين نظرية الحركة للمادة والطبيعة الكمية في الطابع الإحصائي لكل منهما ، ولكن ماهي أوجه الاختلاف ؟

إذا رغبتنا في معرفة الرجال والنساء الذين تزيد أعمارهم عن ٢٥ عاماً في مدينة ما فإننا يجب علينا أن نطلب إلى كل مواطن أن يملأ في استئارة خاصة البيانات التي تقع تحت العناوين « ذكر » ، « أنثى » ، « العمر » . ويفرض صحة كل إجابة فإننا سنحصل — بعد عدد وتقسيم بيانات الاستئارات — على نتيجة ذات طابع إحصائي ، حيث أن أسماء الأشخاص وعناوينهم لا تهتما في شيء . وقد تولد الطابع الإحصائي من معرفة الحالات الفردية . وكذلك الحال في نظرية الحركة للمادة إذ توجد لدينا قوانين إحصائية تتحكم في المجموعات وبنيت على أساس الحالات الفردية .

ولكن الوضع يختلف تماماً باختلاف في علم الطبيعة الكمي ، إذ تنتج هذه القوانين الإحصائية فوراً دون اعتبار أي وجود للحالات الفردية . وقد رأينا في مثال الفوتون أو الكهرّب وتبقي الدبوس أننا لا نستطيع وصف الحركة الممكنة للجسيمات الأولية في المكان والزمان كما فعلنا في علم الطبيعة الكلاسيكي ، أي أن علم الطبيعة الكمي يلغى وجود القوانين الفردية للجسيمات الأولية ويذكر لنا مباشرة القوانين التي تتحكم في المجموع . ويستحيل علينا — على أساس الطبيعة الكمية — وصف مكان وسرعة جسم أولى أو التنبؤ بحركته المستقبلية كما هي الحال في الطبيعة الكلاسيكية . وتهتم الطبيعة الكمية فقط بالمجموع وتطبق قوانينها عليها لا على الأفراد . وإن الحاجة الملحة — وليست الرغبة في التجديد — هي

التي دفعتنا إلى تغيير وجهة النظر الكلاسيكية . وقد سبق لنا إيضاح متاعب تطبيق وجهة النظر القديمة في مثال ظاهرة الحيود ، وهناك أمثلة أخرى عديدة مشابهة يمكننا ذكرها . وتدفعنا محاولتنا لفهم الحقائق الطبيعية إلى تغيير وجهات نظرنا باستمرار . والأمر متروك للمستقبل لكي يحكم ما إذا كنا قد سلكنا الطريق الصواب الوحيد أو إذا كان هناك حل لتاعبنا خير من هذا الحل الذي وجدناه .

وقد كان علينا أن نزيد وصف الحالات الفردية كحالات واقعية في الزمان والمكان ، ونحتم علينا أن نستحدث قوانين لها طابع إحصائي . هذه هي الخطوط الرئيسية لعلم الطبيعة الكمي .

وعندما بدأنا — في السابق — دراسة ظواهر طبيعية جديدة كالجبال الكهرومغناطيسية ومجال الجاذبية حاولنا — في عبارات هامة عامة — شرح الخواص الرئيسية للمعادلات التي صيغت فيها العقائد والآراء رياضياً . وسنحاول الآن عمل نفس الشيء في الطبيعة الكمية مشيرين باختصار إلى أعمال بوهر ودي بروجلي وشردينجر وهيزنبرج وديراك وبورن .

لنعتبر حالة كهرب واحد . وقد يكون الكهروب تحت تأثير مجال كهرومغناطيسي خارجي أو قد لا يؤثر عليه أي مؤثر خارجي . وربما تحرك مثلاً في مجال قوة ذرة ما أو ربما سقط على بلورة وحاد عنها . وترشدنا الطبيعة الكمية إلى كيفية صياغة المعادلات الرياضية الخاصة بكل من هذه الموضوعات .

وقد سلمنا الآن بالتشابه الموجود بين وتر متذبذب أو غشاء طبلية أو آلة هوائية أو أي آلة صوتية أخرى من جانب وبين الذرة المشعة من جانب آخر . وهناك أيضاً بعض التشابه بين المعادلات الرياضية المتحركة في المسائل الصوتية وبين تلك المتحركة في موضوع الطبيعة الكمية . ولكن التفسيرات الطبيعية للكميات المعينة في هاتين الحالتين تختلف كثيراً عن بعضها ، فالكميات الطبيعية التي تصف حركة البوتر المتذبذب تختلف تماماً عن تلك التي تصف التردد المشعة ، رغمًا عما يبدو من تشابه ظاهري في المبادئ . ويمكننا أن نسأل في حالة البوتر عن مقدار اعتماد

نقطة ما على الوتر المتحرك في لحظة معينة عن وضعها الأصلي . وإذا عرفنا شكل الوتر المتذبذب عند لحظة معلومة فإننا نستطيع الحصول على ما يزيد . وإذن يمكننا تقدير قيمة الانحراف عن الوضع الأصلي عند لحظة ما من المعادلات الرياضية للوتر المتذبذب ، ونستطيع الآن التعبير عن توقف انحراف القوس عن موضعه الأصلي لكل نقطة من نقط القوس على الوجه التالي: عند لحظة ما يكون الانحراف عن الوضع العادي دالة تتوقف على إحداثيات القوس . وتكون جميع نقط القوس متصلاً ذا إحداثي واحد ؛ ويكون الانحراف دالة تُعرف في هذا المتصل ذي الإحداثي الواحد — وتقدر قيمتها من معادلات القوس المتذبذب .

وبالمثل في حالة الكهرب توجد دالة معينة لكل نقطة من نقط الفراغ عند أية لحظة ، ونسمى هذه الدالة موجة الاحتمال . وتشير موجة الاحتمال — في مقارنتنا — إلى الانحراف عن الوضع العادي في المسألة الصوتية . أي أن الموجة الاحتمالية — عند لحظة ما — هي دالة في فضاء ذي ثلاثة إحداثيات ، بينما كان الانحراف في حالة الوتر عند لحظة ما دالة في فضاء ذي إحداثي واحد . وتحمل الموجة الاحتمالية في ثناياها كل ما نستطيع الحصول عليه من المعلومات الخاصة بالمجموعة الكمية التي ندرسها ، ونستطيع بواسطتها الإجابة على كل الأسئلة ذات الصبغة الإحصائية التي تتعلق بتلك المجموعة . ولكنها لن تكون بذات فائدة إذا أردنا منها تعيين مكان وسرعة الكهرب عند لحظة ما ، لأنه ليس هناك أي معنى لثل هذا السؤال في الطبيعة الكمية . ولكنها ستخبرنا عن احتمال العثور على الكهرب في مكان ما أو أين نتاح لنا فرصة العثور على الكهرب . ولا تشير التجربة إلى فرد بل إلى تجارب كثيرة متكررة . أي أن معادلات الطبيعة الكمية تعين لنا الموجة الاحتمالية تماماً كما تعين لنا معادلات ماكسويل المجال الكهرومغناطيسي ، وأيضاً كما تعين معادلات الجاذبية مجال الجاذبية . ولكن الكميات الطبيعية التي تعينها معادلات الطبيعة الكمية ليست ذات معان مباشرة كما هي الحال في معادلات المجالات الكهرومغناطيسية والجاذبية ، إذ أنها تعطينا فقط الطرق الرياضية للإجابة على أسئلة ذات طابع إحصائي .

وكنا حتى الآن معنيين بدراسة حركة الكهرب في مجال خارجي معين . فإذا اعتبرنا جسماً آخر له شحنة أكبر تحملها كتلة تبلغ ملايين المرات ضعف كتلة الكهرب فإننا نستطيع أن نفرض النظر عن نظرية الكم بأسرها وندرس المسألة طبقاً لقوانين الطبيعة الكلاسيكية . فإذا تكلمنا عن التيارات الكهربائية داخل الأسلاك ، أو موصلات مشحونة ، أو الأمواج الكهرومغناطيسية فإننا يمكننا تطبيق مبادئ علم الطبيعة البسيطة التي تتضمنها معادلات ماكسويل ، ولكننا لا نستطيع عمل ذلك عند ما نتكلم عن الظاهرة الكهروضوئية أو شدة خطوط الطيف . أو النشاط الإشعاعي أو حيود الموجات الكهربائية (الإلكترونية) وظواهر عديدة أخرى يظهر فيها الطابع الكمي للمادة والطاقة . فبينما كنا نتكلم عن مواضع ومرع جسم واحد في الطبيعة الكلاسيكية إذا بنا نرى أنه يجب علينا الآن أن نعتبر أمواج الاحتمال في متصل ذي ثلاثة أبعاد خاص بهذا الجسم وحده . وتتميز الطبيعة الكمية بطريقة خاصة في معالجة موضوع ما إذا علمنا كيفية دراسته من وجهة نظر الطبيعة الكلاسيكية .

وللجسيم الأولى — سواء أكان كهربياً أو فوتوناً — أمواج احتمال تنتشر في متصل ذي ثلاثة أبعاد وتعطينا الخواص الإحصائية إذا تكررت التجربة مرات عديدة . ولكن ماذا نعلم بجسيمين متفاعلين — بدلاً من حالة الجسم المفرد التي كنا ندرسها — ككهرين أو كهرب وفوتون أو كهرب ونواة ؟ إننا نستطيع دراسة كل على حدة ووصفها بواسطة موجة احتمال في ثلاثة أبعاد فقط بسبب تفاعل الجسيمين معاً . وفي الحقيقة أنه ليس من العسير علينا أن نصف مجموعة مكونة من جسيمين متفاعلين في الطبيعة الكلاسيكية . لذلك يجب علينا أن ندير وجوهنا هنيهة شطر الطبيعة الكلاسيكية . يتميز موضعاً نقطتين ماديتين في الفراغ عند لحظة ما بستة أرقام ، ثلاثة منها لكل من النقطتين . وتكون كل الأوضاع الممكنة للنقطتين الماديتين متصلاً ذا ستة أبعاد — لا ثلاثة — كما كانت الحال عند دراسة جسم واحد . فإذا أرجعنا البصر ثانية إلى الطبيعة الكمية فإننا نحصل على أمواج احتمال في متصل ذي ستة أبعاد ، لا ثلاثة كما هي الحال عند دراسة

حركة جسيم واحد . وكذلك الحال إذا درسنا ثلاثة أو أربعة جسيمات أو أكثر حيث تكون أمواج الاحتمال دوالاً في متصلات ذات تسعة أو إثني عشر بعداً أو أكثر .

ونرى من هذا بسهولة أن أمواج الاحتمال ليست سوى أمواجاً مجردة ، تختلف عن الأمواج الكهرمغناطيسية والجاذبية التي توجد وتنتشر في فضاءنا ذي الأبعاد الثلاثة . ويعتبر المتصل ذو الأبعاد العديدة أساساً لأمواج الاحتمال . ويكون عدد أبعاد هذا المتصل مساوياً لعدد أبعاد فضاءنا العادي عند دراسة جسيم مادي واحد أى ثلاثة أبعاد . والمعنى الطبيعي الوحيد لموجة الاحتمال هو أنها تمكننا من الإجابة على أسئلة إحصائية ذات فائدة كبيرة في حالة جسيم واحد أو جسيمات كثيرة . فمثلاً في حالة الكهرباء الواحد ، يمكننا أن نسأل عن احتمال وجود الكهرباء في مكان ما ، وفي حالة جسيمين يمكننا أن نسأل عن احتمال وجود الكهرباء في مكانين معينين عند لحظة ما ؟

وقد كان أول انحراف لنا عن وجهة النظر الكلاسيكية هو في نبذنا لوصف الحالات الفردية كأحداث في الزمان والمكان . وقد كنا مضطرين إلى استخدام الطريقة الإحصائية بواسطة أمواج الاحتمال ، وحيث أننا اخترنا هذا الطريق فقد أصبح لزاماً علينا أن نغضى قدماً نحو التجريد المطلق ، وأصبح لا مفر من استخدام أمواج الاحتمال ذات الأبعاد العديدة لوصف مسائل الجسيمات العديدة .

دعنا على سبيل الاختصار نطلق على كل شيء ما عدا الطبيعة الكمية ، اسم الطبيعة الكلاسيكية . فهناك إذن اختلاف جوهري بين الطبيعة الكلاسيكية وبين الطبيعة الكمية ، إذ أن الطبيعة الكلاسيكية تهتم بوصف الأجسام الموجودة في المكان ووضع قوانين لتمثل تغيرها مع الزمن . ولكن الظواهر التي تكشف لنا عن الطابع الجسيمي والوحي للمادة والإشعاع ، والطابع الإحصائي للأحداث الأولية مثل التفتك الإشعاعي والحيود وإشعاع الخطوط الطيفية وغير ذلك اضطرتنا إلى نبذ هذا الرأي . فالطبيعة الكمية لا تهتم بوصف أجسام فردية ذات أوضاع معينة ودراسة تغيراتها مع الزمن . فلن نجد في الطبيعة الكمية عبارات

مثل « هذا الجسم هو كذا وله من الصفات كذا وكذا » بل ترى عبارات مثل « كذا وكذا تمثل الاحتمال بأن يكون الجسم الفردى هو كذا وكذا وأن تكون له هذه الصفة أو تلك » . فلا توجد في الطبيعة الكمية قوانين تتحكم في تغيرات خواص الجسم مع الزمن . فبدلاً من ذلك نجد قوانين تعين تغير الاحتمال مع الزمن وهذه التغيرات الرئيسية — التي أدخلتها نظرية الكم في علم الطبيعة — هي التي مكنتنا من إيجاد شروح مقبولة وافية للخواص المتقطعة وللطابع الاحصائي للأحداث في علم الظواهر التي تلعب فيها الكمات الأولية للمادة والإشعاع أدواراً كبيرة .

ومع ذلك فما زالت هناك بعض مسائل صعبة لم يتم حلها بعد . وسنذكر هنا فقط بعضاً من هذه المسائل ، فالعلم لم يكن ولن يكون أبداً كتاباً مغلقاً ، إذ أن كل تقدم مهم يؤدي إلى بحث مسائل جديدة وكل تطور جديد تصحبه دائماً مصاعب جديدة .

وقد رأينا أنه في الحالة البسيطة التي نعتبر فيها جسماً واحداً لا أكثر ، نستطيع الانتقال من الدراسة الكلاسيكية إلى الدراسة الكمية ، أى من دراسة حركة الجسيمات في الزمان والمكان إلى دراسة أمواج الاحتمال . ولا شك أن معتقدات المجال المهمة في الطبيعة الكلاسيكية لم تغب عن بالنا ، ولعلنا نسأل عن كيف نستطيع وصف التفاعل بين كمات المادة الأولية والمجال ؟ وإذا كنا نحتاج إلى موجة احتمالية تنتشر في متصل ذي ثلاثين بعداً لدراسة حركة عشرة جسيمات ، فإنه يلزمنا موجة أخرى تنتشر في متصل ذي عدد لا نهائي من الأبعاد لدراسة المجال طبقاً للنظرية الكمية ، والانتقال من فكرة المجال في النظرية الكلاسيكية إلى الموجة الاحتمالية الملائمة في الطبيعة الكمية أمر في غاية الصعوبة . ويمكننا أن نقول أن جميع المحاولات التي بذلت للانتقال من الوصف الكلاسيكي إلى الوصف الكمي المجال حتى الآن لا تعتبر وافية بالغرض . وهناك مسألة أخرى أساسية . فقد استخدمنا أثناء دراستنا لطريقة الانتقال من الطبيعة الكلاسيكية إلى الطبيعة الكمية الطريقة القديمة غير النسبية التي لا يعتبر فيها الزمن بنفس الطريقة التي

يعتبر بها المكان . فإذا حاولنا أن نبدأ بالوصف الكلاسيكي الذي تطبق فيه قواعد نظرية النسبية فإن انتقالنا إلى الطريقة الكمية يصبح أكثر تعقيداً . وهذه هي معضلة اليوم التي حاول علم الطبيعة الحديث حلها ولكن هذا الحل ما زال بعيداً عن الكمال . وهناك أيضاً معضلة أخرى نشأت عند ما حاول العلماء وضع نظريات وقواعد كمية لوصف الجسيمات الثقيلة التي تدخل في تركيب النوى . وعلى الرغم من النتائج العملية العديدة والمحاولات الكثيرة لشرح مشاكل النواة ، فإننا ما زلنا نجعل أهم نواحي هذا الموضوع .

وليس هناك شئ في أن الطبيعة الكمية قد نجحت في شرح جانباً كبيراً من الحقائق وكانت النتائج النظرية في معظم الحالات متفقة تماماً مع النتائج العملية . وقد أبعدتنا الطبيعة الكمية الحديثة كثيراً عن وجهة النظر الميكانيكية القديمة وأصبح التهمر إلى مواضعنا القديمة أمراً بعيد الاحتمال . ولكن ليس هناك شك أيضاً في أنه يجب علينا أن نبني علم الطبيعة الحديث على أساس معتقدات المادة والجمال . وفي هذه الحالة تكون النظرية ثنائية وبعيدة عن فكرة إرجاع كل شيء ونسبته إلى المجال .

هل ستسلك التطورات المقبلة نفس الطريق التي سلكته الطبيعة الكمية ؟ أو هل يحتمل أن تنشأ أفكار ثورية جديدة في علم الطبيعة ؟ وهل سيأتي طريق التقدم انحناءة أخرى كبيرة كما حدث ذلك مرات فيا مضى ؟

وقد ركزت جميع معضلات الطبيعة الكمية حول بضع نقط رئيسية قليلة . خلال السنوات الأخيرة ، ويتنظر علم الطبيعة حل هذه المعضلات بقلبي ، وليس هناك ما يدلنا على الكيفية أو الوقت الذي ستحل فيه هذه المشاكل .

علم الطبيعة وعقيدة الوجود :

ما هي النتائج العامة التي نستطيع استخلاصها من تطور علم الطبيعة الذي بسطناه هنا بطريقة عامة توضح لنا خطوطه الرئيسية فقط ؟ وليس العلم مجرد مجموعة قوانين أو قائمة بحقائق غير مرتبطة بل هو ابتكارات

العقل الإنسانى بما فيه من معتقدات وأفكار نتيجة تفكير حر طليق .
وتحاول النظريات الطبيعية تكوين صورة للحقيقة وإيجاد رابطة بينها وبين عالم
الشعور . وإذن تكون الزكية الوحيدة لتركيب عقد لنا هي فيما إذا كانت نظريتنا
هذه تنتج في إيجاد هذه العلاقة وفي الكيفية التي وجدت بها .

وقد رأينا حقائق جديدة نشأت عن التقدم في علم الطبيعة ، ولكن اكتشاف
الحقائق لم يكن مقصوراً على علم الطبيعة ، إذ أن الإنسان قد بدأ منذ فجر التاريخ
في تمييز ما حوله من الأجسام . فالصور التي كونها العقل الإنسانى عن الشجرة
والحصان والجسم المادى نتجت عن التجربة على الرغم من أن التأثيرات التي نتجت
عنها هذه الصور أولية بالنسبة لعالم الطواهر الطبيعية . والقطة التي تتأور فأراً
تكون في نفسها صورة خاصة بذلك . وحيث أن القطة تعامل كل فأر بنفس
الطريقة فإننا نستنتج أنها لا بد كونت في نفسها صوراً وطرقاً هي أدلها في تأثرها
بالحياة الخارجية .

وطبيعى أن ثلاثة أحجار شئ^{*} مختلف عن شجرتين ، وشجرتين شئ^{*} مختلف
عن حجرين وليست فكرة الأرقام البحتة ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥٠٠ (دون أى ارتباط
بالأشياء التي نميزها) سوى من ثمار التفكير الإنسانى لوصف حقيقة عالمنا .
وبفضل شعورنا الباطنى بمرور الزمن استطعنا تنظيم إحساساتنا لكي تتمكن
من الحكم على أن حدثاً ما قد سبق آخراً ، ولكن لكي نميز كل لحظة زمنية تمر
برقم بواسطة استخدام ساعة أى لكي نعتبر الزمن متصلاً ذا بعد واحد هو أيضاً
في حد ذاته اختراع للذهن الإنسانى . وكذلك الحال في معتقداتنا الهندسية
الإقليدية واعتبار فضاءنا كعالم ذى ثلاثة أبعاد .

وقد بدأ علم الطبيعة حقاً باختراع الكتلة والقوة والمجموعة القاصرة . وهذه
جميعها ابتكارات للعقل الإنسانى أدت إلى نشوء وجهة النظر الميكانيكية . ويتكون
العالم الخارجى ، من وجهة نظر العلماء الطبيعيين في أوائل القرن التاسع عشر ، من
جسيمات تؤثر عليها قوى بسيطة تتوقف على المسافة . وقد حاول هؤلاء العلماء
المتمسك بفكرة إمكانهم شرح جميع أحداث الطبيعة على أساس هذه الفروض

الأساسية . ولكن الصعوبات المتعلقة بانحراف الإبرة المغناطيسية ، وتركيب الأثير
دفعتنا إلى بناء عالم أكثر تمقيداً . وقد أدى ذلك إلى الاكتشاف المهم للمجال
الكهرمغناطيسى وقد احتجنا إلى خيال علمى جرى لندرك تماماً أنه ليست
الأجسام المادية ولكن ما يوجد بينها — أى المجال — قد يكون عاملاً أساسياً
لتنظيم وفهم الأحداث .

وقد أدت تطورات العلم الحديث إلى القضاء على المعتقدات القديمة واستحداث
أخرى جديدة . فقد قضت نظرية النسبية على فكرة الزمن المطلق والمجموعة
الإحداثية القاصرة . ولم يعد مسرح الحوادث هو متصل الفضاء ذو الثلاثة الأبعاد
والزمن ذو البعد الواحد ، بل أصبح هو متصل المكان والزمان ذو الأربعة الأبعاد
الذى تختلف قوانين تحويله عن القوانين القديمة . ولم نعد نحتاج إلى المجموعة
الإحداثية القاصرة إذ أصبحت كل المجموعات الإحداثية سواء وتعتبر جميعها مناسبة
لوصف أحداث الطبيعة .

وقد استحدثت نظرية الكم أيضاً آراء ومعتقدات جديدة وأساسية فقد
استبدلت فكرة عدم الاتصال بالاتصال وظهرت قوانين الاحتمال بدلا من القوانين
التي تتحكم في حركة الأجسام الفردية .

وفي الحقيقة أن الآراء التى استحدثت فى علم الطبيعة الحديث تختلف عن
تلك التى شاعت عند بدء التطور العلمى . ولكن هدف النظريات العلمية كان
وما زال ثابتاً لم يتغير .

ونساعدنا النظريات الطبيعية على تلمس طريقنا وسط جموع الحقائق العلمية
محاولين تنظيم وتفهم عالمنا الإحساسى . ونود دائماً فى أن تتبع الحقائق العملية
نتائج النظريات والآراء الموضوعية . لن يكون هناك وجود للعلم إذا لم نعتقد أننا
نستطيع اكتشاف الحقائق بواسطة نظرياتنا الموضوعية ، وإذا لم نكن نعتقد
فى تركيب العالم على أساس دقيق منظم . وستظل هذه العقائد دائماً البوابع الأساسية
لجميع الاستحداثات العلمية . وفى جميع مجهوداتنا وكفاحنا بين الآراء القديمة

والحدیثة نلس الحاجة الملحة للفهم والإدراك العمیق لنظام العالم الدقیق ، هذا الإدراك الذی یرداد وثوقاً وقوة بما نقابله من الصعاب .

المقدمة :

تدفعنا الحقائق العملية الكثيرة في عالم الظواهر الذرية مرة أخرى إلى وضع نظريات طبيعية حديثة . وتتميز المادة بتركيب حبيبي إذ تتركب من جسيمات أولية تسمى بالكات الأولية للعادة . أى أن الشحنة الكهربائية تتميز بتركيب حبيبي وكذلك الطاقة أيضاً ، وذلك هو الأهم من وجهة نظر نظرية الكم . ويتكون الضوء من كات الطاقة المسماة بالفوتونات .

هل يتكون الضوء من موجات أو من سيل من الفوتونات ؟ وهل يتكون الشعاع الإلكتروني من سيل من الكهارب أم من موجات ؟ هذه هي الأسئلة التي فرضت على علم الطبيعة كنتيجة للتجارب العملية . ولكي نحاول الإجابة على هذه الأسئلة يجب أن نترك جانباً وصف الأحداث الذرية كحوادث في المكان والزمان ، إذ يجب أن يزداد تحررنا من قيود النظرية الميكانيكية القديمة ويضع علم الطبيعة الكمي لنا قوانين تتحكم في الجموع لا الأفراد . فنحن نتكلم عن الاحتمالات وعن القوانين التي تتحكم في تغيرها مع الزمن بالنسبة لجموع كبيرة من الأفراد لا عن القوانين التي تصف حركة الأجسام الفردية المستقبلية ، كما هي الحال في قوانين الميكانيكا غير الكمية .

مطبعة الرسالة
شأن حمود الفتاوى ٣ ما بين

Bibliotheca Alexandrina



0405929